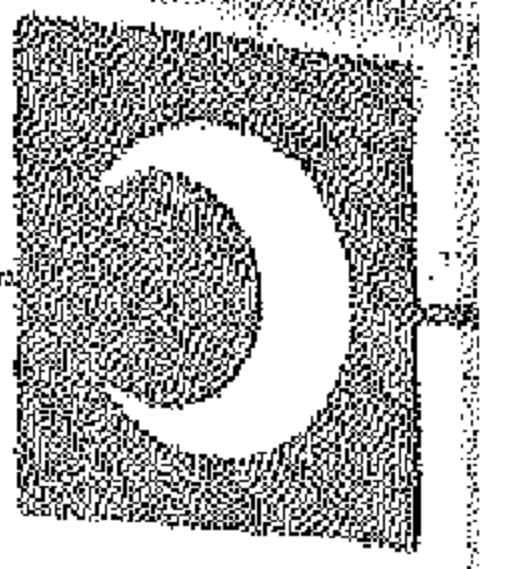


لاڻ

ڪتاب اڻڻ



سلسلہ  
ثقافتی  
مہرہ

# راقصون بلاڪوٽ

راجي عنايت



# كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس مجلس الإدارة، مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير، كمال النجدي

مدير التحرير، عايد عياد

## مركز الإدارة

دار الهلال ١٦٠ محمد عز العرب  
تليفون ٢٠٦١٠٠ ( عشرة خطوط )

KITAB ALHILAL

العدد ٣٩٩ - جمادى الثاني ١٤٠٤ - مارس ١٩٨٤

No. 399 — March 1984

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي - ١٢ عددا - في جمهورية مصر العربية ثلاثة جنيهات مصرية و ٦٠٠ مليم بالبريد العادي وفي بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفي سائر أنحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال في ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفي الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال . وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة أعلاه عند الطلب .

# سلسلة كتب النهضة



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

**الفيلاف بریشه :**  
**الفنان حلمى التونى**



راجی عنایت

# راقصون بلا حکوہت

دارالہلال

## أهداء

الى وزير الثقافة الاسبق دكتور ثروت  
مكاشة ، الاب الروحى للفرقة القومية للفنون  
الشعبية .. والذي - رغم خلافاتنا اثناء عملى  
معه - مازلت اعتبره صاحب الفضل فى كل ما  
هو جاد وبقى فى حياتنا الثقافية ..

راجى عنايت

## مجتمع بلا حكومة

ما موضوع هذا الكتاب ؟ .. الكتاب يتحدث في بساطة عن مجتمع بلا حكومة ! .

مجتمع كامل .. حقيقة ، لا يتجاوز في عدده التسعين شخصا ، لكنه يضم نماذجاً تمثل كافة قطاعات وفئات مجتمعنا الكبير ... شباب منطلق .. فتيات صغيرات لا يتجاوزن الخامسة عشر .. رجال كبار قاربوا الستين من عمرهم .. مراهقون تعتمل في نفوسهم كل رغبات التحدى والتجريب .. رجال أثقياء لا يفوتهم الفرض .. أطباء ، مهندسون ، مدرسون ، موظفون حكوميون .. عمال نجارة وكهرباء .. رجال بسطاء من فناني الصعيد البعيد .. متزوجون يصطحبون زوجاتهم العاملات بالفرقة ... أزواج بلا زوجات ، وزوجات بلا أزواج .. عزاب ، وأرامل ..

ومنذ اللحظة التى وضع فيها أفراد هذا المجتمع أقدامهم على أرض مطار أنقره ، في صباح السادس من ابريل عام ١٩٦٨ .. وحتى اللحظة التى صعدوا فيها على سلم الباخرة « الجزائر » في ميناء دورسى بالبنانيا ، في الثالث عشر من مارس عام ١٩٦٩ ، كان ذلك المجتمع

بلا حكومة . . قطع صلته بكل ما يحكم المجتمع من سلطات تنظيم وتشريع ورقابة ومحاسبة وردع . . وأصبح مطلوبا منى أن أحكم هذا المجتمع فى حركته المتواصلة لما يقرب من خمسة أشهر ونصف .

كنت أتصور أن سفاراتنا فى البلاد التى نزورها ، ستكون عوننا أساسيا لى فى هذه المهمة ، إلا أن التجربة العملية أثبتت لى عدم جدوى الالتجاء إليها ، كما أكدت ضرورة أن أعتمد على نفسى فى إدارة شئون هذا المجتمع ، بوسائل ابتكرها ابتكارا ، تتيح للقافلة أن تواصل مسيرتها المرسومة ، وأن تفى بالتزاماتها قبل الدول المضيفة ، وأن تشرف البلد الذى خرجت منه ، وسعت من أجل الدعوة لثقافته وحضارته .

والواقع أن تجربتى هذه كانت قد سبقتها تجربة شبيهة مع مسرح القاهرة للعرائس ، عندما كنت أتولى إدارته ، فى رحلة الى أوروبا زار فيها ثمانى دول على مدى ثلاثة أشهر ، ورغم الفارق الملموس فى عدد أفراد الرحلة ومداها الزمنى ، فقد استطعت أن أستخلص من رحلة مسرح العرائس بعض التجارب التى أفادتنى كثيرا فى رحلتى هذه ، وخاصة فى تنظيم العمل عن طريق وضع لائحة خاصة للرحلة قبل أن نتحرك من القاهرة .

عقدت عدة اجتماعات مع أعضاء الفرقة القومية للفنون الشعبية ، وشرحت لهم طبيعة المهمة التى يتصدون لها ، وعرضت عليهم فكرة وضع لائحة تنظم حياتنا اليومية ومسئوليات عملنا ، فتمت فى هذه الاجتماعات مناقشة كافة التفاصيل ، وحرصت على أن أجعلهم يقترحون

بأنفسهم العقوبات المتدرجة على الاخطاء المختلفة ، واسلوب تنفيذ هذه العقوبات ، ابتداء من لفت النظر والانذار ، حتى الحرمان من الاشتراك في اللقاءات الرسمية والعروض الى الخصم من مسروفا الجيب الذى نتقاضاه من الدولة المضيفة .

وقد تم توزيع المسؤولية على لجان مختلفة ، كما أوكل الى احدى هذه اللجان أمر تسجيل المخالفات ، وتحديد العقوبات ، وفقا لللائحة التى وضع أعضاء الفرقة جميعها بنودها .

بهذا ، وبشيء من حسن التصرف فى استخدام الشدة واللين ، أمكن لهذا المجتمع أن يواجه مهمته ، فى اطار معقول من الالتزام ، وبلا سلطات خارجية تمنع وتبيح وتجازى وتثيب .

وغنى عن البيان ، أن تطبيق اللائحة التى وضعوها لأنفسهم ، لم يكن يتم فى ظل الاستجابة الكاملة والرضا التام فى كل الاحوال ، فالموافقة على اللائحة المكتوبة شيء ، وتحمل ماتقضى به شيء آخر . . الا أن مراعاة الدقة والعدالة التامة فى تطبيق هذه اللائحة الخاصة المبتكرة ، قد اكسبها قوة تفوق قوة القانون ، وجعلها نافذة بلا حاجة الى سلطة قسر تلزم الافراد بقبولها . . . وفى كثير من الاحيان ، وعندما تقتضى الظروف ، وتسمح الامكانيات ، كنا نعقد ما يشبه الجمعية العمومية ، نندرس أحوالنا ، ونناقش أمورنا ونبتكر الاساليب التى من شأنها أن تسهل عملنا ، وتشيع روح التآلف ، والاحساس بالعدالة بين الجميع .

## الغربة المركبة :

الا أن المجتمع الذي بلا حكومة ، ليس هو فقط موضوع هذا الكتاب ..

هناك أيضا الغربة المركبة التي عاشها أفراد هذا المجتمع على مدى خمسة أشهر ونصف .

وتعبر « الغربة المركبة » ، هو خير ماينطبق على حالنا طوال ذلك الزمن .

فأنت ، عندما تسافر الى بلد ما ، لفترة محدودة .. تشعر بالغربة ، ولكنك على مر الايام ، وكنوع من الدفاع عن النفس في مواجهة هذا الشعور بالغربة ، تبدأ في الاحساس بالآلفة نحو عناصر حياتك الجديدة ، السرير الذي تنام عليه ، الحجرة التي تعيش فيها ، الشارع الذي تسير فيه ، البشر الذين تحتك بهم ... وانت تستعير بهذه الآلفة بعض الشيء عن شعور الآلفة الذي تستمتع به في بيتك وبين أهلك ... وكلما طالت فترة اقامتك في المكان الذي انتقلت اليه ، تدعمت الفتك نحوه ، حتى تقترب من الفتك بحياتك الاولى في بلدك .

أما في حالتنا هذه ، فقد كان علينا ، وفقا لبرامج العمل الموضوعة لنا ، ألا نمكث في مدينة واحدة أكثر من ثلاثة أيام متواصلة في أغلب الأحيان .

١٥٩ يوما بالتحديد زرنا فيها حوالي ٦٠ مدينة ... معنى هذا أن اقامتنا في كل مدينة ، في المتوسط ، بلغت يومين ونصف يوم ... ماكاد نصل الى مدينة ونتعرف على بعض معالمها ، حتى ننتقل الى المدينة التالية ...

السريـر الـذـى تنام عليه يتغير كل يومين . . . المـطعم الـذـى  
تأكل فيه لا تزوره أكثر من ثمانى مرات . . . المسرح الـذـى  
تعمل عليه لا تقدم من فوق خشبته أكثر من عرضين . . .  
كل شىء يتغير ، المباني ، الشوارع ، الناس ، وأيضا  
اللغة . . . مؤامرة محكمة على شعورك بالالفة . المدن تتوالى  
متلاحقة ، وكذلك الدول . . . تركيا ، بلغاريا ، رومانيا ،  
الاتحاد السوفيتى ، بولندا ، ألمانيا الديمقراطية ،  
تشيكوسلوفاكيا ، المجر ، يوغوسلافيا ، ألبانيا . . . لغات  
مختلفة ، عملات مختلفة ، طبيعة جغرافية متباينة . .  
طقس متغير ، عادات متناقضة . . . بشر جدد فى كل  
مرة .

ولو أن هذه الرحلة يقوم بها فرد واحد ، ربما كانت  
قد ابتلعت هذه الدوامة ، وأفقده حتى القدرة على  
الاحساس بالغربة . . . إلا أن وجودنا كمجتمع يتكون من  
تسعين مصريا . . . لهم ارتباطاتهم السابقة على الرحلة ،  
كان سببا فى مزيد من احساسنا بهذه الغربة المركبة .  
ماذا فعلنا فى مواجهتها ؟ . . .

الشيء الوحيد الذى ساعدنا على تحمل هذه الغربة ،  
هو برنامج العمل المتصل الذى لا يتوقف . . . سفر . . .  
تدريبات . . . عروض . . . ثم سفر من جديد .

ثم آلاف الجماهير التى كانت تتجمع فى صالات العرض  
بالمسارح التى عملنا عليها ، وعواصف التصفيق التى  
كانت تعقب كل عرض . . . وكلمات الإعجاب والتقدير التى  
نتلقاها من المختصين ، ونقرأها على صفحات الجرائد  
والمجلات ، ونسمعها فى برامج الاذاعة والتليفزيون . . .



احساسنا الدائم بأن نجاحنا هو نجاح لمصر . . كل ذلك ،  
كان زادا لنا يعيننا على تحمل الغربة المركبة .

أما الخطابات القادمة من مصر ، فقد كانت لها قصة  
أخرى . .

كنا نتسلم هذه الخطابات ، أما من سفارة الدولة التي  
نصلها ، أو من مندوب التبادل الثقافي القادم من مصر . .  
وكنت قد وزعت على الأعضاء جدولاً زمنياً بتحركاتنا ،  
بحيث يرسل أهل الخطاباتهم على سفاراتنا في الدول  
المختلفة ، وقبل وصولنا إليها . وكانت مناسبة تسليم  
الخطابات من المناسبات الحرجة دائماً . . وخاصة  
بالنسبة للفتيات اللاتي لم يكن بمقدورهن الالتزام بالتحفظ  
والتماسك الذي يبدیه الرجال . ما أكاد أنتهى من توزيع  
الخطابات ، وقبل أن أنصرف لأقرأ خطاباتي ، يرتفع  
النحيب . . هدد لم يصلها خطاب من أهلها . . . . . وتلك  
وصلها خطاب يحمل أخباراً لا تطمئن . . وثالثة وصلها  
أكثر من خطاب كلها أخبار طيبة ، أثارت حنينها للأهل  
والأقارب . . كان وصول الخطابات مناسبة للبيضاء  
الجماعي أيا كان عددها أو الأخبار التي تحملها .

### من أجل أن تتكرر :

إلى جانب هذا المجتمع الذي بلا حكومة ، وغربته  
المركبة ، دفعني إلى كتابة هذا ، رغبة شديدة في  
تسجيل ذلك الجهد المشرف الذي بذلته مجموعة من  
المواطنين ، على مدى الأيام والأسابيع والأشهر ،

واستطاعوا بهذا الجهد أن يؤدوا خدمة جليلة لبلادهم . .  
استطاعوا أن يجعلوا اسم مصر يتردد على أفواه ، لم تكن  
لتردده لولا زيارتهم . . استطاعوا أن يؤكدوا لجماهير  
الشعوب التي عملوا أمامها ، المستوى الثقافي والحضارى  
الذى حققته بلادنا . . . بعروضهم الفنية . . بأحاديثهم  
الشخصية . . بلقاءاتهم الخاصة . . وتحملوا فى سبيل  
ذلك الكثير من العناء ، وقطعوا عشرات الآلاف من  
الكيلومترات ، وسط أقسى الظروف الجوية . . عملوا ،  
ومرضوا ، وقاموا من جديد ليواصلوا عملهم . . وظلوا  
حتى آخر يوم من أيام رحلتهم ، غاية فى الحرص على  
مستوى عملهم الفنى ، والغيرة عليه .

ومن أجل أن تتكرر هذه التجربة ، وأن نخرج منها  
بخبرات مستفادة ، اكتب عنها ، مؤكدا ضرورة الالتفات  
الى الفائدة العظمى من مثل هذا النشاط ، فى تحقيق  
تواجدها الايجابى فى جميع انحاء العالم . ومازلت أذكر  
ما قاله لى سفيرنا فى تركيا بعد أن انتهت جولتنا بها  
« صدقنى ، ان الاثر الذى تركتموه على الشعب التركى ،  
ليتجاوز كل ما فعلته سفارتنا طوال السنوات الماضية » .

## فتادق.. فتادق!

### ملل من اللعبة الطريفة :

فى البداية بدت المسألة وكأنها لعبة طريفة مسلية ..  
ما أن تعلن أرقام الحجرات حتى يندفع كل واحد ليخطف  
مفتاح حجرته ، ويسارع اليها فى تلهف قريب من لهفة  
هواة « حظك اليوم » فى الجرائد اليومية .. كيف يبدو  
شكل الحجرة ؟... السرير ، الدولاب ، نوع الاضاءة ،  
الحمام ، البانيو .

وسرعان ماتصل الحقائق الى الحجرة ، وتبدأ هواية  
ممتعة أخرى ، كيف تنتقل محتويات الحقيبة الى الدولاب  
والادراج ، ماذا يوضع فى الحمام ، وماذا يوضع عند  
المرآة ، هل تكفى الشماعات الموجودة فى الدولاب ، ام  
يحسن البحث عن المزيد ؟.

وبعد يومين او ثلاثة ، تبدأ الرحلة العكسية .. كيف  
تدخل هذه الاشياء جميعا الى الحقائق التى خرجت  
منها ؟.. شكل جديد من أشكال التحدى ، يبدو ممتعا  
ومثيرا للمواجهة النشيطة .

هكذا كان الحال فى بداية الامر ...

وتتغير المدينة .. فيتغير الفندق ، وتتكرر من جديد عمليات الفضول والاستطلاع ثم مواجهة التحديات الصغيرة .. مدينة وراء مدينة ، وفندق في عقب فندق بشكل متلاحق ، منتظم في تلاحقه ، أربعة أيام على الأكثر لتبدأ الرحلة الى فندق جديد .

يخفت الفضول .. ويهبط حب الاستطلاع .. وتفتقر التحديات .. ويحل محل هذا جميعا ، نوع من السأم .. والاستسلام القدرى يحيل المسألة بأكملها الى روتين بغيض .

وتبدأ المشكلة .. لاى سبب .. وحتى بدون سبب . قبل أن تبدأ الرحلة ، كنا قد عقدنا عدة اجتماعات ، فى محاولة للاتفاق على سير حياتنا خلال الرحلة .. وفى هذه الاجتماعات تم وضع كشوف لترتيب أعضاء الفرقة فى الحجرات ، مع التبادل اللازمة ، سواء كانت حجرات الفندق مفردة ، أم لشخصين ، أم لثلاثة .. وحتى لأربعة ، حتى نحتاط لكافة الاحتمالات . وتم اختيار مسئول عن هذه المهمة ، يتسلم من ادارة الفندق بمجرد الوصول ارقام الحجرات وبياناتها ، ويوزع الاعضاء عليها مستعينا بالكشوف السابق اعدادها .

فى بداية الامر .. نجح المسئول فى مهمته ، ولكن مع التغير المستمر وبعد أن فقدت العملية جدتها وطرافتها ... بدأت المشاكل .

جميل لا يطيق الاقامة مع بهى فى غرفة واحدة ، خلاف صغير بين سوسن وسعاد جعل من المستحيل وضعهما فى مكان واحد .. وحالة وراء الاخرى ، أصبحت الكشوف

القديمة غير ذات موضوع ، وأصبح علينا أن نعد كشوفا جديدة من واقع الحالة النفسية الجديدة لأعضاء الفرقة .

ثم جدت مسألة أخرى ..

عدد أفراد الفرقة يصل الى تسعين شخصا ، والفنادق عادة غير مستعدة لتقديم نفس الخدمات لهذا العدد الضخم ، خاصة في المدن الصغيرة ، وكنا نضطر الى توزيع أعضاء الفرقة على فندقين أو ثلاثة . ثم ، مسألة الحمام .. بعض الحجرات بها حمام ، وبعضها الآخر يفترض فيه الاعتماد على حمام عام لخدمة عدد من الحجرات . ثم مسألة الادوار ، بعض الفنادق بلا مصاعد وبعضها تصل طوابقه الى أربعة طوابق .. وتبدأ من هنا التفرقة ، من الذى سيسكن في الطابق الاول ، ومن الذى سيلزمه التوزيع بالصعود الى الطابق الرابع . ثم اتساع الحجرات ، بعضها لفرد واحد ، ويستوعب بعضها أربعة أشخاص .. وكانت ادارة الفندق في بعض الاحيان تواجه العدد الضخم باضافة سرير من النوع السفري الى الحجرة ، وتبدأ المشاكل حول من الذى سيكون من نصيبه السرير الاضافي .

بدأ السأم من الفنادق .. وهبط الحماس لحياة الفندق .. وظهرت المشاكل تباعا .. بعضها حقيقى وبعضها مفتعل .

وكان من الضروري مواجهة هذا الوضع بشيء من التنظيم المقنع ، فعملية الانتقال من مدينة الى أخرى ، ومن فندق الى آخر ، كانت تتم كل يومين أو ثلاثة أيام ، وكان وصولنا الى الفندق بحقائقنا بسبب ازدحامنا

شديدا ، تضاعف من وقعه على نزلاء الفندق طبقة صوتنا العادية في الحديث .. هذه الطبقة التي لم تعود عليها الاذن الاوربية . فيبدو وصولنا الى اى فندق وكأنه نوع من الفوز .. وثمة معركة على وشك أن تلتهب !!

عقدت اجتماعا مع قيادات الفرقة ، وتم وضع نظام دورى يعوض كل فرد عن فرصته الضائعة .. الذى بلا حمام فى هذا الفندق ، يكون من حقه أن يحصل على حجرة بحمام فى الفندق الذى يليه .. وهكذا بالنسبة لباقي الميزات . كما أعيدت كشوف نزول الاعضاء فى الحجرات المشتركة ، وفقا للعلاقات الشخصية التى استقرت بعد زمن من الرحلة ، مع التنبيه بأن أى تفسير يطرا على هذا الوضع يجب الاعلان عنه فى موعد سابق ! !

### حقائب على الرصيف الالبانى :

وما أن انتهينا من وضع ترتيب الحجرات بالفنادق : حتى ظهرت مشكلة جديدة ، الحقائب .. !  
حقائب ٩٠ شخصا فى رحلة تستمر ستة أشهر ، فى حد ذاتها ، لا يستهان بعددها ، وبالحيز الذى تشغله، فإذا علمنا أن الفرقة زارت عشر دول ، وأن أعضاء الفرقة كانوا يعتمدون الى شراء حقيبة جديدة كل دولتين أو ثلاث دول على الاكثر ، ظهر حجم المشكلة .  
العضو يتقاسم مصرف جيب يومى يتراوح بين

مايساوى جنيها استرلينيا وجنيهين .. ومصرف الجيب  
هذا ينصرف بكامله الى المشتروات الشخصية ، فالدولة  
المضيفة توفر الاقامة الكاملة والمواصلات والعلاج . وفيما  
عدا نفقات التدخين للمدخنين ، لم يكن هناك من سبيل  
لانفاق هذا المبلغ سوى في المشتروات .. فاذا أضفنا الى  
هذا ان عملة كل دولة اشتراكيه لا يمكن انفاقها في دولة  
أخرى ، نفهم كيف كانت مهمة المشتروات واجبا منتظما  
وعاجلا قبل مغادرة دولة الى دولة أخرى .. وتزايد  
المشتروات يعنى تزايد الحقائق . وتبدأ مشكلة جديدة .

ثبت ان عدد الحقائق المتزايد لا يمكن أن يسمح  
للأعضاء باصطحابها في الاتوبيس ، ولابد من توفير عربات  
نقل خاصة بالحقائب ، بدأت بعربة نقل واحدة فى  
بلغاريا وانتهت الى ثلاث عربات فى ألبانيا .. ولما كانت  
عربات النقل لا تسير بسرعة الاتوبيس او القطار الذى  
ينقل الأعضاء ، فقد كان هذا التباعد بينهم وبين حقائبهم  
محلا للقلق .. بدأ قلقا مكبوتا لا يكشف عن نفسه ، حتى  
ضاعت أول حقيبة .. !

على الحدود الرومانية السوفيتية ، وفى مدينة أونجين  
وثناء نقل الحقائق الى القطار المتجه الى موسكو ، فقد  
الراقص شوقى نعيم حقيبة ملابس كبيرة ، كانت بها  
بعض ملابسه الشخصية ، الى جانب بعض المشتروات .  
وابتداء من موسكو ، أصبحت مشكلة الحقائق تشكل  
عنصرا دائما للقلق ، لم يكتب له أن يتبدد الا بعد مغادرتنا  
لجمر ك الاسكندرية .

كنت أقف فى كل مرة يتم فيها تسليم الحقائق ، واضعا



يدى على قلبى ، منتظرا أول الصرخات ، سعاد تصيح  
« الشنطة السوداء ما وصلتش ! » ، ثم تكتشف أنها  
وضعت فى غرفة أخرى بالخطا ، زغلول يكاد يبكى وهو  
يفتقد الخلاط الذى اشتراه من رومانيا .. المعلم عباس  
عازف المزمارة يسعى مهرولا بين الحقائق التى تشغل عادة  
مدخل الفندق وصالونه ، باحثا عن حقيبتة الناقصة ،  
وهو يتمم ببعض الشتائم الصعيدية المدغمة ، مريم تبكى  
وقد اكتشفت أن مقبض حقيبتها الكبيرة قد انترغ من  
مكانه ، وجيلان قد قطبت جبينها وركبها هم الدنيا ،  
فالحبل الذى ربطت به الحقيبة فى بولندا بعد أن تحطمت  
أقفالها ، ذلك الحبل قد تفكك ، وبرزت بعض محتويات  
الحقيبة ، مما يحتمل معه ضياع بعض محتوياتها .

مشهد متكرر .. يتصاعد انعكاسه على أعضاء الفرقة  
كلما مرت الايام ، وبدأت الفرقة المركبة التى يعيشها هذا  
المجتمع الصغير تؤثر على أفرادها .

بعد انقضاء ثلث الرحلة اكتشفت أن مشكلة الحقائق  
تحتاج الى حل حاسم .. خاصة أن تنقلاتنا داخل كل  
دولة كانت كثيرة ومتلاحقة .. ابتداء من بولندا أضفت  
الى قائمة المفاوضات مع المسئولين ، موضوع تخزين  
الحقائق التى لا يحتاجها الاعضاء فى حياتهم اليومية فى  
مكان ما ، حتى وقت الانتقال الى دولة تالية ، بحيث  
لا يسمح للعضو باصطحاب أكثر من حقيبة واحدة فى تنقله  
بين المدن المختلفة للدولة الواحدة .

واسترحنا بعض الشيء ..

لكن الحقائق ومشاكلها ، فرضت نفسها علينا مرة  
ثانية بشكل مضحك فى نهاية رحلتنا .

كان المفروض أن تمتد رحلتنا بعد ألبانيا الى اليونان ،  
ثم نسافر بحرا من بيريه الى الاسكندرية . . الا أن تعثر  
الاتفاق مع اليونان أدى الى إلغاء زيارتنا ، وبقيت مشكلة  
تدبير وسيلة السفر من ألبانيا . . بواخرنا لا تمر على  
الميناء الألباني « دورسى » . . وهناك شبه استحالة في  
استعمال الطائرة نتيجة للوزن الخرافى للحقائب التى معنا .  
وكانت هذه المشكلة تؤرقنى فى الأسابيع الأخيرة من الرحلة  
حتى وصلتني برقية من القاهرة ، تفيد أنه قد تم الاتفاق  
مع الباخرة الجزائر على تغيير خط سيرها ، بحيث تمر  
وهى قادمة من فينيسيا على ميناء دورسى لتنقلنا الى  
الاسكندرية .

حين اليوم الموعود . . يوم السفر الى الاسكندرية ،  
وكدت أن أتنفس الصعداء وأعتبر أن مسئوليتى عن هذا  
المجتمع الصغير الغريب قد انتهت ، الى أن وصلت مع  
أعضاء الفرقة الى رصيف الميناء لأجد منظرا عجيبا . . .  
الباخرة « الجزائر » راسية على الرصيف ، والرصيف  
بأكمله تغطيه على مدى البصر حقائب الفرقة . . ومجموعة  
من الجمالين تقوم بجهد يائس لنقل هذه الحقائب الى  
الباخرة .

أبدت مخاوفي للمرافق الألباني الذى كان معنا ، فراح  
يطمئننى ، قائلا أنهم قد استدعوا فرقة اضافية من  
الجمالين للمساعدة . . وطلب من أعضاء الفرقة أن ينتقلوا  
الى داخل الباخرة ، لاتمام الاجراءات ، وستلحق حقائبهم  
بهم . ورغم معرفتى بوقع مثل هذا !الطلب عليهم ، وهم  
يرون حصيلة مشترياتهم فى ستة أشهر منشورة على

اتساع رصيف الميناء ، فقد أقنعتهم ، تارة باللين وثارة بالشدة حتى بدأ انتقالهم الى داخل الباخرة .

لكن الوقت أخذ يمضى ولم تنكشف من أرض الرصيف سوى رقعة صغيرة رفعت من فوقها الحقائق .. وأخذ الكابتن معين قبطان الباخرة يذيع نداءاته طالبا الإسراع بالانتقال الى داخل الباخرة حتى يمكنها أن تتحرك . وبقي الموقف على الرصيف كما هو ، فيما عدا مساحات بسيطة من أرض الرصيف بدأت تنكشف ، ذلك على الرغم من مجهودات الحمالين التي لم تتوقف .

وفجأة ، أصدر القبطان إنذاره الأخير ، بل وإذاعه في المكبرات باللغة العربية ... الباخرة يجب أن تتحرك من الرصيف بعد ثلث ساعة على الأكثر ، يجب نقل الحقائق الى الداخل والا ستضطر الباخرة الى تركها على الرصيف .. !

لقى القبطان معين بقبلته هذه ، التي أعرف تماما وقعها على أعضاء الفرقة ، فأسرعت اليه أستوضحه حقيقة الموقف ، أخبرني أنه يعنى ما قاله ، فايبحسار الرصيف سوف يتضاعف لو بقيت الباخرة دقيقة واحدة أكثر من العشرين دقيقة الباقية .

هنا ، أدركت أنه لا مجال للانتظار .. هبطت الى الرصيف واستدعيت شباب الفرقة ، وجعلت منهم طابورا يتشعب عند مدخل الباخرة الى أكثر من شعبة تتخلل أكوام الحقائق اارصوصة على الرصيف .. وبدأت عملية جماعية لادخال الحقائق الى الباخرة . ورغم العصبية والقلق ، فقد بدأ المشهد مضحكا للغاية .. أشبه بفيلم

السينما عندما يدور بسرعة مضاعفة ، تماما مثلما ترفع سدادة الحوض المليء بالماء ، فيتدفق في دوامة نشيطة .. أرض الرصيف تتكشف بسرعة متزايدة ، والحقائب تتحرك كطابور النمل الى مدخل الباكسة حيث تتراكم فتحتل المدخل ثم تتسرب الى المطعم المجاور فتملا فراغه تماما . . . وفي ظرف ربع ساعة ، انطلقت صفارة الباكسة ثم بدأت حركتها ، وقد ارتوى اعضاء الفرقة في اعياء ظاهر على ارضها ، وعيونهم معلقة بجبل الحقائب الذى يشغل الفراغ من حولهم .

### جناح الملوك فى ليننجراد :

الا ان عالم الفنادق فى رحلتنا لم يكن دائما مصدرا للمشاكل . . ففى ذلك العالم قضينا لحظات سعيدة بعد انتهاء تدريبات الفرقة او حفلاتها ، وكان عددنا الضخم يطبع الفندق دائما بطابعنا ، فيحقق لنا نوعا من اللفة . فى ليننجراد سأل مدير الفندق عن مدير الفرقة عند وصولنا ، فذهبت اليه ليسلمنى مفتاح حجرتى مرحبا ، صعدت لانتظر حقائبى واستريح من عناء رحلة موسكو . ليننجراد ، فتحت باب الحجرة فاكشفت اننى عند مدخل جناح ضخم مخصص لاقامتى . . مدخل كبير بمرآة ضخمة فاخرة وشماعة من الموبيليا ذات الطراز العتيق ، يقود الى صالون ضخم لا تقل مساحته عن مائة متر مربع ، تتوسطه مائدة كبيرة من الرخام والبرونز ، وتشغل كل ركن من اركانه « فارة » من البورسلين الفاخر

يزيد ارتفاعها عن متر ونصف ، والمرايا الضخمة تشغل  
ثلاثة حوائط محاطة بزخارف ذهبية معقدة ، وفي فراغ  
الصالون تتوزع الارائك والمقاعد الضخمة المذهبة ذات  
الطراز الاصيل ، وفي ركن من الصالون بيانو « لارج »  
من النوع الذى نراه فى الحفلات الموسيقية السيمفونية .  
يقود هذا الصالون يسارا الى حجرة مكتب واسعة ،  
تسلق حوائطها النباتات الجميلة ، ويحتل ركن منها جهاز  
تليفزيون كبير ، ويقود الصالون يمينا الى حجرة نوم  
واسعة تشغلها قطعا كبيرة من الاثاث التقليدى الفخم .  
احسست بالرهبة ، وانا انقل خطاى بين أرجاء هذا  
القصر الصغير !!

ويبدو ان حجرات الفندق الاخرى ، رغم تباعد  
مستواها ، كانت مصدر راحة للجميع ، فلم تصلنى  
الشكاوى التقليدية التى تظهر بمجرد صعود كل عضو  
الى حجرته . . بل لقد حضر البعض سعيدا الى حجرتى  
ليحكى عن فخامة حجرته ، فتوقف الكلمات على لسانه  
عندما يدخل الى الجناح الذى أقيم فيه ، وفوجئت بأغلب  
أعضاء الفرقة يتوافدون على الصالون الكبير ، يعيشون فى  
أرجاء المكان ، يستعرضون ويتناقشون ويعلمون .  
واستقر رأى الجميع على ضرورة الاستفادة من هذه  
الامكانية الخرافية ومن البيانو الكبير فى اقامة حفل  
خاص لأعضاء الفرقة . . وبعد البحث فى كشف جوازات  
السفر الذى يتضمن تواريخ الميلاد ، اكتشفوا أن عيد  
ميلاد دينيس يحل بعد يومين .

رغم ترحيبي بالقرار ، الا اننى ظلت طوال ذلك الحفل في حالة من التوتر خوفا من أن تصاب احدى التحف الثمينة التى يزخر بها المكان . . واستطاعت الروح الطيبة التى سادت ذلك الحفل أن تبدد توترى فى النهاية ، وأستمتع بالعزف المنفرد على البيانو من جيلان ، وفاصل الاغانى الذى قدمته هيام . . ثم فقرات التمثيل الصامت والفكاهات التى اختتم بها الحفل ، لقد كنت حريصا أشد الحرص على هذه اللقاءات بعيدا عن التزامات العمل ومشاكله ، فقد كانت وسيلة فعالة فى تماسك ذلك المجتمع الصغير ، وتفريغ قلقه وسأمه ، وتبديد مضاعفات الاجهاد التى يتعرض لها .

### كمين لفسيل المدير !

لما كانت اقامتنا فى كل فندق لم تتجاوز الثلاثة أيام ، فقد ظهرت مشكلة الفسيل . . الفنادق التى اقمنا بها لا تستطيع انجاز الفسيل والكى فى هذه الفترة القصيرة ، وكان على كل واحد منا أن يعتمد على نفسه فى هذه المهمة انتظارا للاستثناء الذى يسمح لنا بالاقامة لفترة أطول تمكننا من أن نعتد على الفندق فى هذه المهمة . وكنت من واقع خبراتى السابقة قد نصحت الفرقة ، فى مواجهة هذه المشكلة ، بالاعتماد على الملابس النايلون التى تفسل بسهولة ولا تحتاج الى كى ، فاستجاب أغلب الأعضاء لهذا النصيحة ، وكانت مباريات الفسيل تعقد كل مساء ،

وان تكررت شكاوى بعض كبار السن من أعضاء الفرقة الموسيقية ، مما يتركه الفسيل على أيديهم من آثار .

وقد بدأ بعض شباب الفرقة بالاعتماد على زميلاتهم في القيام نيابة عنهم بهذه المهمة ، إلا أنه مع مرور الزمن ، شاعت حركة تمرد بين البنات ، اضطر الشباب على أثرها الى الاعتماد على انفسهم . كان الجميع يعتمد على جهاز التدفئة المركزى فى تجفيف الملابس ، ونظرا لان سخونة هذه الاجهزة كانت تتفاوت من فندق لآخر ، فقد راح الكثير من الملابس ضحية للسخونة الزائدة ، وكم من مرة هبطت الفتيات الى المطعم صباحا ، ودموعا مبكرة تترقرق في عيونهن ، وآيات الاسى تعكسها وجوههن ، بعد أن ذابت الجوارب النايلون على مواسير اجهزة التدفئة .

وفي بعض الدول كان المرافق يخطرني بأن فسيل الملابس وكيها سيكون ضمن مصاريف الإقامة ، وأنه مسموح للأعضاء بتقديم كافة مايجتاجون الى غسله الى ادارة الفندق . وجدت يوما أن اقامتنا في أحد الفنادق ستمتد الى خمسة أيام ، فأبلغت الأعضاء بهذا التسهيل الذى يعرضه الفندق . وفوجئت ادارة الفندق بأكوام الملابس التى تدفقت عليهم ، مما فاق تصورهم وقدرتهم ، وكان أن تسلمنا آخر دفعة من الفسيل ونحن داخل الاتوبيسات التى سنسافر بها الى المدينة التالية . هذه التجربة جعلتنى حريصا كل الحرص فى اعلان مثل هذه الرخصة ، كلما اخطرت بها من قبل المسؤولين ، حتى لا تتكرر عملية طرد المخزون من الملابس ، بمثل ماحدثت فى المرة الاولى .



حدث في بودابست أن نزلت في حجرة يشترك حمامها مع حجرة أخرى تنزل بها بعض فتيات الفرقة ، وكنت اضطر الى السهر حتى تنتهين من استخدام الحمام ، ثم تهدأ حركتهن ويخفت صياحهن ، فأتسلل الى الحمام حاملا الملابس التي أنوى غسلها ، وهى فى أغلب الأحيان قمصان نايلون ومناديل وجوارب .

و ذات صباح على مائدة الافطار ، فوجئت بالهمسات والضحكات المكتومة ، وأخذت أستفسر عن سر هـ... الهمسات دون أن أتلقى ايضاحا ، وأخيرا وقفت ماجدة نعيم بشجاعة لتقول وهى تكتم ضحكاتها « بصراحة يا جماعة .. الأستاذ راجى لازم ياخذ جائزة الفسيل .. ده عليه « نتره » قميص ، ما تعرفش واحدة مثنا تعملها ! » ، وانفجرت صالة المطعم فى ضحكة واحدة ، وأخذت ثريا جورج التى تقيم مع ماجدة فى الحجرة المجاورة لى ، تحكى كيف انهن بعد أن دخلن الى حجرتهن وأطفأن الانوار ، أخذن يتابعن اصوات دخولى الحمام وانهماكى فى الفسيل ، بكل مافيه من تفاصيل ، وهن يتبادلن التعليقات الهامسة على « الشملة » والجديّة التى أمارس بها عملى الليلى !

### احتفال بالبطولة الزوجية .

فى نفس الفندق بالمجر جرت واقعة مضحكة علمت بها بعد أن غادرنا المجر الى يوغوسلافيا . كانت حجرة بعض شباب الفرقة تطل على مايشبه النور الذى يقيم على

الجانب الآخر منه مجموعة أخرى من الشباب ، وفي  
أحدى الليالى أخذت المجموعتان تتبادلان الحديث من  
خلال المنور ، عندما أضيئت حجرة فى طابق سفلى ، وظهر  
فيها رجل مع فتاتين ، يبدو من شكله أنه سائح قادم الى  
بودابست . بدأ الرجل مداعباته مع الفتاتين فلفت نظر  
شباب الفرقة ، وبدأت تعليقاتهم التى أثارت فضول  
المجموعة الأخرى فانتقلت الى الحجرة التى تسمح بالمتابعة  
.. وارتفعت حرارة المداعبات ، والسائح مصر على القيام  
بها على مشهد من جمهور المتفرجين .. لفتوا نظره  
بتكديسهم على النوافذ وتصايحهم ، فكانت استجابته  
ابتسامة تحية وإشارة ، ثم انصرف كامل الى مداعباته  
التي بلغت مداها مع الفتاتين ، دون خجل ، أو حتى  
محاولة اسدال ستائر الحجرة .

عندما بدأ فى ارتداء ملابسه ، تمهيدا للخروج مع  
الفتاتين ، سارع الشباب بالهبوط الى الدور الذى يقبع  
فيه ، واصطفوا على جانبى الطريقة التى لابد سيمر منها  
فى طريقه الى المصعد ، يحيون بطولته المزدوجة ، وما أن  
ظهر مختالا بين فتساتيه حتى التهبت أكف الشباب  
بالتصفيق ، فمر بينهم ضاحكا سعيدا بحفل التكريم ،  
ومضى فى طريقه رافع الرأس فخورا بنظرات الشباب  
المبهورة .

### سلاح التليفونات .. وعفريت على الباطيقى !

كانت عودتنا الى الفندق مساء فى أغلب الاحيان  
لا تتجاوز العاشرة والنصف ، ذلك لان الحفلات المسرحية

في أوروبا تبدأ في السابعة أو السابعة والنصف على الأكثر  
وكنت أحرص .. بلا تضيق ملحوظ .. على أن يتجمع  
أعضاء الفرقة بالفندق بعد العشاء ، توكيا لمشاكل  
الاحتكاك ، وعدم القدرة على التفاهم .. الى آخر هذه  
الاعتبارات . وفيما عدا الايام التي كنا نقيم فيها حفلاتنا  
الخاصة في مطعم الفندق ، كان الجميع ينصرفون الى  
حجراتهم عقب العشاء ... ويبدأ نشاط « سلاح  
التليفونات » .

وقد اطلق هذا الاسم على مجموعة من الشباب ، فتيان  
وفتيات ، تخصصوا في الماكسات التليفونية داخل الفندق  
كوسيلة من وسائل شغل الفراغ .. وهو نوع كسول من  
أنواع شغل الفراغ ، يتفق تماما وحالتهم الجسمانية بعد  
التدريب أو العرض المسرحي .. اذ يكفي أن يستلقي  
الواحد منهم على سريره ، ويوسد الى جانبه جهاز  
التليفون ، ليبدأ نشاطه المسائي .

وكان مفعول هذا السلاح يتجاوز في كثير من الاحيان  
الشباب ، ليصيب شيوخ الفرقة من أعضاء الفرقة  
الموسيقية . وكم من المقالب الساخنة تم تدبيرها وكانت  
وسيلتها جهاز التليفون بالحجرة . وكم من شكاوى  
تلقيتها صباحا على مائدة الافطار من هذه المقالب ، مما  
جعلني أهدد بأن أطلب من ادارة الفندق الامتناع عن  
التوصيل ، رغم مافى هذا من مجازفة ، فالتليفون في كل  
حجرة هو الوسيلة العاجلة للاخطار عن حالات المرضى  
المفاجيء ، وما كان أكثرها .. الا أن التهديد كان يفقد

مفعوله في الفنادق التي تزود حجراتها بتليفون آلى ،  
يتصل مباشرة بالحجرات .

كنا قد وصلنا الى جديانسك على شاطئ البحر  
البلطيقى في بولندا ، وكانت ليلتنا الاولى بها . في شهر  
نوفمبر .. بل النصف الاخير منه .. هناك في أعلى  
أوروبا على البحر البلطيقى ، والجليد يغطي كل شيء ،  
وبرد الرحلة من الحدود السوفيتية الى الميناء البولندى  
يتسلل الى عظامنا ، وكنت قد انتهيت لتوى من اجراءات  
تسكين الاعضاء فى حجراتهم ، كما انتهيت من دراسة  
برنامج العمل والزيارات فى بولندا والمدن التى سنعمل بها  
مع السيدة مندوبة وزارة الثقافة التى رافقتنا من الحدود  
... تناولنا العشاء ، وأسرعت الى حجرتى ، وبدون  
أن أخرج ملابسى من الحقيبة اكتفيت بسحب «البيجامة»  
والإسراع الى السرير .. وعلى الفور استفرقت فى نوم  
عميق .

فى حوالى الثالثة صباحا ، ارتفع رنين التليفون فى  
حجرتى عاليا ، وخيل الى فى تلك اللحظة أن أصوات  
عشرات أجراس التليفونات قد استجمعت طاقتها لتحل  
فى التليفون الملاصق لسريرى :

— آلو .. « قلتها خافطة مفيظة » .

— الحقنا يا أستاذ راجى ، فيه واحد من الفرقة بينازع  
فى الاودة اللى جنبنا ..

— ازاي .. ؟ « كسولة مستنكرة » .

— أنين متواصل مش عارفين مصدره .. وكل الاود  
اللى جنبنا سامعاه !!

سألتهم اذا ما كانوا قد أخطروا السيدة المشرفة على الطابق ، فقالوا انها معهم الآن وانها في حالة انزعاج شديد ، ولا تعرف كيف تتصرف . . أحسست من صدق انفعالهم أن المسألة لا تدخل في نطاق نشاط « سلاح التليفونات » ، فانتزعت نفسي من السرير انتزاعا ، ووضعت غطاء الرأس الروسى على رأسى ، وتدفرت بالمعطف الثقيل ، ورحت أدب في طرقات الفندق الباردة حتى وصلت الى الحجرة مصدر الشكوى . . وجدت مجموعة من فتيان الفرقة وفتياتها يحيطون بالسيدة البولندية المسئولة عن الطابق ، والجميع في حيرة كاملة ، فقد مروا على كافة الحجرات التى فى الطرقتين العلوية والسفلية ، الجميع بخير الا أن الانين المتقطع لا يتوقف . ودخلت الى الحجرة وسمعت الصوت . بالفعل ، أنين شخص يعانى من ألم شديد ، يتوقف عندما يفتقر الصوت من شدة الألم ، ثم يعود ليتجدد .

كنت لم استيقظ بعد استيقاظا كاملا . . وتفكرى لم يصل الى حالة من النقاء تسمح لى بالتعليل ، فقلت كسا للوقت « غريبة !؟ » .

وما أن قلتها حتى انطلق الى الوجوه تعبير رعب لم أفهم معناه ، وقبل أن أصل الى سر هذا التعبير ، انطلقت احدى الفتيات صائحة « باماما . . ده لازم عفريت !! » وحتى الآن لا أفهم كيف انتقل معنى هذه الكلمات العربية الى السيدة البولندية ، ففهمتها ، وبدا عليها مباشرة نفس الرعب ، النابع من نفس الفكرة !! . ولما كنت لا أومن بمسألة المفاريت هذه ، ولما كنت على درجة من الرغبة

فى النوم ، لا تسمح لى بمناقشة هذه المسألة ومحاولة اقناع المدعورين بما أومن به . فقد اكتفيت بشخطة حاسمة « بلاش كلام فارغ انتى وهوه .. مادام كلكم بخير خشوا ناموا ، والصبح نبقى نشوف ايه الحكاية دى .. » . وانصرفت تاركا كل واحد منهم يتجه الى حجرته فى خطوات مسحورة مدعورة .

وفى الصبح انتشر الخبر قبل موعد الافطار وفوجئت عند هبوطى الى المطعم بمدير الفندق يسألنى عما حدث ، وحكىت له القصة ، وبدأت أصف له الصوت ، فقاطعنى قائلا أنه قد صعد الى الطابق الذى صدرت منه الشكوى واستمع الى الصوت .. ولا يعرف له تفسيراً !! ..  
حتى انت يا حضرة المدير !

بعد أن تناولنا طعام الافطار ، والحديث لا يدور إلا عن هذه الحكاية ، صعدت مرة ثانية لاعاود البحث مع بعض اعضاء الفرقة عن سر هذا الصوت الغريب .. وتبين لنا أخيراً أن أنابيب التدفئة المركزية هى مصدر الصوت .

عندما جاء المختص بنظام التدفئة المركزية بالمبنى وحكىنا له القصة ابتداء من الاصوات وحتى العفاريث .. استغرق فى نوبة من الضحك ، وقال ان الانابيب هى بالفعل مصدر الصوت ، نتيجة لتباين الضغط على بخار الماء المخالط للماء الذى يجرى داخلها .

وبمثل هذه البساطة انتهت أسطورة العفريت الذى يسكن شاطئ البحر البلطيقى .

## جميل جمال . . في نوفى بازار :

وعالم الفنادق كان ينقلنا من فخامة القصور ، الى  
أسوأ ظروف الإقامة بدون رحمة . .

ولعل أسوأ تجربة في الفنادق ، واجهتنا في بلدة  
صغيرة تدعى «نوفى بازار» في جنوب شرق يوغوسلافيا .

كنا قد أوشكنا على الانتهاء من حفلاتنا في يوغوسلافيا ،  
ونستعد للسفر الى الدولة الأخيرة ، البانيا . وقيل لى  
أن العرض التالى سيكون في مدينة نوفى بازار . . وكالعادة  
رحت أبحث في الخريطة التى أحملها عن موقع هذه المدينة  
 فلم أعثر عليها . عدت الى أحد المرافقين أستفسر منه  
عن موضع المدينة على الخريطة ، فدلنى على إشارة دقيقة  
لموضع المدينة مثبت الى جانبها اسم المدينة في حروف  
أكثر تواضعا . . وتساءلت عن السر فى اختيار هذه  
المدينة الصغيرة بالذات . . فتعرضت لمحاضرة طويلة عن  
بساطة أهل هذه المنطقة وعن احتياجهم الى الترفيه  
شأنهم فى هذا شأن سكان بلغراد وزغرب وسراييفو . ولما  
كنت من أنصار ضرورة انتقال العمل الثقافى الى الريف  
والى الاقاليم ، فقد أمنت على كلامه ، وبدأت القافلة  
رحلتها من العاصمة بلغراد الى المدينة المنشودة ، ثلاثة  
أتوبيسات ، تتبعها ثلاثة لوريات تحمل مهمات الفسقة  
وحقائب الاعضاء .

وما أن قطعنا ربع المسافة حتى بدأت المشاكل ، تحطم  
فجأة الزجاج الامامى للاتوبيس . . هكذا ، وبدون سبب  
.. وتطايرت شظايا الزجاج داخل الاتوبيس وسط صياح



الجميع وصرخاتهم . . وتوقفت القافلة ، وتكاثرت الاسئلة . . . لا شيء انه سرطان الزجاج . . بدون سبب وبلا توقع  
يتفتت لوح الزجاج الى حبات صغيرة كالرمال . . .  
وبعد ؟ .

سنتصل ببلغراد في طلب أتوبيس آخر . والى أن يتم  
هذا ؟ . . يمكن أن تنتقل الفتيات الى أتوبيس آخر ، ويبقى  
الشباب في الاتوبيس المتوقف لحين وصول النجدة . .  
المهم أن نواصل الرحلة حتى نصل في وقت معقول يسمح  
بترتيب أماكن النوم . . وساعتها فقط ، عرفت أن الفرقة  
ستنام في أربعة أماكن متفرقة . خلفنا وراءنا الاتوبيس  
المتعطل ، وانطلقت القافلة الى نوفي بازار . . ولكن بعد  
أن تحركت الى السيارة الصغيرة ، ينساء على طلب كبير  
المرافقين ، حتى نسبق الفرقة وننظم أماكن الإقامة ،  
باعتبار أن السيارة ستكون أسرع من الاتوبيس .

انطلقت بنا السيارة بأقصى سرعتها ، وبرغم هذا فقد  
وصلنا الى نوفي بازار في منتصف الليل . المدينة متواضعة  
للغاية ، مظلمة ، يختلط في شوارعها الوحل بالجليد الأخذ  
في الدوبان . . وبعد الدخول والخروج من شوارعها  
الضيقة وصلنا الى مبنى متواضع جداً ، قيل لى أنه  
الفندق الوحيد بالمدينة ، وأحد المواقع التى سنقيم فيها ،  
وهو لا يتسع لأكثر من عشرين فردا . . أخذت أتجول في  
حجرات الفندق . . . شيء لا يمكن أن يصل الى مستوى  
فنادق الازهر والخسین الشهيرة . . ولكن ماذا أفعل ؟ . .  
سألت ، والمواقع الأخرى ؟ . . قيل ، استراحات  
للمبيت ، وهى وان كانت بعيدة بعض الشيء إلا أن

مستواها أفضل من الفندق ، سألت عن موقع هذه الاستراحات ، فقل لي باختصار شديد أن الفندق يتوسطها . قلت ، سأبقى بالفندق ليسهل على الاتصال بباقي أعضاء الفرقة ، لتنظيم العمل .

قالوا لي وهم ينصرفون للملاقة الاتوبيسات ، يمكنك أن تهبط الى مطعم الفندق لتناول كوبا من الشاي الساخن . ورغم عدم حماسي لعمل أي شيء ، قبلت هذا الاقتراح هربا من رائحة الفندق ، فوجدت ما أسموه بالمطعم اشبه بمقاهي بولاق البسيطة . .

جلست الى احدى الموائد اتفقد المكان من حولى ، وخواطرى تتلاحق ، انا شخصا أستطيع أن أتكيف مع أى مستوى من مستويات المعيشة . . . لكن ، ما العمل عندما تصل جحافل الفرقة منهكة ، متوترة الأعصاب ، وتفاجا بظروف الإقامة هذه ؟!

قطع على خاطرى جرسون المطعم الذى أقبل متهلا ليقول « السلام عليكم » . . !! على التو ارتبكت أجهزة الادراك عندى . . التناقض الشديد بين هذه الغربية المركبة التى أحياها بجسدى وفكرى ، وهذا التعبير الذى أوحشنى حقا . . وأخيرا ، أفقت لابتسم وأرد عليه التحية ، « وعليكم السلام » . . وحاولت أن أواصل الحديث ، الا أن نظرة عتاب ، أفهمتني أن هذه التحية هى كل حصيلته من اللغة العربية . . ثم انصرف وعاد بعد قليل ، يحمل صينية الشاي التى حرص على أن تكون بأفضل الامكانيات التى لديه رغم تواضعها . ثم انصرف مرة ثانية ليقبع أمام جهاز راديو عتيق فى ركن

من أركان المطعم ، أخذ يعالجه مارا على محطات الارسال  
واحدة اثر الاخرى . . الى ان انطلق صوت فريد الاطرش  
« جميل جمال ، مالوش مثال » ، فأرسل لى من مكانه  
ابتسامة تحية ، وانصرف الى عمله . . وكان من نتيجة  
هذا ان اثارت الاغنية فضول رواد المطعم ، فانصرفوا عن  
أحاديثهم ، ليوجهوا أبصارهم ناحيتى ، فى فضول صامت .  
وأخيرا ، وصل كبير المرافقين مع بعض أعضاء الفرقة  
الذين سيقيمون بالفندق ، وأخذت أستفسر منه عمن  
حقيقة الوضع ، فاعترف أن المجموعة الاولى تنزل فى  
استراحة قبيل الفندق بمسافة ١٥ كيلومترا ، وأن  
الاستراحة التالية تلى الفندق بمسافة ٢٠ كيلومترا ، تليها  
استراحة أخرى تبعد عن الفندق بمسافة ٣٠ كيلومترا !!  
وهكذا أصبحت الفرقة موزعة على مدى ٤٥ كيلومترا .

أخذت أعاتب كبير المرافقين ، فراح يتعلل بأنه ليس فى  
الامكان ابداع مما كان ، وأنا سنتحمل ليلة واحدة أخرى  
ثم نسافر الى المدينة الكبيرة التالية « متروفيتسا » ،  
حيث ظروف الإقامة الطبيعية والفندق الكبير .

الا أن المجهود الشاق الذى كنا نبذله كل مرة لتجميع  
الفرقة من أجل بروفة أو وجبة طعام أو من أجل تقديم  
العرض ، جعلنى أصمم على السفر الى متروفيتسا بمجرد  
نهاية العرض فى توفى بازار ، رغم احتجاج كبير المرافقين ،  
وقوله ان هذه المفامرة قد تتمخض عن عدم وجود أماكن  
خالية بالفندق . . قلت فى صبر نافذ ، نبحث عن أماكن  
للفتيات وننام نحن فى الاتوبيسات ! . وكان تقديرى فى  
الواقع ، أنه بعد نهاية العرض ، وإلى ان ننتهى من تجميع

مهماتنا المسرحية ، وحقائب الاعضاء المبعثرة على مدى ٤٥ كيلومترا ، ثم الى أن نصل الى مدينة متروفيتسا ، يكون قد انقضى أغلب الليل ، ويمكننا أن ننام طسوال النهار التالى ، حيث لم يكن فى برنامجنا عمل معين طوال ذلك النهار . رغم تحمس الجميع لهذه الفكرة ، وسعادتهم بالرحيل من نوفى بازار . . الا أن اختلالا فى التقديرات الزمنية اقتضانا النوم داخل الاتوبيسات لمدة ثلاث ساعات على الاقل أمام باب الفندق فى متروفيتسا ، بعد أن دبرنا أماكن بالفندق للفتيات والمرضى .

وهكذا بقيت ذكرى مفامراتنا فى « نوفى بازار » ، كذكرى لاقصى ظروف اقامة واجهتنا طوال رحلتنا الغريبة .

### راسيا الموسكوفى . . واكتشاف متأخر :

فى مقابل ذكرى اصفر الفنادق التى اقمنا بها ، تعيش ذكرى اكبر الفنادق ، الذى استقبلنا كقطرة فى بحر نزلائه . . فندق « راسيا » بموسكو .

فندق « راسيا » من أحدث فنادق موسكو واضخمها فى نفس الوقت ، فهو يتسع لاستقبال ستة آلاف نزيل فى وقت واحد ! . ولا يمكن أن انسى مشهد وصولنا الى ذلك الفندق الضخم ، كنا نلج ابوابه فى نفس الوقت الذى تتدافع على ابوابه عشرات الوفود المقيمة فيه . . نفس المشهد الذى رأيته عندما كنت أعبر بوابات الاستاد فى مدينة نصر يوم مباراة هامة مع « ريال مدريد » ! .

وقبل تحركنا من محطة موسكو الى الفندق ، حرص المرافقون على التنبيه علينا أكثر من مرة ، بالتجمع بعد الدخول من باب الفندق الى يمين البوابات مباشرة ، حتى لا نفقد بعنينا وسط هذه الدوامة البشرية . توجهت مع المرافقين الى ادارة الفندق حتى ننظم أماكن المبيت ونتسلم أرقام الحجرات ، فتولى مندوب عن الفندق أمر تزويدي بالعديد من النصائح والتعليمات . فالفندق رغم أن بناءه قد اكتمل ، إلا أن الانشاءات الداخلية بقي منها الكثير في دور الاستكمال .. المصاعد مثلا ، لا تعمل جميعا ... وبناء على هذا يجب على كل فرد أن يعرف بالتحديد أي المصاعد أقرب الى حجراته ، ثم ماهو الطريق الذي سيسلكه عندما يخرج من المصعد ليصل الى حجراته . كان مندوب الفندق يلقي هذه التعليمات بكثير من الجدبة تصبغ حديثه صبغة اعتزاز وافتخار ، فتصورت أنه يبالغ في تعليماته هذه كنوع من المباهاة بضخامة الفندق ، إلا أن الأيام القليلة التي قضيناها في ذلك الفندق العملاق أكدت لي صدق تحذيراته . الخطأ البسيط في اختيار المصعد المناسب ، قد يؤدي بالفرد أن يسير مسافة لاتقل عن كيلومترين من الطرقات المفروشة بالسجاد الازرق السميك ، حتى يصل الى حجراته .

كان أول التعليمات مراعاة المدخل المناسب للفندق : فالفندق له مدخلان متشابهان تمام الشبه .. أحدهما يطل على الكرملين والآخر في الجهة المقابلة له تجاه المدينة ، ويكفى أن يلتبس عليك الامر في اختيار المدخل المناسب ، حتى تفقد الأمل في الوصول الى غرفتك ،

وكان البند التالي في التعليمات ، هو شرح الطريق الى  
المطعم الذى ستتناول فيه الفرقة وجباتها ، فالفندق به  
عشرات المطاعم وعشرات البوفيهات ، ونتيجة لعدم  
استكمال طاقم المصاعد ، فقد كان المطعم بمكانه المقابل  
لموقع حجراتنا ، مصدر عذاب متصل فى الرحلات الثلاث  
على مدى اليوم . . كنا نقف فى طابور المصاعد الهابطة من  
الطابق التاسع عشر الذى كنا نقيم فيه ، ونهبط الى مدخل  
الفندق ، ونخرج من أبوابه الزجاجية الضخمة لتتلقى  
صدورنا عواصف الجليد المتناثر ، ونروح ندور حول  
الفندق من الخارج مسافة طويلة على امتداد ظلعين من  
إضلاعه ، حتى نصل فى النهاية الى الباب الذى يقود الى  
المطعم الذى خصص لنا . . كانت هذه الرحلة مصدر  
عذاب للجميع . . وكم من واحد تنازل عن أحسدى  
الوجبات ، ايثارا للراحة والدفاء .

الطف مافى الموضوع أنه فى يوم اقامتنا الاخير بالفندق ،  
وكنت بصحبة المخرج السينمائى سيد عيسى الذى كان  
يتم فى ذلك الحين دراسته بموسكو ، والفنان الصالح  
جمال كامل الذى رافق الفرقة لعدة أشهر ، وكنا فى  
طريقنا من حجرتى الى المطعم ، وفى طريقنا الى المصعد ،  
وجدنا سلما هابطا . . ومن باب المغامرة ، قررنا أن نهبط  
لنرى الى أين يؤدى بنا . . وكانت المفاجأة الكبرى ان  
وجدنا أنفسنا عند نهاية الدرج فى داخل المطعم المنشود . .  
وعرفنا بعد ذلك أنه الى جوار هذا السلم يوجد مكان  
المصعد الذى لم يتم تركيبه بعد والذي يفترض ان  
نستخدمه فى رحلتنا الى المطعم .

## ناخت سيناتور يوم .. في ألمانيا :

لعل أغرب تجاربنا مع الفنادق وأماكن الإقامة ، كانت  
تنتظرنا عقب وصولنا الى ألمانيا الديموقراطية ، ولهذه  
القصة مقدمات لا بد منها .

كانت برامج الزيارات طوال الاشهر الستة موزعة  
باحكام بين الدول المختلفة ، على أساس أن تسلمنا كل  
دولة من حدودها الى حدود الدولة المتاخمة التالية .  
وهي حركة ذكية لجأت اليها ادارة التبادل الثقافى بوزارة  
الثقافة حتى لا تدفع مليما واحدا طوال جولتنا خلال هذه  
الاشهر الستة . فمنذ أن أسقطتنا فى أنقرة بتركيا ،  
وحتى تسلمتنا فى ميناء دورسى بألبانيا ، كانت كافة  
نفقات اقامتنا وتنقلاتنا على ميزانية دولة من الدول التى  
زرتها .

الا انه كانت هناك ثغرة فى وسط هذا البرنامج فى  
الفترة ما بين ٢٠ ديسمبر و ٥ يناير . . فقد اعتذرت كافة  
الدول عن استقبال الفرقة فى هذه الفترة ، باعتبارها  
فترة اعياد الكريسماس ورأس السنة ، حيث تتعطل  
كافة الاجهزة التى يجب أن تتعامل معنا . وكان الدكتور  
مجدى وهبة مدير عام التبادل الثقافى قد أخطرني قبل  
السفر ، أنه بصدد الوصول الى حل لهذه الفترة ، وأنه  
سيبرق بهذا الحل فى ظرف شهر من بداية الرحلة .

مضى أكثر من شهر . . ولم أتسلم اخطارا ما من القاهرة .  
وما أن وصلت موسكو حتى أجريت اتصالا تليفونيا  
بالقاهرة ، أسأل عن مصيرنا فى تلك الفترة ، فقبل لى أن

الاتحاد السوفيتى سيستقبلنا مرة ثانية بعد انتهاء عملنا فى بولندا وخلال هذه الفترة ، علينا أن نقدم حفلاتنا فى طشقند وسمرقند . ورغم ماسيفرضه علينا هذا الحل من ارتباك فى خط سيرنا ، وما يضيفه الى رحلتنا من آلاف الكيلومترات بالقطارات والاتوبيسات ، إلا أنه بعد كل شيء ، مخرج لنا من أزمة هذه الأيام الساقطة .

وقبل أن نغادر موسكو الى ريجا لنقدم حفلاتنا هناك ، فى طريقنا الى بولندا ، أخطرني مستشارنا الثقافى بموسكو ، أن الاتحاد السوفيتى قد صرف النظر عن هذه الفكرة ، فأوصيته بمتابعة الاتصال بالقاهرة ، على أن يصلنى الرد النهائى فى وارسو .

وفى بولندا .. علمت من السيدة كريمة الجوهري ، مندوبة ادارة التبادل الثقافى التى أوفدت لمرافقتنا طوال مدة اقامتنا فى بولندا ، أن النية متجهة الى التعاقد مع متعهد انجليزى لتقديم حفلات للفرقة بلندن فى هذه الفترة ... كان صدى هذه الاخبار على الفرقة طيبا ... فالرحلة ستكون مريحة بالطائرة ، وزيارة لندن لأول مرة ستكون بلا شك مصدر متعة للجميع .

الا أن السيدة كريمة ، عادت لتقول أن المسألة لم يتم البت فيها نهائيا ، وأنها مازالت فى دور المفاوضات مع المتعهد . وعاد القلق من جديد ينتابنى .. والايام تجرى مقربة بنا من هذه الفترة الحرجة .. فسارعت بالسفر الى وارسو لاجرى اتصالا جديدا بالقاهرة ، وبعد محاولات عديدة لاجراء الاتصال التليفونى فى ظل الظروف الجوية القاسية ، وصل صوت القاهرة ليؤكد أن المشكلة



قد حلت نهائيا ، وأننا سنتجه بعد بولندا الى ألمانيا الديمقراطية ، لننزل على ضيافتها بلا عمل طـوال هذه الفترة ، ثم نبدأ بعد ذلك جولة العمل داخل ألمانيا .

على الحدود البولندية الألمانية استقبلنا وفد المراققين الألمان . كان ذلك حوالى التاسعة مساء ، وبعد الترحيب ، وتبادل الكلمات الرسمية ، تكدسنا داخل الاتوبيسات فى الطريق الى « سفيكاو » فى جنوب ألمانيا ، حيث تقرر ان نمضى أيام الضيافة قبل أن يبدأ برنامج العمل .

كنا نتصور جميعا أننا سنمضى فترة الراحة فى برلين ، ولذا فقد جاء هذا القرار مخيبا للآمال ، وقد حاولت أن أستفهم من كبير المراققين عن هذه المدينة ، فقال كلاما كثيرا عن الهدوء وجمال الطبيعة والهواء النقى الصحى ! . . الى آخر هذه الأوصاف التى لم يكن رنينها فى أذاننا يترجم نفس الطريقة الشعرية التى قيلت بها .

وقبيل الفجر بساعة تقريبا ، وبعد رحلة استمرت حوالى الخمس ساعات ، وعندما وصلنا الى منطقة معزولة عن العمران . . . أشار كبير المراققين بيده الى بصيص من النور يظهر فى نوافذ مبنى قاتم مقام على ربوة ، تحوطه فروع أشجار يابسة تساقطت أوراقها . . أشار بيده وعلى فمه ابتسامة مطمئنة ، هاهو « النساخت سيناتور يوم » .

وقفت الاتوبيسات فى الساحة التى أمام المبنى بعد أن عسرت السياج المقام حول ساحة البيت تاركة آثار عجالاتها مفروسة فى الجليد الأبيض الناصع ، وما أن وقفت

الاتوبيسات وصمتت محركاتها .. حتى هبط على المنطقة  
سكون مطبق ، صمت غريب ثقيل ، تكاد أن تسمع  
له صوتا !! ..

وبدا المشهد ، بظلمته الشديدة التي يكسر حداثتها لمعان  
الجليد المكتوم في بعض الاركان ، بأشجاره التي تشابكت  
أغصانها العارية ، بالمبنى الرابض في رسوخ على الربوة .  
بدا هذا كله وكأنه مقتطع من إحدى روايات أجاثا كريستي  
البوليسية ، أو تمثيلات هتشكوك التليفزيونية المربعة .  
هنا سنقيم لمدة نصف شهر ، نحتفل بأعياد السنة الجديدة  
على بعد ثمانية كيلومترات من أول مظهر من مظاهر  
ال عمران .. في ناخت سيناتور يوم مدينة سفيكاو ..

الا ان هذه الخواطر لم يكتب لها أن تستمر طويلا ،  
فسرعان ما بددتها صيحات ونداءات تبادلها أشسبال  
النيل !!! .. وبدأت على الفور ملحمة توزيع الأعضاء على  
الحجرات ، فاول مرة منذ ثلاثة أشهر ، سيستقر أعضاء  
الفرقة في مكان واحد ولمدة خمسة عشر يوما كاملة ..  
ومن هنا كان حرص كل واحد على التوصل الى أفضل  
ظروف الإقامة والضيحة . واكتشفت أن عدد الأماكن  
المتاحة لا يستوعب جميع أفراد الفرقة ، فقبل لي ان هذه  
هي الطاقة القصوى للمكان ، وأن هناك خمسة أماكن  
لقيادات الفرقة في فندق بمدينة سفيكاو ، على بعد ثمانية  
كيلومترات .

أحسست بسعادة غامرة .. هكذا ، أخيرا ، ستتاح  
لي إجازة لمدة أسبوعين من المسئولية الدائمة عن هذا  
المجتمع ، هذه المسئولية التي كانت دائما تنسحب على

مدى ٢٤ ساعة في اليوم .. الآن ، والآن فقط ، استطيع  
أن أنام نوما ثقيلا بلا توقع لرنين التليفون ينقل الى  
سمعى مشاكل الفرقة التى لا تنتهى ، من مرض مفاجيء ،  
الى خلاف طارئ يستدعى التدخل .

على الفور ، تعجلت الانتهاء من اجراءات توزيع  
الحجرات وتحديد أسماء الذين سيقيمون معى بالفندق ،  
وحددت مسئولا عن المجموعة المقيمة بالناخت سيناتور يوم  
واخذنا طريقنا الى الفندق . وما أن وصلت الى الفندق ،  
حتى أسرعت الى حجرتى واستلقيت على سريرى ،  
والهدوء يحيط بى ، لا تصل الى أذنى صيحات شـباب  
الفرقة ، والحوار العادى لشيخوخا المرتفع الطبقة بطبيعته  
.. ورحت فى نوم عميق ، يضاعف من عمقه احساسى  
بالكيلومترات الثمانية التى تفصلنى عن الفرقة .. كل  
كيلومتر منها يتضمن ألف متر بالتمام والكمال ..

وفى الصباح تصاعدت طرقات ملحة على باب الحجرة ،  
بلغ من تصاعدها أن نجحت فى انتزاعى من حسالة النوم  
العميق المطمئن التى كنت أستمتع بها .. وبجهد واضح  
قمت أتعثر لافتح الباب .. ولتطالعنى من جديد وجوه  
بعض أعضاء الفرقة ، تتزاحم فى فتحة الباب !!! ، تبدد  
روهى تماما ، وضاعت أحلام الكيلومترات الثمانية التى  
تضمن كل كيلو متر منها ألف متر ..

— اتفضلوا ..

قلتها يائسا ، عائدا الى سريرى ، وهم يتدفقون الى  
داخل الحجرة يملأون فراغها .

— هي الساعة كام دلوقت « قلتها بشيء من العتاب »  
— الساعة اتناشر .

الثانية عشر . . لسنا في الصباح اذا ، يبدو أن وصولي  
الى الفندق في الرابعة صباحا ، ثم الجو القاتم الملبس  
بالغيوم ، قد أوحيا لى أننا مازلنا فى مطلع النهار .  
— نعم ؟ . .

قلتها فى مواجهة صمتهم وترددهم فى بدء الحديث ،  
فانبرى محمد خليل يروى فى حماس والم سبب هجومهم  
الصباحى على حجرتى .

منذ بداية اليوم كانوا قد تعرفوا على جغرافية المكان ،  
وبلغة الإشارة العالمية ، كانوا قد فهموا أنه على بعد أمتار  
قليلة من مكان اقامتهم توجد محطة أتوبيس ، وأن هذا  
الاتوبيس يصل الى المدينة ، وعلى الفور بدأت الافواج  
تتسلل من الناخت سيناتوريوم الى المحطة ، فالمدينة .

ومدينة « سفيكاو » ، مدينة هادئة صغيرة ، ما ان  
انتشرت جحافل الفرقة فى طرقاتها حتى اثارت فضول أهل  
المدينة . . وباستخدام بعض المفردات الانجليزية  
والفرنسية ، استطاع أعضاء الفرقة أن يشرحوا قصة  
وجودهم بالمدينة ، وأنهم أعضاء فرقة الرقص الشسمى  
من الجمهورية العربية المتحدة . . « واين تقيمون ؟ » .  
هكذا كان يجيء السؤال وعلى الفور تخرج الاوراق من  
جيوب أعضاء الفرقة ويروحون يتهجون بصعوبة « فى  
الناخت سيناتوريوم » . . وينفجر أهل المدينة فى عاصفة  
من الضحك ، ويواصلون سيرهم دون تعقيب ، وهم

يتبادلون حديثا ضاحكا بالالمانية ، وسط تعجب أعضاء  
الفرقة واندعاشهم .

ثم ، تتكرر نفس القصة أكثر من مرة ... !  
فبدأت تنتابهم الوسوس .. الذى يعلمونه أنهم  
يقيمون فى مكان أشبه بالمستشفى .. فما الذى يثير  
الضحك والتعجب فى هذا ؟ .. لابد أنها مستشفى  
للأمراض العقلية !! .

وبهذا الاستنتاج كان هجومهم المحتج على حجرتى .  
قلت لهم أن استنتاجاتهم فى غير محلها .. والمكان لا يعدو  
أن يكون نوعا من المصححات .

قالوا باصرار .. اذا فهو مصحة للأمراض العقلية ! ..  
وكان لابد من الاتصال بالمرافق الالمانى ليتولى شرح  
حقيقة الامر .

وجاء الشرح مطمئنا للجميع .

سفيكاو ، احدى مدن الجنوب الالمانى ، وهى مركز  
ضخم للتعدين والمناجم ، وكلمة « ناخت سيناتوريوم »  
الالمانية ، تعنى « مصحة ليلية » . فالدولة ، رعاية لعمال  
المناجم بظروف عملهم الشاق ، تقيم هذه المصححات  
الليلية فى مناطق المناجم ، لتجرى فيها فحصا دوريا دقيقا  
على كل عامل ، توقيا لحدوث أمراض المهنة .. والعامل  
اى عامل يكون عليه فى وقت ما من السنة أن يمضى  
بهذه المصحة مدة نصف شهر ، يخضع خلالها لكافة  
الفحوص والتحاليل الطبية ، حتى تطمئن الدولة على  
حالته الصحية ... وقد سميت ليلية ، لان العامل

خلال هذه الفترة ، يذهب الى عمله كالمعتاد صباحا ، ولكنه لا يعود الى بيته في نهاية عمله ، بل يتجه الى المصححة ليقوم بها حتى يحين موعد العمل في اليوم التالي .

ولما كان العمال جميعا في اجازة رأس السنة ، وكذلك اطباء العاملين في المصححة ، فقد رأت وزارة الثقافة الالمانية استغلال هذا المكان لاقامة الفرقة في فترة الاعياد ، نظرا لاستحالة تدبير مكان لجميع الاعضاء في فنادق برلين التي يشتد الزحام عليها في فترة الاعياد هذه . وهكذا تبذرت مخاوف أعضاء الفرقة ، واطمأنوا على عقولهم ! .

ورغم ظروف المصححة ، وبعدها عن العمران ، فقد استطاع أعضاء الفرقة ان يجعلوا من فترة اقامتهم بها ، اياما سعيدة ، يتذكرونها حتى اليوم بتفاصيلها الدقيقة .

كنت قد اغتصبت من سفارتنا ببولندا مجموعة من الاسطوانات لام كلثوم ، وفايزة احمد وعبد الحليم حافظ ومحمد رشدي ، وأقول اغتصبت ، لاني اخذتها بعد الحاح شديد في مواجهة الممانعة التي ابدتها أعضاء السفارة ، وخوفهم على ضياع هذه المجموعة . . وكانت هذه الاسطوانات مصدر متعة دائمة لأعضاء الفرقة . وكان صوت البيك آب لا ينقطع طوال ساعات الليل ار النهار . في حدود هذه المجموعة من الاسطوانات ، اقيمت محطة اذاعة محلية في الناخت سيناتوريوم تولت اذاعة هذه المجموعة بكافة التباديل والتوافيق الممكنة ، وعلى انغام هذه الاغاني تمت الحفلات الراقصة ، وحول

هذه الاسطوانات انعقدت حلقات البكاء الحسري ،  
حيننا للوطن .

الطريف ، انه في كل سفارة نصل اليها ، كنا نجد  
من يقول مبتسما « الاستاذ عبد العزيز اتكلم من وارسو  
.. وبيقول تسبوا الاسطوانات عندنا » ، فنؤمن على  
هذا الكلام ، وننسى هذا المطلب حتى السفر الى الدوحة  
التالية ... وبهذا تم تسليم هذه المجموعة الى أعضاء  
سفارتنا في ألمانيا وقبل صعودنا الى الباخرة ! .

في مصحة سفيكاو هذه ، تم تنظيم أضخم حفل خاص  
اقامته الفرقة لأعضائها .. وحضره وفد المرافقين الالمان  
بالإضافة الى المترجمين وكانوا من المراقبين الذين  
يدرسون في ألمانيا ، كما حضره العاملون والعاملات في  
المصحة ، من الذين حرموا الاستمتاع بأجازة العام الجديد  
لخدمة أعضاء الفرقة ، وتقديم الوجبات لهم .

في ذلك اليوم ، يوم الكريسماس ، قررت اللجنة المشرفة  
على الاحتفال اعفاء عمال المصحة وعاملاتها من العمل ،  
وتوزيع عملهم على أعضاء الفرقة .. لجنة لتنظيف المصحة  
وأخرى لطهي الطعام ، وثالثة للأعداد للحفل المسائي ..  
وغاصت راقصات الفرقة في قزانات الطهي الضخمة ،  
فقد كان القرار ان يكون الاكل مصريا .. أرز مفلفل على  
الطريقة المصرية ، وكوسة بالدمعة ، وكفتة بالبصل ...  
وتحول هذا القرار الى مقلب شربه راقصات الفرقة  
اللائى أمضين الساعات الطوال في دق الكفتة ، وتنقيسة  
الارز ، وتحريك الطعام في القزانات الضخمة ، وشرب  
المقلب أيضا باقى أعضاء الفرقة والضيوف ، في الكوسة

التي تتصاعد منها رائحة الشياطين ، والكفتة التي تشبعت  
بالمالح ، إلا أن الحماس للعمل والمناسبة لم يسمح لاي فرد  
بالانتقاد ، بل على العكس ، وقفت كل من ليونى ونوال  
تتلقيان عبارات الثناء والاستحسان على جهودهما  
المشرفة ! !

وفي المساء أقيم الحفل الساهر الكبير الذى حضره  
الجميع ، وتولى كمال نعيم مصمم الرقص بالفرقة ، وضع  
وترتيب البرنامج ، الذى تضمن عرضا حقيقيا للأزياء ،  
علل سر انتفاخ حقائب بنات الفرقة ووزنها الثقيل ، ثم  
عرض كوميدى للأزياء التنكرية ، وكان من أنجح فقراته  
تنكر هدى فى زى مواطنة من أواسط افريقيا ، وتنكر  
عبد السلام عبد المتجلى ، عازف الزمار الصعيدى ، فى  
زى فتى أسباني من شباب الهيبز ! ! . وتوالت الفقرات  
بين ضحكات الجميع ، وهمس كبير المرافقين فى أذنى  
ودموع الضحك تترقرق فى عينيه « لقد بلغت السبعين من  
عمرى ، وحضرت مئات الحفلات الشبيهة ، ولم يحدث  
أبدا أن ضحكت مثل هذا الضحك . أنتم أبناء شعب  
يتدفق حيوية » .



## حياة كاملة.. على عجالات

### جداول لوغاريتيمات .. لخمس دقائق :

من أنقرة أول مدينة في الرحلة وحتى دورسى آخر مدينة ، وعلى مدى ١٥٩ يوما ، قطعت الفرقة الاف الكيلومترات ، اما بالاتوبيس أو بالقطار .

قطعنا ١٠٦٤ كيلومترا بالاتوبيس ، وقد تم هذا على مدى ٢٤٩ ساعة و ٤٠ دقيقة ، وقطعنا ٦٧١٢ كيلومترا بالقطارات ، على مدى ١٢٨ ساعة ، و ٥٥ دقيقة ... وهذا يعنى أكثر من ٣٧٨ ساعة من السفر ليلًا ونهارًا ، أغلبها تحت وابل المطر الثقيل الكثيف ، أو عواصف الجليد العاتية ، وأندرها تحت أشعة شمس صفراء باهتة خادعة ، توحى بالدفع ولا تفى به .

وكالعادة بدأت هذه الرحلات الطويلة مثيرة للحماس ، مشبعة للفضول ، حافلة بالتعليقات الطريفة والنسكات والاغاني الجماعية . . وعلى مر الايام ، تحولت الى ساعات من المعاناة والعذاب . كل ماهو مشير ، تحول الى روتين جاف ، بارد ، يثقل على النفس ولا يهزها ، تبدد الفضول وأصبح بالامكان التنبؤ مسبقا بكافة الحالات

التي ستتوالى ، نفذ رصيد التعليقات الطريفة ، والنكات  
المبتكرة ، وتحولت الاغانى الجماعية الى اجراء روتينى  
لمواجهة الساعات الطويلة التي لا تنتهى ، تردها الافواه  
دون حماس ، وتقصر عن المشاركة فيها كلما امكن ذلك .  
حقيبتى الحمراء الصغيرة التي كنت احتفظ فيها بآلة  
التصوير والافلام وبعض الاوراق اللازمة ، وكتاب او  
كتابين لمواجهة هذه الساعات الطوال ، تحولت الى صيدلية  
متنقلة ، درامامين لمواجهة الدوار الناشئ عن رحلات  
الاتوبيس الطويلة ، فيتامين سى ، نقط للأنف ، اسبرين  
... الى آخر القائمة .

وكما حدث فى الفنادق ، جرى فى الاتوبيس . كنا  
نصعد الى اول اتوبيس يصادفنا من بين الاتوبيسات  
الثلاثة ونجلس كيفما اتفق ، وكنا دائما نجد الاماكن التي  
تكفينا جميعا دون عناء ، متعجلين الرحلة ، متشوقين  
الوصول الى المدينة التالية ، بكل ماتحمل فى طياتها  
من جدة ومفاجآت . وعلى مر الايام ، بدأت المشاكل .  
وظهر بوضوح أننا نحتاج الى تنظيم خاص فى مكان كل  
واحد داخل الاتوبيس حسما لهذه المشاكل ... هذه  
تريد أن تجلس الى جانب النافذة ، وذاك يحتج على  
جلوسه فى نهاية الاتوبيس وفوق عجلته الخلفية بما  
تسببه من اهتزازات واجهاد ، وثالث يحتج على الضوضاء  
التي يحدثها الشباب داخل الاتوبيس مما يحرمه من  
النوم كوسيلة لقتل الوقت .

وعدنا الى الاوراق والاقلام ، نبتكر نظاما يريح الجميع  
فامكن تجميع العازفين فى اتوبيس واحد ، باعتبار السن

والطبيعة المتجانسة ، وتجميع الفتيات والسيدات مع أزواجهن في أتوبيس ، وبقي الاتوبيس الثالث للشبان وبعض الإداريين . . ثم تحدد مسئول عن كل أتوبيس ، ينظم جلوس الأفراد داخله ، ويطمئن على اكتمال العدد قبل أن يعطى أمر التحرك للسائق . . وبقيت بعد ذلك مشكلة الجلوس في المقاعد الامامية أو الخلفية ، فلم نجد مناصا من وضع كشف يحدد جلوس الأفراد داخل الاتوبيس ، بحيث يتزحزح الجلوس في كل رحلة خطوة الى الامام ، وينتقل اصحاب المقعد الامامى الى المقعد الخلفى . . هنا فقط اطمأنت النفوس ، وخفتت صيحات الاحتجاج .

وكان على مسئول الاتوبيس أن يتابع هذه الزحزحة في كل رحلة ، ويحسبها ، ويضع لها الجداول الشببيهة بجداول اللوغاريتمات الرياضية . . الغريب في الموضوع ، أن هذا النظام انحكم المحسوب بدقة كاملة ، كان ينهار نهائيا بعد خمس دقائق من بداية تحرك الاتوبيس . مايكاد كل واحد يطمئن على مكانه ، ويطمئن قبل هذا على أن القواعد العادلة قد تم تطبيقها بأمانة مطلقة ، حتى يسود الهرج والمرج كافة مقاعد الاتوبيس ، فيذهب صاحب المقعد الامامى الى آخر الاتوبيس ليجرى حوارا طويلا مع زميل ، وتنتقل احدى الفتيات لتحشر نفسها بين زميلتين لتتقارب الرءوس في حديث هامس طويل ، تاركة مقعدها شاغرا لساعات طويلة .

هذه الفوضى الاختيارية ، ما كان يمكن أن تتم ، قبل أن يتثبت كل واحد من أن النظام الموضوع ، قد تم التزامه حرفيا وبلا تساهل ! .

## هيو هوب . . . على طريق سراييفو :

لعل أشهر رحلات الاتوبيس التى صادفتنا ، كانت فى يوغوسلافيا . أنهينا حفلاتنا فى زغرب ، وكان المفروض أن ننتقل الى سراييفو .

كنا فى منتصف فبراير ، وبرد أوروبا مازال قاسيا ، والجليد المندوف مازال يتهاوى كثيفا من السماء . . . علمت من كبير المرافقين أن الرحلة ستكون بالقطار ولن تستغرق أكثر من ست ساعات ، ولما كان القطار يتحرك فى الثامنة صباحا ، فقد تم ابلاغ أعضاء الفرقة بأن يكون التجمع بالمطعم فى تمام السادسة ، بعد أن تكون الحقائق قد تجمعت فى مدخل الفندق ، حتى يمكن نقلها الى المحطة فى وقت مبكر . .

فى السابعة كنا قد انتهينا من تناول افطارنا ، وجلسنا فى صالونات الفندق نترقب الدعوة الى ركوب الاتوبيس للتوجه الى محطة السكة الحديد . طال انتظارنا ، فرحت أبحث عن أحد المرافقين أستفسر عن سر هذا التلكؤ ، وعلمت لحظتها أن السفر بالقطار قد أصبح مستحيلا نتيجة للظروف الجوية . . فقد ألغيت رحلة القطار الى سراييفو بعد أن تراكم الجليد على القضبان بشكل لم تعد تجدى معه وسائل المكافحة التقليدية .

والحل ؟ . . سنسافر بالاتوبيس . حقيقة أن زمن السفر سيطول ، إلا أن الوسيلة ستكون أضمن ، واحتمال المخاطر أضعف .

تم ابلاغ الفرقة بهذا التغير ، وفى الحادية عشر صباحا تحركت القافلة فى طريقها الى سراييفو . كانت السماء

داكنة ثقيلة يلمع على خلفيتها الجليد المتساقط بلا انقطاع  
او توقف ، والمساحات الامامية للاتوبيس ، تعمل فى  
نشاط عصبى لازاحة الجليد المتراكم على الزجاج الامامى  
للاتوبيس ، لكنها بحركتها النشيطة هذه ، كانت تحيل  
الجليد الى طبقة من الثلج الزجاجى ، الذى يكون قشرة  
صلبة على الزجاج ، ماتلبث أن يتضاعف سمكها فتجعل  
الرؤية مستحيلة بالنسبة للسائق .. فكنا نتوقف ،  
ليهبط السائق مزودا بأدواته الخاصة لتكسير طبقة الثلج  
وتنظيف الزجاج ، ليواصل الاتوبيس رحلته .

فى حوالى الثانية ظهرا ، توقفنا عند أحد المطاعم لتناول  
غداء سريع ، ثم نواصل رحلتنا الطويلة .

خلال ساعات النهار القليلة كانت الرحلة محتملة ،  
فالأضاءة الضعيفة التى تبت من أشعة الشمس بعد  
اختراقها للسحب الكثيفة ، كانت تكفى لتعريف السائق  
حدود الطريق التى أخفت معالمها تماما أكوام الجليد .

الا أنه ماكادت ساعات النهار القصير أن تنقضى ، حتى  
أطبقت الظلمة أطباقا تاما ، وانخفضت بالتبعية سرعة  
انطلاقنا ، وبدأ الحذر واضحا على تصرف السائق .

الطريق أصلا ضيقة ، تسمح بتقابل سيارتين صغيرتين  
بسهولة ، لكن الامر يحتاج الى مقدرة خاصة عندما يلتقى  
أتوبيسان أو سيارتا نقل .. والطريق متعرجة تحتساح  
الى حرص شديد ، عند الانحناءات التى قد تفاجأ  
فيها بما يسدها . والادهى من هذا ، أنه الى جانب الطريق  
قناة أسمنتية مكشوفة ، تستخدم فى موسم الأمطار  
كمصرف لمياهها تسهلا للمرور .. الا أنه مع تكاثف  
الجليد ، اختفت تماما معالم القناة والطريق والحدود

الفاصلة بينهما وكان الامر دائما متروكا لتقدير السائق ،  
في حساب خط سيره ، حتى لاتنزلق عجلات الاتوبيس  
الى القناة ، بما فيها من جليد هش يلين تحت ثقل العربة .

وبما أن الحذر لا يجدى مع القدر . . فقد شاء القدر  
أن يقع المحذور ، وأن يتكرر وقوعه أكثر من مرة خلال  
ساعات سفرنا بالليل . نجد الاتوبيس وقد مال فجأة  
على جانبه ، فتعالى الصرخات والصيحات ، وتطير  
الحقائب واللفائف في فضاء الاتوبيس ، ويضيء السائق  
أنوار الاتوبيس الداخلية ، مهدئا الركاب ، في حديث  
طويل باللغة الصربية ، سرعان مايقف المترجم لينقله الى  
الانجليزية ، في هدوء وجدية ، وكأنه يترجم خطابا في  
هيئة الأمم المتحدة . . ومفاد هذا الحديث الطويل أن  
عجلة الاتوبيس قد انزلت الى القناة الاسمنتية وأن علينا  
جميعا أن نهبط من الاتوبيس ، ونتعاون على رفعه ،  
واعادته الى وسط الطريق ، ذلك اذا كنا ننوى أن نواصل  
الرحلة !! . .

إذا علمت أن الاتوبيسات تكون عادة مكيفة الهواء ،  
وأنها بعد ساعات من التحرك تكون قد تحولت الى مايشبه  
الفرن ، إذا علمت هذا ، عرفت أى نوع من التحصينات  
كان علينا أن نجريها حول أجسامنا ، حتى ننتقل الى  
خارج الاتوبيس ، حيث تصل البرودة الى ١٥ درجة تحت  
الصفر . وما أن ننتهى من هذه التحصينات حتى نروح  
تقفز من الاتوبيس واحد وراء الآخر الى الطريق ، الرجال  
أولا ثم الفتيات ، و . . هيلاهوب . . هيلاهوب ، يتردد  
صداها عاليا وسط السكون المطبق ، والاتوبيس الضخم  
جاثم في مكانه يسخر من جهودنا المستميتة . . ونعاود

الكرة مرة ثانية .. هيل هوب .. هيل هوب ، فيتزحزح  
الاتوبيس قليلا ، وتعالى الصيحات « شدوا حيلكم  
يا جدعان .. هانت يابنات » ، ويتحرك الاتوبيس قليلا ،  
وتنتقل الطاقة العضلية للأذرع الى الاجسام ، ومنها الى  
الاقدام ، فتزلق هذه على الجليد ، وينطرح البدن على  
الارض ، غاطسا في طبقة الجليد الكثيفة ، وتنطلق  
الضحكات ، فترتخي العضلات ، وتتوقف عملية الرفع  
بين ضحكات الضاحكين وتعليقات المعلقين .. ونعود مرة  
ثانية الى استئناف الجهود ، ويتزحزح الاتوبيس الى  
وسط الطريق ، فنواصل رحلتنا .

وتمضي ساعة ، فلتقى بعربة نقل ضخمة قادمة من  
الاتجاه المقابل ، وحش كبير أخذت تتضح معالمه العملاقة  
شيئا فشيئا من خلال الظلمة التي خرج منها . وتتوقف  
العربتان لالتقاط الانفاس ، وحساب السنتيمترات التي  
ستتحركان في حدودها حتى لا يحدث التصادم ، وحتى  
لا تنزلق احدهما الى القناة الاسمنتية .

الوحش الضخم بحمولته الهائلة ، وعجلاته التي تصل  
الى ارتفاع قامة الشخص ، وذلك الجنزير الحديدي  
الغليظ الذي يلتف حول عجلاته حتى لا تنفرس في  
الجليد او تنزلق فوقه ، ذلك الوحش يتحرك في بطء  
شديد وسط الصيحات المتبادلة بين سائقه وسائقنا ..  
خطوة بخطوة .. مع كل الحرص والحذر .. والتوقف  
بعد كل حركة لدراسة الحالة ثم استئناف الحركة ...  
خطوة بخطوة .. وفجأة يهبط الاتوبيس مرة ثانية الى  
القناة ، فيفسح مجالا لعربة النقل التي تمضي في طريقها  
ونبدأ نحن مرة ثانية نتسلح بالملابس الثقيلة ، تمهيدا  
للهبوط من الاتوبيس ، و .. هيل هوب .

قلنا اننا بدأنا رحلتنا فى الحادية عشر صباحا ..  
وقد كان وصولنا الى سراييفو فى تمام الساعة الثالثة  
بعد منتصف الليل .. ستة عشر ساعة من العذاب  
والقلق والمغامرة . وصلنا الى الفندق فى حالة من الاعياء  
والاجهاد والجوع الشديد ، لقد مضت ١٢ ساعة منذ  
أن تناولنا طعام الغذاء ، ولعل البرد وما بدلناه من  
مجهود قد ضاعفا اثر هذه الساعات ، هبطنا مباشرة الى  
المطعم ، فاكشفنا أن ادارة الفندق مع تأخيرنا عن الوصول  
قد تصورت أننا أجلنا الرحلة الى اليوم التالى ، فلم نجد  
بالمطعم الا طبّاخا ومساعدته كانا فى حالة نوم عميق ، ولكن  
حالة الجوع الشديد لم تسمح بالتردد .. على التو تم  
اختيار مجموعة من الفتيات تكون مهمتها تسخين الطعام  
بمساعدة الطباخ ثم غرفه فى الاطباق ، ومجموعة أخرى  
من الشبان للعمل كجرسونات .. وما هى الا بضعة  
دقائق ، حتى ارتفعت طرقات الملاحق والشوك والسكاكين  
ونعم الجميع بوجبة ساخنة مضاعفة الكميات ، بفضل  
سماحة الزميلات اللائى تولين التوزيع فى المطبخ !!

### الركاب اتراك .. والنقطة كازووة :

اذا كنا نذكر رحلة زغرب - سراييفو من بين الرحلات  
العديدة ، لما كان فيها من جهد ومغامرة ، فنحن نذكر فى  
نفس الوقت رحلة أخرى خلفت لنا ذكريات لطيفة . كنا  
قد أنهينا عملنا فى اسطنبول ، وركبنا القطار فى طريقنا  
الى « بلوفديف » فى بلغاريا . وما أن تحرك القطار ،  
وانتهينا من التلويح لهيئة المودعين ، وعلى رأسهم مرافقنا  
الدبلوماسى التركى توفيق بيك ، حتى أخذنا أماكننا فى



الدواوين لرحلة سوف تستمر أكثر من ١٢ ساعة ،  
ننتقل بها من قارة آسيا الى قارة أوروبا .

كنا بالضبط ، فى السادس عشر من أكتوبر .. يوم  
عيد ميلادى .

وكنا قد اتفقنا قبل بداية الرحلة على أن تحتفل الفرقة  
بأعياد ميلاد الاعضاء التى تحل أثناء الرحلة احتفالاً  
مما .. وكلفنا أحد الإداريين باستخراج تواريخ أعياد  
الميلاد من وثيقة السفر الجماعية لهذا الغرض .

كنا قد اشترينا من اسطنبول بما بقى معنا من عملة  
تركية ما يكفى لعشائنا بالقطار ، وأن كان البعض قد  
تقاضى عن هذا التحوط ، ونفذت نقوده تحت أغراء  
فاترينات اسطنبول وأسواقها العامرة بالمشتريات .

وفى زحمة الاجراءات ، ونتيجة للانشغال بضمان وجود  
الجميع فى أماكنهم بالقطار ، كنت قد نسيت مسألة عيد  
الميلاد هذه ، الى أن أقبلت مجموعة من الفرقة تذكرنى  
بذلك ، قلت : فلنؤجل هذا الاحتفال الى الغد عندما  
نصل الى بلوفديف ، الا أن اقتراحى لم يصادف قبولا  
لديهم .. كانت المشكلة أين نحتفل ، ودواوين القطار  
لا تسع أكثر من ثمانية أشخاص ، وسرعان ما طرح  
الحل ، ليكن ذلك فى بوفيه القطار وبعد أن ينتهى موعد  
العشاء .. وظهرت المشكلة الثانية ، كيف نحتفل داخل  
البوفيه وقد نفذت نقودنا التركية .. وتقدم من قسام  
بجمع العملات الصغيرة الباقية معنا ، فأتضح أنها تكفى  
بالكاد لشراء زجاجة كازوزة ! .. واتفق الجميع على أن  
هذا أكثر من اللازم ، وأن هذه الزجاجة سستكون من  
نصيبى باعتبارى المحتفى به .

وبالفعل ، ما أن انتهى الركاب من تناول العشاء ، حتى توجهت في البداية طلائع لتحتل بعض مقاعد عربة الاكل . . وتسرب باقى الاعضاء ، فوصل الرئيس عباس بمزمارة الشعبى ، ووصل عبد الله معه طبلته ، ثم جاء محمد اسماعيل عازف الترومبه وفي يده آله . . وبدأ الحفل .

وتعانقت الترومبه مع المزمارة الشعبى في عزف لحسن عيد الميلاد المعروف ، وقدمت زجاجة الكازوزه لتحتل مكانا بارزا على المائدة امامى ، وبدأت الاغاني والرقصات ، فتوافد فى اول الامر طاقم عربة الاكل ، ثم توافد الركاب من الاتراك ، واستأذنوا في المشاركة ، فافسح لهم مكانا بيننا ، وارتفعت أكفهم بالتصفيق ، وتضاعف حماسهم ، فاستدعوا جرسونات المطعم طالبين فتح زجاجات الكازوزه للجميع على طريقة النقطة المصرية في الافراح . . وطال الحفل ، فنقد رصيد القطار من الكازوزه ، وبدأ فتح زجاجات المياه المعدنية !! أى شىء للتحية والمجاملة .

وهكذا نجحت الخطة ، وتم الاحتفال . . أغرب احتفال واجمل احتفال شهدته بمناسبة عيد ميلادى .

### جداول لنوبات البكاء :

بدون ترتيب سابق تشكلت داخل وسائل الانتقال فرقة متخصصة للترفيه عن الاعضاء ، سمير جابر باغانيسه الشجيرة « أهو ده الى صار » لسيد درويش ، و « زينة المداين كلها » للفنان الشعبى السكندري أمين عبد القادر ، « من العين دى حبة » لمحمد رشدى ، ويرتفع التجاوب

الى قمته ، عندما يردد أغنية الشيخ سيد درويش « سالة  
يا سلامه » .

وبقدر ما كان سمير مقلدا في ترديد أغانيه ، لا يستجيب  
الا اذا كان مزاجه معتدلا ، بقدر ما كانت هيام على  
استعداد دائم لتسلم المهمة ، لتردد أغاني شادية وفايزة  
أحمد وليلى نظمي .. لقد استفادت هيام من هوايتها  
هذه ، فما أن عادت من الرحلة حتى عرفت طريقها الى  
الاحتراف فشاركت في الحفلات العامة وظهرت لها  
الاسطوانات .

الى جانب هاتين الكفائتين ، كان هناك أحمد عنسان  
بصوته الجهورى يردد الحان الاوبرا ، ومشيرة بأغانيها  
الاجنبية ورقصات المصاحبة التى كانت تؤديها فى الممر  
بين المقاعد تتطوح مع حركة الاتوبيس ، وجميل جابر  
بأغاني « انريكو ماسياس » التى كان يطلقها دائما من المقعد  
الخلفى للاتوبيس .

أقول ان فرقة الترفيه الخاصة هذه تشكلت دون سابق  
اتفاق ، الا ان الايام أثبتت ضرورتها وحاجتنا الشديدة  
اليها .

فبعد مرور شهر أو أكثر من بداية الرحلة ، بدأت  
عوامل الاحساس بالغربة تفعل فعلها ، وبين الفتيات  
على وجه الخصوص .. وكان الاتوبيس أو القطار هو  
المكان التقليدى للتعبير عن هذا الاحساس ، فجأة وبدون  
مقدمات تنفجر احدى الفتيات فى نوبة بكاء ... وتنتقل  
باقى الفتيات الى زميلتهن النهار ، وتبدأ المحادثة  
ومحاولات الاضحاك ، وما أن تنتهى هذه الحالة حتى  
تنفجر حالة اخرى فى مكان اخر من الاتوبيس ، وتكرر

نفس القصة ، حتى أن بعض الاعضاء اقترح ، ساخرا من كثرة جداولنا ، أن نضع جدولا لبكاء الفتيات ، يعطى كل واحدة منهن الحق في ممارسة البكاء في يوم معين ، وينتقل هذا الحق الى واحدة اخرى في اليوم التالي .

في مثل هذه الحالات كانت تشتد الحاجة الى فرقة الترفيه ، لخلق جو من المرح ، يبدد الكآبة التي كانت تخلفها حالات البكاء الفجائية هذه .

واذا كانت حالة الاحساس بالاغتراب تأخذ عند الفتيات شكل نوبات البكاء ، فهي لدى الفتيان تتجه الى التعبير عن ذاتها في شكل مشاحنات ، اشبه بمشاحنات الصبيان هذا يمد ساقه في ممر الاتوبيس فيعوق الحركة فيه ، وذاك يأخذ راحته في النوم ، فلا يتيح وضعا مريحا لمن يجلس الى جانبه . . . وهكذا .

في بداية الامر كنت اتدخل في مثل هذه الحالات ، ولكني أدركت بعد بعض الوقت عدم جدوى هذا التدخل ، فكانت هذه المشاحنات ، لتفاهة أسبابها ، تصفى نفسها بنفسها دون الحاجة الى تدخل أحد ، بعد أن تقبوم بواجبها ، من حيث تفريغ شحنة السأم ، والشعور بالاغتراب الدائم .

### استقبال عاطفى فى ترنوبا :

لم تكن رحلاتنا في القطارات والاتوبيسات تتم دائما في مواعيد معقولة ، فكانت لارتباطها ببرامج العمل تقتضى في بعض الاحيان السفر في ساعة مبكرة من الصباح . نكون

قد انتهينا من حفلتنا في احدى المدن ، ونشط عمال  
الملابس الى تجميعها في الصناديق ، وعدنا الى الفندق  
لتناول طعام العشاء ، ثم ننصرف الى حجراتنا لاعداد  
الحقائب استعدادا للسفر المبكر . وكنا في اغلب الاحيان  
نلجأ الى فرقة الايقاظ . فبرغم أن ادارة الفندق كانت  
تتعهد بعملية الايقاظ هذه عن طريق التليفون ، وكانت  
تفى بتعهداتها ، إلا أن المشكلة نشأت عندما أدركنا أن  
الاخطار التليفوني لم يكن وسيلة مجدية ، فمما أكثر  
ما استيقظ الواحد على رنين التليفون ، وتلقى رسالة  
الفندق ، ثم عاد لينام ثانية .

من هنا جاءت أهمية فرق الايقاظ لضمان وجود  
الجميع داخل الاتوبيس في الوقت المحدد ، وكانت فرقة  
الايقاظ تمر على الحجرات ، ولا تكتفى بالقرع على الابواب  
وتلقى الرد من الداخل ، بل كانت تصر على فتح الباب  
والتأكد من أن العضو قد أفاق فعلا وبدأ اجراءات الهبوط  
الى الاتوبيس . . وقد نجحت هذه الطريقة دائما ، رغم  
أنها كانت تؤدي في أغلب الاحيان الى استيقاظ جميع  
نزلاء الفندق . .

كانت عملية التتميم التالية تجري على يد مسئولى  
الاتوبيسات بحيث لا نتحرك الا وقد جلس الجميع في  
أماكنهم . ورغم هذا ، فقد نسينا يوما أحد الراقصين في  
مدينة « فارنا » ونحن في طريقنا الى مدينة « ترنوبا »  
في بلغاريا .

كان قد صعد الى الاتوبيس ، وانتهى المسئول من  
مراجعة الاسماء ، ويبدو أن ذلك الراقص كان قد نسي

شيئا في صالون الفندق ، فنزل دون ان يلتفت اليه احد ، وتحركت القافلة الى ترنوبا . . وفي منتصف الطريق اكتشفنا غيابه ، فتوقفنا عند اقرب تليفون ، وقام المرافق بالاتصال بالفندق ، فقالوا له ان العضو المتخلف سألهم عن الطريق الى ترنوبا ومضى الى حاله ، فطلبت من المرافق ان يتصل بسلطات الامن لتابعته في الطريق وادراكه قبل ان يضل ، ونفقده لزمان طويل . . وقد عثرت عليه سلطات الامن بالفعل في الطريق المؤدى الى ترنوبا في حالة من الاعياء ، وقد تصور ان المسافة بين المدينتين بسيطة ، يستطيع ان يقطعها على الاقدام ، ووصل الى ترنوبا بعد ساعات من وصولنا .

وفاته بتخلفه ووصوله المتأخر هذا ، الاحتفال المبهج الذي قابلتنا به مدينة ترنوبا ، فما ان وصلت القافلة الى مشارف المدينة ، حتى وجدنا مندوبا عن مجلس المدينة في سيارة صغيرة يقودنا الى داخلها ، لا الى الفندق كما توقعنا ، ولكن الى مبنى مجلس المدينة ، حيث وجدنا فرقة موسيقية كاملة من الاطفال تعزف ألحان الترحيب ، تشاركها فرقة أخرى للكورال ، وما ان هبطنا من الاتوبيسات حتى انهالت علينا باقات الورود من مجموعة الفتيات الصغيرات ، وبعد تبادل خطابات الترحيب والتكريم التقليدية ، عادت الفرقة الموسيقية لتردد ألحان الاغاني الشعبية ، فقامت بتسليم القائد الصغير للفرقة الموسيقية ، شعار الفرقة القومية للفنون الشعبية ، تعبيرا عن سعادتنا بهذا اللقاء العاطفي اللطيف .

## خطبة ، على « ريق النوم » .

لم يكن استقبالنا يتسم دائما بهذه اللمسة العاطفية ، بل كان غالبا ما يتم في اطار من الاجراءات الروتينية ، تهبط الفرقة الى محطة السكة الحديد ، او الى مدخل الفندق من الاتوبيس ، لنجد وفدا رسميا في انتظارنا ، وبعد ان تنتهى عملية تسليم الورود ، وكلمات الترحيب القصيرة ، يصطف وفد الاستقبال في مواجهتنا ، ويتلو رئيسه خطبة كاملة ، يعبر فيها عن مشاعر الود والصداقة بين شعبينا ، وعن تمنياته باقامة طيبة وجولة ناجحة في ربوع بلده ، وعن امله في ان تكون هذه الزيارة خطوة نحو مزيد من التعميق لروابط الصداقة . . في أغلب الاحيان تتم هذه الخطبة عن طريق المترجم ، اما الى الانجليزية او الى العربية اذا توفر من يتكلمها . . ما ان تنتهى هذه الخطبة ، حتى تتطلع الى عيون أعضاء الفرقة في ترقب يشوبه شيء من الشنمات ، في انتظار ان أبدأ خطبتي ردا على خطبة المسئول .

فاذا عرفت ان هذا الموقف قد تكرر أكثر من أربعين مرة ، سواء في الاستقبال أو التوديع ، واذا عرفت ان مضمون خطبتي كان لا يتبدل باعتبار تكرار نفس الموقف ، أمكنك ان تتصور ما خلقتة ميكانيكية التكرار من موقف شبه كوميدي كان يرسم على شفاه خبثاء الفرقة ابتسامة مكبوتة لها ما يبررها .

ولعل أغرب أنواع الاستقبال ، وأشدّها إثارة للسخرية كان استقبالنا في محطة ليننجراد عند وصولنا من موسكو .

المسافة بين المدينتين تصل الى ٦٢٠ كيلومترا ، ومن تأثير  
اجهاد اليوم الاخير في موسكو بما فيه من عمل واتصالات  
.. عندما وصل القطار الى نهاية رحلته كنت غارقا في  
نوم عميق ، رغم الضوضاء .. ضوضاء القطار والفرقة ..  
لم أشعر الا وأبدى أعضاء الفرقة تهزئي ، فقد وصلنا الى  
ليننجراد ، والمترجم يسأل عنى ، حتى أهبط للملاقة وفد  
الاستقبال ، وفي حالة بين اليقظة والنوم ، أخذت أضع  
على نفسي المعطف والكوفية ، وألبس القفاز ، وأضع غطاء  
الرأس الموسكوفي المحكم ، ثم أسير متطوحا في طرقة  
القطار مفسحا لنفسي طريقا بين أعضاء الفرقة الذين  
أرادوا أن أكون أول الهابطين للقاء وفد الاستقبال  
الرسمى .

كان الوقت فجرا ، ودرجة الحرارة قد هبطت الى  
ما يقرب من ٢٥ درجة تحت الصفر ، والجليد يتساقط  
في اصرار والحاح .. استطعت أن أهبط على درجات  
سلم القطار المعدنية المغطاة بالجليد بصعوبة شديدة ،  
وكدت أن انزلق عليها لولا أذرع أعضاء الفرقة التي  
سندتني ، ثم تابعتني .. صفعتني لسعة الهواء البارد  
ولسعات الجليد الثلجية على وجهي ، فبدأت أفيق من  
حالتى الوسط بين اليقظة والنوم .. ومددت يدي أصافح  
أعضاء وفد الاستقبال ، وأتلقى باقات الورد ، مجاهدا  
أن أرسم على فمي ابتسامة دبلوماسية ، وأن أمنع نفسي  
من ثناؤب يلح على .

بدأ خطاب الترحيب ، ورغم الدوافع الاخوية الطيبة  
التي أملتة ، فقد جاء طويلا مسهبا ، ويدي تمتد بين الحين



والحين ، تزيح مافوق وجهى من جليد ، وبرودة الجو ،  
وبرودة رسيف القطار بالذات بدأت تتسلل الى قدمى .  
بعد دفء النعاس فى القطار المكيف الهواء ، وشعرت  
اننى افقد الاحساس بنفسى من اسفل الى اعلا !! ..  
مشط القدم ، ثم الساق ، ثم الركبة .. فأضرب قدمى  
بين الحين والآخر فى رصيف المحطة ، بمثل ما يفعل  
الحصان الملول فى موقف العربات الحنطور عندنا .  
وأخيرا انتهى الخطاب ، والتصفيق ، وجاء دورى ..  
وأصبحت المشكلة ، هى كيف أفتح فمى المزموم ، دون  
ان أتثأب ؟!  
لا ادرى ماذا قلت ، وماذا فعلت .. بل لم أشعر  
بنفسى الا وأنا أهرع مع باقى الاعضاء الى الاتوبيسات التى  
أقلتنا الى الفندق .

### طريق التيه الى البانيا .

وقريب من هذا ماحدث عند وصولنا الى البانيا ، وان  
اختلفت التفاصيل .

عندما وصلنا الى يوغوسلافيا ، وبعد ان انتهت عروض  
الفرقة وحفلاتها فى زغرب وسراييفو ، تم اخطارى برغبة  
وزارة الثقافة اليوغوسلافية ، فى ان أتوجه بمفردى الى  
بلغراد لدراسة بعض التعديلات فى خط السير ، ولبحث  
الوسيلة التى سننتقل بها بعد انتهاء عملنا فى يوغوسلافيا  
أما الى الادرياتيكي لناخذ الباخرة من تريستا ، أو الى  
اليونان حيث نأخذها من بيريه ، ولكن الاحتمال الوحيد

الذى تخوفوا منه هو سفرنا برا من يوغوسلافيا الى  
ألبانيا .

المهم . . وصلت بلفراد ، وأجريت مع المسؤولين عدة  
اجتماعات ، ثم ذهبت لمقابلة الاستاذ يحيى عبد القادر ،  
سفيرنا في يوغوسلافيا في ذلك الوقت ، فكان لطيفا أشد  
اللف ، شاعرا بالعناء الذى أصابنا من جراء الرحلة  
الطويلة التى كانت قد وصلت فى ذلك الحين الى شهرها  
الخامس . عرضت عليه النتائج المختلفة ومخاوف  
المسؤولين اليوغوسلاف من الطريق البرى الى البانيا .  
وكانت قد وصلت أخبارا تفيد ان رحلة اليونان قد  
ألغيت .

قال ، الامر متروك لكم ، وفقا لتقديركم ، وعليك أنت  
أن تقرر ما يمكنكم عمله وأنتم فى هذه الحالة من التعب  
والاجهاد ، وعلى أى الاحوال يمكن سفركم الى مصر من  
يوغوسلافيا ، وأستطيع أن أدبر لكم هذا .

رغم رغبتى الشديدة لزيارة البانيا ، التى لم اكن قد  
زرتها من قبل ، ورغم وجودها على خط سير الرحلة  
منذ البداية ، فقد أقنعت نفسى تحت ضغط الارهاق  
بتأجيل الزيارة الى فرصة قادمة ، والعودة الى القاهرة .  
وكان لكلمة العودة الى القاهرة فى ذلك الوقت ، وقع  
السحر على النفوس ، كانت العودة تعنى للجميع شيئا  
كبيرا جدا ، ولكنها كانت تعنى بالنسبة لى ، بالاضافة  
الى هذا الشئ الكبير ، نهاية مسئوليتى المنهكة التى دامت  
فى ذلك الحين لاكثر من خمسة أشهر .

عدت الى فندق سلافيا الكبير ، واحلام العودة

تتخاطفنى ، وصورة الوصول الى مصر وملاقاة المسائلة والاصدقاء ، والاسترخاء ، والنوم الثقيل الذى لا يقطعه فى قسوة رنين التليفون ، يحمل مايفيد انتهاء النجوم وضرورة التحرك لانجاز عمل ما ..

وفى الصباح الباكر افقت على رنين التليفون .. ! والمستشار الثقافى فى سفارتنا يقول ان تيرانا قد اتصلت به ، وان سفارتنا هناك ألحت الحاحا شديدا بوجوب تنفيذ الزيارة ، وأن الغاء هذه الزيارة سيسبب الى علاقتنا بالبانيا ، وسيصيب المسئولين الالبانيين الذين استعدوا لها استعدادا كبيرا بخيبة أمل لا نحبها لهم . وقال ان سفارتنا فى تيرانا ستجرى اتصالا تليفونيا آخرى عند الظهر لتتحدث معى شخصا ، وأن سياراة السفارة ستكون فى انتظارى عند الفندق لتقلنى الى السفارة .

تم الاتصال ، وتحت ضغط الاسباب التى ذكروها ، وجدتني أعد وعدا قاطعا بالسفر الى البانيا .

انتهت جولتنا فى يوغوسلافيا ، وتحركت قافلتنا فى الصباح الباكر من مدينة سكوبيا فى الجنوب الشرقى ليوغوسلافيا .. بدأت الرحلة وسط جو لطيف نسبيا ، والشمس تسترق اطلالة او أخرى بين ثغرات السحاب الملبد ، والقافلة الطويلة المكونة من الاتوبيسات الثلاثة ، وعربات النقل الثلاث ، تسبقها العرباة الصغيرة التى تقل هيئة المرافقين ، والتى تقوم بدور المرشد فى الطريق الذى لم يسبق لهم جميعا أن اجتازوه .. بدأت مظاهر العمران تتناقص ، وأصبحنا نخترق معالم الطبيعة البكر وعند أحد المفارق ، توقفت العرباة الصغيرة ، وتوقفت

القافلة من خلفها ، وجرى حديث خافت بين هيثة المرافقين ومجموعة السسائين . . حديث طسويل باليوغوسلافية لم أفهم منه شيئاً . . وفي نهاية الحديث بدا وكأن الجميع قد اتفقوا على أمر واحد . . . حاولت أن أفهم شيئاً من كبير المرافقين ، فقال إن النقاش كان يدور حول الطريق الصحيح للحدود الالبانية ، فلم يسبق لأحد منهم أن اجتاز هذا الطريق .

واصلت القافلة مسيرتها ، متمهلة في طريق بدأت تخشوشن وتضيق . . وقرب الغروب ، وجدنا أنفسنا على شاطئ البحر !!

وتعالت الصيحات باليوغوسلافية ، واحتد النقاش مرة ثانية ، ولكنني فهمت هذه المرة بدون ترجمة ، أننا سلطنا الطريق الخطأ ، وأنا بهذا انحرطنا الى موقع من مواقع الشاطئ اليوغوسلافي . . . بدا رزاز خفيف يتساقط ، فأسرعنا الى العربات ، ودارت القافلة حول نفسها بعناء ، لتعود مرة ثانية الى التقاطع الذي خلفناه . الرزاز الخفيف ، تحول الى امطار ، والامطار تحولت الى سيول ، واظلمت السماء تماماً ، وسارت القافلة في طريقها الى الحدود الالبانية ، وطرقعات السيول المنهمرة ، يضخمها فراغ الاتوبيس .

بعد ١٢ ساعة من بداية رحلتنا ، وفي تمام الساعة مساء ، انفرجت اسارير كبير المرافقين ، والتمع وجهه بالفرحة ، وقد أوشك أن يتخلص من حمولته البشرية ، فقد لاحت الحدود الالبانية . توقفنا ، وأعارني كسير

المراققين مظلتهم ، لاهبط بها متخطيا الحدود تحت وابل  
المطر المنهمر ، لملاقاة وفد المسئولين الالبانيين الذى ينتظر  
على بعد ليس بالقليل من الحدود المشتركة .

أخذت أغوص بقدمى فى الوحل ، وأنتزعهما منه بصعوبة  
وقد علقت بكل قدم كمية كبيرة من الطين ، يزداد حجمها  
كلما تقدمت خطواتى ، والمظلة التى أحملها تهتز بشدة  
تحت وطأة حبات المطر الغليظة ، حتى وصلت الى  
الجانب الالبانى من الحدود ، ومددت يدي ، أحيى  
المستقبلين وأعرفهم بنفسى ، وألقى باقة الزهور التى  
يحملونها وقد تهدلت تحت وقع الامطار ، ثم .. بدأت  
كلمة الترحيب الرسمية !!.. الى هنا ، لم أتمالك نفسى  
وفقدت كافة مكتسباتى الدبلوماسية ، وقاطعت الحديث  
شاكرا ، ثم ملححا فى سرعة نقل الاعضاء والمهمات الى  
العربات الالبانية .

وكانت عملية نقل المهمات أو انتقال الاعضاء ، تحت  
تلك الامطار الكثيفة ، قطعة من العذاب الحقيقى .

كنا نتصور أن الشق الصعب من الرحلة قد ولى ،  
ولكننا اكتشفنا بعد ذلك أننا فى بدايته ، فالطريق مسن  
« الباساد » على الحدود الالبانية الى العاصمة تيرانا ،  
عبارة عن عمليات صعود وهبوط متوالية فى مناطق جبلية  
ترتفع آلاف الامتار ... والذى لاشك فيه أن مهارة  
السائق الالبانى الذى استطاع أن ينطلق بنا فى سرعة  
نسبية محسوسة ، فى هذا الطريق الصاعد الهابط  
المتعرج وسط سيل الامطار ، مهارة لا يستهان بها ...  
ولو أن هذه المهارة لم تنجح فى تبديد الزعر الشديد

الذى احس به اعضاء الفرقة ، والذى كانت ترجمته ، حالة الصمت المطبق التى سادت العربية ، والانفاس المعلقة ، والعيون الزائفة ، التى تنتقل من المشاهد الجانبية للطريق الى السائق وهو يأخذ طريقه متغنيا بأغنية شعبية البانية .

عندما وصلنا تيرانا ، وجلسنا فى مطعم فندق «دايتى» الفخم والوحيد فى المدينة ، اقبل المايسترو احمد عبيد ، وكان قد حل محل المايسترو شعبان ابو السعد فى يوغوسلافيا ، لارتباط الاخير بحفلات الباليه بالقاهرة ، اقبل فى حالة من الانهيار التام ، وطلب ان يتحدث الى على انفراد ، وبعد مقدمة طويلة ، ناشدنى بصفة شخصية ان اعفيه من قيادة الفرقة الموسيقية ، اذا كانت هناك حفلات خارج العاصمة ، عجبت لهذا المطلب ، وسألته عن السبب ، فقال انه مصاب بمرض الخوف من الاماكن المرتفعة ، وانه تماسك طوال الرحلة من الحدود لى لا يضيف جديدا الى مشاكلنا التى كان يلمسها . طيبت خاطره ، لكنه لم يقتنع او يهدأ ، الا بعد ان احضروا له خريطة تبين تضاريس البانيا ، وشرحوا له ان زيارتنا بعد ذلك لن تنطرق الى المنطقة الجبلية ، بل ستقتصر على السهول .

### عثمان « كالباليه » فى اسطنبول :

نتيجة لطول الفترات التى نقضيها فى الاتوبيس ، أصبح السائق عنصرا هاما فى حياتنا ، والحقيقة ان سائق

الاتوبيس في اى دولة من الدول الاشتراكية التى زرتها  
كان يتحول فى الساعات القلائل الاولى من احتكاكنا به ،  
الى زميل وصديق ، وكنا نشعر أنه يتصرف باحساس  
مسئوليته عنا وعن راحتنا ، حتى فى الامور التى لا تدخل  
ضمن اختصاصه كسائق ، وأنه كان عنصرا حيويا فى طاقم  
المراقبين . . لقد استطعنا بعد عدة أسابيع من بداية  
الرحلة ، أن ننسى صورة سائق الاتوبيس المصرى الذى  
نعرفها ، وأن نعدل من علاقتنا وتعاملنا معه ، بما تمليه  
شخصيته من احترام ، وما تكشف عنه من تحضر  
وثقافة .

لقد تذكرت هذا ، وأنا فى طريقى الى جمصة داخل  
اتوبيس سياحى ، فقد وجدت السائق بملبسه النظيف  
أقرب الى النماذج التى عرفناها فى أوروبا ، الا أن هذه  
الصورة تبدلت تماما فى نهاية الرحلة ، عندما بدأ يجمع  
البقشيش ، ويشير المشاكل مع الذين لم يدفعوا ، أو الذين  
دفعوا دون تقديره للمطلوب . . . وأنا لا أريد أن أعقد  
مقارنة بين سائقنا وسائقهم ، مع وجود اختلاف واضح  
فى المستوى الحضارى ومستوى المعيشة ، والمزايا المادية  
التى يتمتع بها السائق فى أوروبا الشرقية . . . ففى هذا  
ظلم لسائقنا .

من بين هؤلاء جميعا ، ما زلت أذكر « عثمان » سائق  
الاتوبيس التركى الذى تسلمنا من مطار انقره ، حتى  
سافرنا من اسطنبول بالقطار . عثمان هذا كان لطيفا  
مع الجميع ، خدوما ، ليس لديه مانعا بعد انتهاء عمله  
الرسمى ، أن يلبى رغبة مجموعة من أعضاء الفرقة ،

فيصحبهم في الاتوبيس الى المكان الذي يسعون اليه ؛  
كان يكون أحد المحال التجارية ، أو موقعا للنزهة .

انتهينا من عملنا في أنقرة ، وسافرنا الى اسطنبول ؛  
وبدأت مفردات اللغة التركية تتردد بفهم أو بدون فهم  
على أفواه أعضاء الفرقة . . . ومن بين هذه الكلمات كانت  
كلمة « كاباليه شيرشيه » ، وهو اسم السوق الكبير في  
اسطنبول ، الذي يشبه سوق الحميدية . وأعجبت  
الكلمة الراقص احمد عنان ، فأخذ يرددها بمناسبة  
وبدون مناسبة ، وكان مشوار السوق من المشاوير التي  
كثيرا ما قام بها عثمان ارضاء لرغبات هواة الاسواق  
والمشتريات بالفرقة . . . وفي الطريق الى السوق ترتفع  
عقيرة احمد عنان بالنداءات الحماسية « كاباليه عثمان » .  
ثم أعجبه التركيب فصار يردده كلما رأى عثمان . . .  
وفجأة ، ثار عثمان اثر واحد من هذه النداءات وصمم  
على انزال حمولته من رواد السوق ، وفي منتصف الطريق  
اليه . . « ليه بس ياعم عثمان ؟ » . . ثم توسلات  
متواصلة ، ولا فائدة ! . . بل أخذ يدفع بهم ، واحدا  
اثر الآخر خارج الاتوبيس في عصبية . . وكانت الطامة  
الكبرى عندما وصل الى يسرية التي كانت ضمن موكب  
السوق ، فانهارت في موجة بكاء حادة ، كيف يحدث  
ان تعامل هذه المعاملة وهي الضيفة على البلد . . وارتباك  
عثمان ، وتنازل عن تصميمه . . انما أصر بعد ذلك ان  
يلتزم حدود مهمته الرسمية دون توسع في الخدمات  
الخاصة لأعضاء الفرقة . وتناقل الاعضاء هذه القصة ،  
اثناء العرض مساء ، وهم يتساءلون عن السر في التحول



الذى طرا على عثمان . . واخذ كل واحد فى تحليل ثورته  
بسبب من الاسباب ، ووصلت القصة والتساؤلات الى  
أحد المرافقين ، فضحك ، وقال لهم ان « كالباليه شيرشيه »  
تعنى السوق المغلق ، أو الذى له غطاء ، وان كلمة  
« كالباليه » تعنى مغلق أو مقفول . . وأن اقتران اسم  
عثمان بكالباليه ، يصبح نوعا من السباب . . قريب مما  
نصف به الشخص بأنه « قفل » . .

وبدأت حملة لمصالحة عثمان ، واثبات حسن نية احمد  
عنان . .

### شعبطة . . من الحدود الى بودابست :

ولعل اغرب الرحلات التى صادفتنى ، كانت من المجر  
الى يوغوسلافيا ، فقد أخطرتنى سفارتنا فى المجر ،  
انها تلقت مشروعا لبرنامج الزيارة والعمل فى يوغوسلافيا ،  
وبمراجعة ذلك البرنامج ، اكتشفت بعض الأخطاء الفنية  
فى وضع البرنامج ، وحاولت عن طريق الاتصال  
التليفونى أن أصل الى حل لهذه المشكلة . . الا ان هذه  
الاتصالات المعقدة التى كانت تتم عن طريق سفارتنا فى  
يوغوسلافيا ، زادت المشكلة تعقيدا . . الى أن وصلنى من  
سفارتنا فى بلغراد مايفيد ضرورة وصولى قبل الفارقة  
للاتفاق النهائى على برنامج العمل .

تم حجز مكان بالقطار السريع من بودابست الى  
بلغراد ، وفى يوم السفر ، صمم مندوب وزارة الثقافة  
المجرية ، السيد يوهاس ، على اصطحابى فى عربته الى  
المحطة .

كان وصولنا الى المحطة قبل موعد قيام القطار بحوالى ساعة ، وكان الجو باردا ، والجليد يغطى رصيف المحطة والقطارات والمقاعد المخصصة للانتظار ، واكتشفنا ان قطار بلغراد لم يصل الى الرصيف بعد ، فاقترح السيد يوهاس أن نذهب الى بوفيه المحطة لتناول مشروبا ساخنا حتى يحين موعد تحرك القطار . . وفى البوفيه كانت انغام الموسيقى الفجرية تتردد عالية ، يعزفها فنان مجرى بالملابس الشعبية التقليدية ، تصاحبه بالفناء فتاة بالملابس الشعبية أيضا .

شربنا الشاي . . واخذت اقطع الوقت بالحديث مع السيد يوهاس ، قلت له ان هذه المحطة تذكرنى بقصة قديمة حدثت لى عندما كنت مديرا لمسرح القاهرة للعرائس ، وخلال رحلة شبیهة عام ١٩٦٥ . . . واخذت استعيد الاحداث ، وأروى للسيد يوهاس وقائع التجربة الغريبة التى حدثت لى .

كنت قد تلقيت من يوغوسلافيا أيضا مايفيد عدم صلاحية برنامج العمل الذى وضعته وزارة الثقافة البوغوسلافية ، فقد كان برنامجهم يتضمن تقديم عرض « ماتينيه » فى أحد المسارح ، ثم « سواريه » فى نفس اليوم بمسرح آخر . . علما بأن الانشاءات الخشبية لمسرح عرائس الماريونيت تحتاج فى فكها وتركيبها الى يوم كامل . وكما حدث هذه المرة ، تركت الفرقة فى بودابست ، وقد تبقى لها عرضان فى مدينة « سيكاشفاهيرفار » القريبة من العاصمة . فى منتصف الليل تحرك القطار مسن

بودابست ، وأخذت ألوح لو قد وزارة الثقافة المجرية  
بباقة الورد التي كانوا قد قدموها لى بمناسبة السفر .  
ثم دخلت الى كابينتى الانيقة فى عربة النوم التى سأمضى  
بها الساعات الخمس حتى وصولى الى بلغراد . . خلعت  
المعطف والقبعة والكوفية والقفاز ، ثم أخرجت البيجامة  
من الحقيبة ، وارتديتها تمهيدا لنوم يبلغنى بلغراد . .  
وقبل النوم ، أخذت أراجع محتويات الظرف الذى  
تسلمته من مندوب وزارة الثقافة ، وبه أوراق السفر ،  
وحجز النوم حتى بلغراد .

أطفاأت نور الكابينة ، وبدأ النوم يتسلل الى عينى .  
ولاشك أننى نمت نوما عميقا ولمدة ساعتين على الأقل ،  
الى أن سمعت طرقا معدنيا على باب الكابينة ، فخيل لى  
وقتها اننى لم أتم بعد . . دخل مفتش الجوازات المجرى  
يطلب جواز السفر ، وفهمت من هذا أننا على وشك  
الوصول الى الحدود . . سلمته الجواز دون أن نتبادل  
أى حديث ، فتناوله وأغلق الباب . . وعسدت الى  
الاستلقاء مفتوح العينين ، فلا جدوى من محاولة النوم  
ثانية ونحن على مشارف الحدود ، بما فيها من اجراءات  
أمن وجمارك مشتركة .

كانت الساعة حوالى الثانية بعد منتصف الليل . وبعد  
عدة دقائق ، دخل جندى أو صف ضابط مجرى بملابسه  
العسكرية الى الكابينة ، ويده جواز السفر الخاص بى ،  
وأضاء النور بلا استئذان ليقول مشيرا الى الجواز  
« نيشت جود » . . ورغم أننى فهمت معنى كلمته  
الالمانية ، الا أن تعبير التساؤل الذى كان على وجهى انصب

على سبب عدم صلاحية الجواز . . ففسال بالروسية « نبيت خراشو » . كان القطار قد توقف عند مدينة صغيرة على الحدود المجرية ، فأشار بيده بما يفيد أن اتبعه ، وأنصرف .

أسرعت بارتداء ملابسى ، وادخلت حاجياتى الى الحقيبة ، ثم خرجت اليه ، فوجدته فى نهاية ممر القطار سار بى حتى مبنى المحطة وتركنى فى صالة شبه مظلمة الا من مصباح « سهارى » صغير فى آخرها ، وبها بعض المقاعد والموائد ، ويبدو أنها تستخدم صباحا كبوفيه . دخل من باب جانبى ، ثم خرج بعد قليل من نفس الباب ضابط الجوازات بزيه الرسمى الشبيه بزي عساكر هتلر الذى كنا نراه فى افلام الحرب العالمية الثانية . . . وأخذ يشرح لى بالالمانية ، كيف أن هذا الجواز غير صالح للعمل . . وبرغم أن معلوماتى فى اللغة الالمانية لا تتعدى بعض المفردات ، فقد فهمت من كلامه ، وبمساعدة اشاراته ، أن جواز سفرى غير مسجل به أى خاتم أو تأشيرة من أى جهة مجرية رسمية . . وأنه يحاول الاتصال ببودابست على أمل أن يجد مسئولا يفتى فى هذه الحالة .

والواقع أننى كنت مسجلا ضمن وثيقة السفر الجماعية للفرقة ، وقد احتفظت معى بجواز السفر الخاص لمواجهة الاحتمالات ، وقد ظهرت ضرورته عندما أصبح على أن أسافر منفردا الى بلغراد . وعليه فقد سلمت الوثيقة والجواز الخاص بى للسفارة لاتخاذ الاجراءات اللازمة لنقل صلاحيات السفر من الوثيقة الى الجواز . . ويبدو

أن السفارة قد اكتفت بإجراءاتها الداخلية دون أن تحاول اعتماد هذا الاجراء من السلطات المجرية ، مكتفية بشرح مطول لاسباب نقل الصلاحيات الى جواز السفر ، وباللغة العربية ، الامر الذى لم يكن يحمل أى معنى لدى ضابط الجوازات على الحدود .

تركنى ضابط الجوازات ، فاتجهت الى أحد المقاعد المرصوفة بالقاعة ، وجلست على المقعد المعدنى الذى كان يمتص كل برودة الجو الشائعة فى القاعة ، وأخذت أتأمل المكان من حولى . . بوفيه فقير ، أرضه أسمنتية ، ليست به أية وسيلة للتدفئة .

سمعت من خارج القاعة ، طرقات حذاء عسكري منتظمة ، ثم ظهر الباب الذى دخلت منه ، جنسدى جوازات يحمل حقيبتي وقد نقلها من القطار ليضعها الى جانبى فى صمت تام ، ثم استدار ليعود من حيث أتى .

وبعد قليل أطلق القطار صفارة طويلة ، بددت سكون الليل ، فوجدتنى أنهض بحركة لا ارادية ، ليس لها من هدف سوى أن أتطلع الى قطارى من نافذة القاعة ، وأشهد حركته البطيئة فى أول الامر ، ثم عرباته المتلاحقة تتسارع حتى تختفى عن ناظرى . . فى طريقه الى بلغراد ، حيث ينتظر مندوب وزارة الثقافة اليوغوسلافية فى محطة القطار ! .

اتجهت الى الباب الذى خرج منه ضابط الجوازات ، فوجدته مقبلا ناحيتى ، يسلمنى جواز السفر ، ويقول ما فهمت منه أن الاتصالات كانت غير مثمرة ، وأن على أن أعود مرة ثانية الى بودابست . حاولت أن أشرح له

تارة بالانجليزية ، وتارة بفتات الالمانية والروسية ، اننى لا احمل معى نقودا ، واننى احتاج الى تذكرة سفر الى بودابست بدلا من تذكرة بلغراد التى معى . . ويبدو ان محاولاتي للحديث معه لم تكن ناجحة ، اذ انه اشار الى المقعد الذى كنت اجلس عليه ، بما يفيد ان اجلس وانتظر .

من فرط تعقد الموقف ، ومن فرط يأسى ، هبط على برود شديد ، فجلست ، وجذبت مقعدا آخر امددت عليه ساقى ، وللمت اطراف المعطف اغطى به جسمى ، وجلبت القبعة على وجهى . . محاولا النوم !! . ولكنى لم اتم ، افكارى تتتابع ، مدينة صغيرة على الحدود ، ربما فى مستوى القرية . . لا احد يتكلم الانجليزية او الفرنسية . . ليس معى نقود لاشتري تذكرة سفر الى بودابست . . فماذا افعل ؟ . . وعاد ينتابنى شعور عذم المبالاة كنوع من الدفاع الداخلى فى مواجهة هذا الظرف المعقد .

كانت الساعة قد قاربت الثالثة بعد منتصف الليل ، عندما اقبل ضابط الجوازات ، وبرفقته جنديا تكرم برفع حقيبتى ، وأشار الضابط ان اتبعه ، فتحرك الراكب الى قطار يقف على احد أرصفة المحطة ، وصعدنا الى القطار فى عربة تشبه عربات الدرجة الثالثة عندنا ، ولكن باعتبارها املى فى الوصول الى بودابست ، بدت بمثابة افخر عربات النوم بالقطارات السياحية . دار حديث مع الكمسارى تخللته اشارات اصابع الضابط الى شخصى الضعيف ، قابلتها على الفور من جانبى ابتسامات مشجعة

مؤيدة ، وجلست الى جانب حقيبتى بعد ان غادر رجال  
الجوازات القطار .. واطمان الكمسارى على حالتي ،  
فانصرف عني .. وتحرك القطار .

بدأ الاطمئنان يتسرب الى نفسي ، وسخرت من مخاوفي  
السابقة .. كلها أربع ساعات واكون مرة ثانية في بودابست  
حيث يمكن اصلاح ما افسدته السفارة .. بعد خمس  
دقائق او سبع دقائق على الاكثر .. توقف القطار وبدأ  
هبوط الركاب ، وقلت لنفسي ، قطار قشاش سيقف على  
جميع المحطات . وبعد قليل لاحظت ان جميع الركاب قد  
هبطوا ، وان وقوف القطار قد طال .. ثم اقبل الكمسارى  
يطلب منى الهبوط فهذه هى نهاية رحلة القطار .. حاولت  
بالاشارة ان اسأل ، وكيف اذهب الى بودابست ؟ فأفادني  
بلغة الاشارة أيضا - وما كان انفعها في هذه المغامرة -  
ان على ان اهبط وانتظر قطارا آخر سيتحرك بعد قليل  
الى بودابست .

تبدت لى الحقيقة غارية بلا تدويق .. هذا الكمسارى  
هو آخر من يعلم تفاصيل قصتي ، ولا مناص من  
« الشعطة » في القطارات حتى بودابست .  
وقد كان !! ..

كنت أقول كلمة واحدة « بودابست » ، فيشير أحدهم  
الى قطار ما ، اتجه اليه ، يتحرك القطار ، يأتى الكمسارى  
فأسلمه الظرف الذى يحوى التذاكر الخاصة بالسفر الى  
بلغراد ومعها تذاكر عربة النوم ، يحاول ان يستفهم منى ،  
وأحاول ألا أقول شيئا ، يستأذن بابتسامة لكى يمضى بعيدا  
يدرس هذه التذاكر والاوراق ، والقطار يقطع بعض

الكيلومترات الى بودابست ، ويعود الكمسارى وقبيل  
اختفت ابتسامته ، وينطلق في حديث طويل بالمجسرية  
لا افهم تفاصيله ، ولكنى يقينا أدرك أن مضمونه تساؤلا  
عن سبب ركوبى في هذا القطار المتجه الى بودابست ،  
بينما تذاكرى كلها تؤهلنى للسفر الى بلغراد ، وكنت في  
نهاية الامر اردد على طريقة طرزان « باسبورت نيشت  
جود » . . . وكانت الخاتمة الحتمية لهذا المشهد في كل  
مرة ، ان أجد نفسى ، احمل حقيبتي وأهبط الى أول  
محطة يقف عندها القطار .

كنت اهبط ، فأسال عن قطار بودابست الثانى ،  
وانتظره اذا لم يكن مقيما بالمحطة ، او اذهب لاجلس فيه  
الى أن يحين موعد تحركه ، وتعود القصة لتتكرر  
بجدافيرها ، فأجد نفسى من جديد على رصيف محطة  
ما اسال عن القطار المتجه الى بودابست . كل هذا وانا  
احمل حقيبة السفر الثقيلة ، أبدلها من يد الى يد ،  
واقدامى تفوص تحت ثقلها في الجليد الآخذ فى الذوبان  
مختلطا بالطين والرمل والحصى . الى أن وصلت الى  
أحدى المحطات ، فتبرع كمسارى القطار ان يقودنى الى  
ناظر محطتها .

كان مبنى المحطة عبارة عن غرفة واسعة على شكل  
نصف سداسى ، واجهتها التى تطل على القطارات زجاجية  
تشرف على الموقع بأكمله ، وبداخل الغرفة العديد من  
الأذرع التى يتم عن طريقها تحويل خط سير القطارات .  
استقبلنى الرجل الجالس على المكتب الكبير المواجه  
للحائط الزجاجى ببشاشة وتعاطف ، فأخذت أقص عليه



قصتي بالانجليزية ، وبنفس الابتسامة البشوش  
استوقفتني ، ورفع سماعة التليفون وطلب رقما ، ثم تكلم  
بضع كلمات بالمجرية ، قدم الى السماعة بعدها ، وعلى  
الفور أدركت أنه قد أحالني الى من يفهم الانجليزية ،  
ورحت اشرح موقفى فى اسهاب ، ومن الطرف الآخر  
لا تصلنى سوى كلمة واحدة « ييس » بمعنى نعم ، ولكنها  
كانت منعمة ، مرة مبتورة قاطعة ، وأخرى ممطسوطه  
فأهمة . . انتهت روايتى للموقف ، وناولت سماعة  
التليفون لناظر المحطة حتى يستمع الى ترجمة ماقلت . .  
ولدهشتى الشديدة ، وجدته يضع السماعة مكانها  
وينهى المكالمه ، ثم يتحفنى بالمزيد من الابتسامات  
والبشاشة . أشار الى فوتيل جلدى قريب من مكتبه  
طالباً منى أن أستريح ، وسألنى « تشاى ؟ » ، فأمنت  
برأسى ، وكان على بعد ذلك أن أستمتع بفنجان شاي  
ضخم يتصاعد منه البخار ، جعلنى أنسى مشكلتى  
مؤقتا .

أخذت أتطلع الى المشهد من حولى ، بعد أن انصرف  
مضيفى الى عمله ، وكان نور الصباح قد عم المكان رغم  
احتجاب الشمس . . وعشرات العربات تجرها خيول  
قوية ضخمة تفرغ حمولتها من الاخشاب داخل عربات  
البضاعة ، ثم تعود الى منطقة الاشجار الكثيفة التى أتت  
منها ، مخلقة عجالاتها أخاديدا غائرة ، يختلط فيها الجليد  
بالطين .

بعد قليل استدعى ناظر المحطة أحد الاشخاص ، فتناول  
حقيبتى ، ونهض ناظر المحطة يشد على يدى فى ود ومحبة

وهو يردد « جودباي . . جودباي » ، باعتزاز المتمكن من اللغة الانجليزية .

وجدت نفسي من جديد داخل قطار يتجه الى بودابست لتتكرر نفس القصة مع الكمسارى ، ولاهبط بحقيبتى المحطة التالية . . كنت خلال مغامراتى هذه قد قطعت أكثر من ثلاثة أرباع المسافة . . فما أن ركبت القطار التالى ، حتى اقسمت الا اغادره الا فى بودابست ، واخذت أعبر العربات باحثا عن أكثرها ازدحاما . . واتخذت مكانا فى آخر المقعد لصق شباك القطار . . ولحسن حظى ، ما أن توقف القطار فى المحطة التالية وقبل أن يأتى الكمسارى ، صعد الى العربة مئات الركاب ، عمال ، فلاحون ، عائلات . . وكان من نصيبى أن تحتل الاماكن المجاورة لى ، عائلة متعددة الافراد ، امرأة عجوز ، وسيدة فى منتصف العمر ، وثلاثة رجال ، وطفلان . . تراخموا فى المكان الذى لم يكن ليتسع لكل ذلك العدد . . ولسعادتى الفامرة ، ازدحم الممر بالركاب الذين لم يجدوا اماكن لجلوسهم . . لقد جاء الفرج . . ولن يصبح من السهل على الكمسارى أن يصل الى مكانى الا بعد أن يمر على هذه المئات . . والتصقت بشباك القطار محتما بالعايلة الكبيرة التى جاورتنى .

ما أن استقرت العائلة فى مكانها ، حتى خرجت من الحقائق أرغفة العيش الضخمة ، وخراطيش « السلاما » الطويلة ، وزجاجات العصير الكبيرة . . أخرج احد الرجال مطواه من جيبه ، ونظف حدها بمنديله ، ثم أخذ يقطع الرغيف الضخم ويفرد على كل قطعة شريحة سميكة من

«السلاما» .. وأخرجت السيدة الصغيرة اكوابا معدنية من حقيبتها ، وأفرغت لكل واحد كوبا من عصير الفاكهة .. وزاح الكل يلتهم ويزدرد مايقدم اليه بشهية مفتوحة .. وعيني ترتفع في حذر من حين الى حين تتابع هذا الموقف المثير .. لقد جعلني الدفء والاستقرار النسبي اشعر بالجوع الشديد الذي كنت قد نسيت في زحمة الاحداث ، فالساعة الآن الثانية عشرة ظهرا ، ولم يدخل جوفى طعاما منذ التاسعة من مساء اليوم السابق ، وزاد من احساسى بالجوع ذلك المجهود العضلى والعصبى الذى بدلته منذ بداية رحلة التشرّد ، أضف الى هذا أن فنجان الشاي الذى أنعم به على ناظر المحطة الكريم قد زاد من تفتح شهيتى :

ما أن انتهى هذا المشهد المسيل للعاب ، ونفض الجميع عن ملابسهم بقايا الخبز ، حتى جذبت السيدة ، وكانت تجلس فى مواجهتى ، أصفر الاطفال وأجلسته على ركبتها .. وراحت تناغيه وتدلله ، فيستجيب الطفل لناغاتها بتطويح قدميه ، لتضطلما فى كل مرة بمنتصف قصبة ساقى .. وعلى قدر مبالغة السيدة فى المناغاة والتدليل ، كان حماس الطفل لحركة قدميه ، وكان تضاعف الى بالخطبات المنتظمة المتوالية التى تقع على سساقى .. وذهبت سدى كل محاولاتي لتغيير جلستى تفاديا لضربات الطفل المدلل ، فباقى الاسرة تحتل كل ملليمتر من المقعد. بما لا يسمح بأيسر حركة .. وانتهت هذه الازمة عندما دبت الفرة الى قلب الطفل الثانى ، وأقبل ليحشر نفسه متمحكا بينى وبين السيدة مانعا قدم الآخر من الوصول

الى . . ففتحت السيدة حقيبتها ، وأعطت الطفل الذى نهشته الغيرة قطعة شيكولاته ، أخذ يقضمها فى تلذذ ، ويستحلبها ، ويمد أصبعه الى فمه متتبعا آثارها الهاربة فى تجاويف فمه . . ماسحا يده فى ملابسى ! .

بابتسامة غاية فى الجمالة ، كنت أمد يدي مبعدا يده المتسخة عن سروالى ومعطفى . . فيعود ليضعها ثانية فى مكانها الاول ، منشغلا عنى الى قطعة الشيكولاته التى فى يده ، والعائلة تتابع هذا المشهد ، متصورة أننى أتعاطف مع الطفل الصغير وأداعبه ، فترسم ابتسامات السعادة على الوجوه .

وفجأة . . ظهر الكمسارى !! . .

كالعادة سلمته ظرف التذاكر . . وكالعادة سببت له محتويات الظرف وبياناتها ارتباكاً ، فاستأذن فى أن يأخذ الاوراق لمراجعتها . . وكالعادة ، وافقت منتظرا المشهد التالى فى مسرحيتى المتكررة . . عاد ليبدى نفس الحيرة ، ورددت نفس الكلمات التى كنت أرددها دائما ، وبدأ يتكلم عن هبوطى فى المحطة التالية ، ولكننى فى هذه المرة ، وبقدر ما استطعت أن أصبغ صورتى بالحسنة والحزم ، قلت فى اصرار « بوليس . . بودابست » . . ويبدو أنه أقنع ، أو أن ازدحام القطار لم يسمح له بمزيد من التوقف عند حالتى ، فأخذ ظرف التذاكر معه كرهن ، لحين وصولنا الى بودابست .

وغنى عن الذكر ، أن العائلة الجالسة حولى قد أفزعها لفظ « بوليس » الذى رددته باصرار ، ولا أدرى ما الذى

فهمته من ترديدي لهذه الكلمة ، الا أن معالم الجدية  
والحذر قد أطلت من كل العيون .

أخيرا . . وصلنا بودابست ، وانصرف الركاب ، وبقيت  
على رصيف المحطة ، أنتظر الكمسارى الذى سسيأخذنى  
الى البوليس . . وكنت أشعر بنوع من التلذذ السادى ،  
وأنا أتصور سلطات الامن تتصل بالسفارة ، لتسلم المواطن  
المصرى ، وأخذت أعد الكلمات الحادة التى سأوجهها الى  
ذلك المسئول الذى سبب لى كل هذا العناء بسبب  
اهماله .

وأقبل الكمسارى من بعيد ، وأشارت اليه براسى  
ما معناه ، هيا الى البوليس ، لكنه نظر الى فى سأم .  
وناولنى ظرف التذاكر ، مشيرا بيده مامعناه « انصرف  
. . بلاش دوشة . . » ، غاظنى منه هذا التصرف ، وقبل  
أن أتكلم كان قد تركنى وابتعد تماما . . لقد انتهت ورديته  
ويريد أن يعود الى بيته ، ما الذى يدفعه الى فتح قصة  
جديدة ، برليس وتحقيق وأقوال ؟!

ركبت أول تاكسى صادفنى ، وذكرت له اسم الفندق  
الذى تقيم فيه الفرقة ، وكانت ساعة المحطة تشير الى  
الواحدة والنصف ظهرا . . ساعتان من بودابست الى  
الحدود فى عربة النوم الفاخرة . . ثم عشر ساعات ونصف  
لاقطع نفس المشوار « شعبطة » وتزويغ فى القطارات .

وصلت الى الفندق وطلبت من الاستقبال أن يدفع  
للتاكسى ، بينما مدير الفندق ، يلاحقنى بأسئلته عن سر  
عودتى فى فضول شديد ، كانت الفرقة مازالت فى  
« سيكاشفاهير فار » ، فالتهمت غداثى بأسرع ما أمكننى ،

واندفعت الى غرفتي التي لم تكن قد شغلت بعد ، ارثمي في نوم عميق .

حوالي الساعة مساء استيقظت بعد ان بذل أعضاء الفرقة مجهودا كبيرا في ايقاظي ، وقالوا ان مندوبة وزارة الثقافة قد عرفت بالقصة من مدير الفندق ، وأجرت اللازم نحو حجز جديد في قطار منتصف الليل المتوجه الى بلغراد ، بعد ان تم تدارك التأشيرات اللازمة في جواز سفرى ، وانها قد حضرت لتبلغنى بما تم انجازه . . ولكنى ما ان تصورت نفسى مرة ثانية على طريق العذاب هذا ، حتى ثارت اعصابى وكدت ان اصاب بانهييار عصبى ، ورفضت بشدة السفر منفردا ، وصممت على تأجيل السفر بحيث اسافر مع الفرقة بعد يومين ، ولتنتظر بلغراد تصحيح برامجها ، الى حين حضورى مع الفرقة .

\*\*\*

أخذ السيد يوهاس يستمع الى قصتى هذه مندهشا ، فقلت له ان الاغرب من هذا ، جاء عندما سافرنا بعد ذلك بالاتوبيس لنعبر الحدود المجرية في موقع آخر غير موقع القطار .

فقد وصلت مع الفرقة الى الحدود ، وكان الجسو مشرقا والجليد الذى يغطى كل شىء يلمع عاكسا اشعة الشمس الساقطة عليه ، ورأينا على البعد الاتوبيس اليوغوسلافى الذى سينقلنا الى مدينة « سيبوتيتسا » التى سيقدم بها مسرح العرائس حفلته الاولى . وقد اخبرنى ضابط الحدود ان بإمكانى عبور المنطقة الحرام

- من الحدود المشتركة ، والوصول الى الوفد اليوغوسلافى ، حتى اطلب منهم انتقال الاتوبيس الى جوار الاتوبيس المجرى ليسهل نقل الحقائق من واحد الى الآخر دون عناء . وأعطيت الاوامر للجندى المكلف برفع الحاجز الذى يمثل آخر حد للحركة فى الاراضى المجرية . . وكان يفصل ما بين هذا الحاجز ، والحاجز الخشبى المقابل عند قوات الحدود اليوغوسلافية ، ما يشبه الكوبرى ، عند منتصفه علامة تشير الى الحدود الرسمية المشتركة بين البلدين . . وكانت المسافة بين الحاجزين تصل الى ما يقرب من مائة وخمسين مترا ، رحت أخطر على أرض الكوبرى الفاصل بين الحاجزين ، ووقع أقدامى يتردد عليه رغم الجليد الذى يغطيه . . وما أن وصلت الى الحاجز الآخر ، حتى صدرت الاوامر برفعه ، لاجد وفد الاستقبال يتقدم ناحيتى بالورود وعبارات التحية . . أبلغتهم رغبة الجانب الآخر فى تحرك اتوبيسهم ، فرفض رجال الحدود ، وقالوا ان فى هذا مخالفة خطيرة ، فهو يعنى دخول الاتوبيس الى أرض دولة أخرى بدون تصريح .

وما العمل اذا ؟ . . استمرت المفاوضات بين وفد المرافقين ورجال الحدود ، وانتهت الى حل وسط . . . ستسمح الحدود اليوغوسلافية للاتوبيس بالسير متقهقرا بظهره الى العلامة التى فى منتصف الكوبرى ، وعلى الجانب المجرى أن يقوم بنفس الشيء .

وعدت مرة ثانية الى المجر ، وفى كل مرة كانت تصدر أوامر المسئولين برفع الحاجز فى نداء عسكري مرتفع . . وأخبرت رجال الحدود المجرين بهذا الحل السعيد ،

فترددوا بعض الشيء ، ولكنهم احسوا أن الرفض المجرى في مقابل التسامح اليوغوسلافى ، سيعتبر تعنتا .

وهكذا أخذ كل أتوبيس يتقدم على الكوبرى بظهره ، حتى التقيا عند العلامة التى تشير الى الحدود الرسمية، وبدأ أعضاء الفرقة ينقلون الحقائب من ظهر هذا الاتوبيس الى ظهر ذاك ، وتحرك بنا الاتوبيس بعسد ذلك الى يوغوسلافيا .



كنت أحكى هذه الفقرة من حكايتى ، وقد أحسست أن السيد يوهاس ، لم يعد معى بانتباهه الكامل . . وما أن توقفت عن الكلام حتى قال فى هدوء « هل تسمع بأن تطلعنى على جواز سفرك ؟ » . . قدمته اليه ، وأخذ يتصفحه مقطبا الجبين ، وهب واقفا ليقول « كما توقعت . . لقد نسى الفندق هذه المرة أن يختم الجواز من جهات الأمن المحلى ، وربما كان ينتظر اليوم السابق لسفر الفرقة . . » .

لم أنطق حرفا واحدا . . ويبسود أن التعبيرات التى ظهرت على وجهى عكست حالة الدهول وخيبة الامل ، لأن السيد يوهاس سارع بتطبيب خاطرى ، ونظر الى ساعته ، ثم قال أن الوقت مازال يسمح بتدارك هذا النقص ، وأخذ الجواز وانصرف مهرولا . .

هل يمكن أن يحدث هذا ؟ . . هل يقرص المؤمن من حجر مرتين ، وفى نفس الموضع ؟ . . ما الذى كان سيحدث لو لم يتوفر وقت الفراغ قبل تحرك القطار ؟ . . ولو لم أحكى بالصدفة هذه القصة للسيد يوهاس ، على سبيل



تمضية الوقت ؟ .. في المرة الماضية كانت هناك عملية نقل من وثيقة جماعية الى جواز سفر .. فما العذر في هذه المرة ، وهذا الجواز أتنقل به من بلد الى بلد منذ بداية الرحلة ؟ .. وتصورت نفسي أكرر نفس التجربة السابقة في نفس مدينة الحدود التي هبطت اليها في الرحلة السابقة .. وأواجه نفس المشاق والصعوبات التي واجهتها في المرة السابقة !! . انقبضت .. ولم يبدد انقباضى وصول السيد يوهاس وقد أنجز الاجراء المطلوب .. ولم يبدده اجتيازى للحدود .. فقط تبدد عندما وضعت قدمي على الرصيف الصلب لمحطة بلغراد .

## أزمة خبز وماء !

### صبحى ، وقطع اللحم الصغيرة :

انتهى العرض المسرحى فى « بينا » ، احدى مدن المانيا الديموقراطية ، وذهبنا الى المطعم لتناول العشاء . بدأت اطباق الطعام تنتشر على الموائد ، كنت اسير مع المرافق العراقى احدد له اصحاب الوجبات الخاصة ، من الدجاج المسلوق ، وفقا لاوامر الطبيب ، عندما سمعت حوارا مرتفعا فى الطرف الآخر من المطعم .. ذهبت الى مصدر الصياح المرتفع ، كان الاستاذ صبحى عازف « الفلوت » ثائرا ، رافضا الطعام الذى يقدم اليه ، متمسكا بأن يأكل من دجاج المرضى .. والاستاذ صبحى فنان هادىء حين بسيط فى تعاملاته ، لم يكن فى يوم من ايام الرحلة الطويلة التى مضت مصدر متاعب او اشكالات .. لذلك حرصت على تقصى اسباب ثورته المفاجئة .. قال « أنا لا أكل اللحوم .. » ، قلت « وماذا تأكل ؟ » قال « اكل مسن الدجاج الذى يقدم للأعضاء » ، قلت « وجبات الدجاج عددها محدود ، سبق الاتفاق عليه تبعا لعدد المرضى ، لو أنك كنت قد اخطرتنى من قبل برغبتك هذه لامكن

تحقيقها ، لكن الذى أعرفه أنك تأكل معنا دائما مايقدم من طعام ، وقد مضى علينا فى الرحلة أكثر من شهرين ، لم اسمع طوال ذلك الوقت أنك لا تأكل اللحوم » ، قال « لم اكن أحب أن أثير أشكالا بطلبى الخاص ، وعندما كانت تقدم لى وجبة تتضمن اللحم ، كنت اترك اللحم واكل باقى مايقدم لى » .

عدت الى المرافق أسأله امكان تبديل هذه الوجبة ، فأفاد باستحالة ذلك ، حيث أن المطعم الذى نأكل فيه ، قد أعد هذه الوجبات خصيصا لنا ، والمفروض أن يكون قد أغلق أبوابه منذ أكثر من ساعة ، ولكنه يفتح أبوابه للفرقة فقط ، ولحين أن تنتهى هذه الوجبة . وهكذا بقيت التكشيرة معلقة على وجه الاستاذ صبحى حتى صباح اليوم التالى .

عندما وصلنا لبيزج فى اليوم التالى ، وأثناء ترتيب مواعيد الوجبات ونوعيتها ، حرصت على اضافة اسم الاستاذ صبحى الى قائمة اكلة الدجاج .

على مائدة الغذاء كان الطبق الرئيسى يشبه « كباب الحلة » عندنا ، فأخذت أسأل عن الوجبات الخاصة التى كنت قد حددتها ، وكنت أريد أن افاجئ الاستاذ صبحى بالدجاج حتى نزول التكشيرة .. وجدت الجرسون مقبلا يدفع مائدة متحركة عليها طعام المرضى ، فأشرت اليه ، ثم أخذت أطوف بناظرى بحثا عن الاستاذ صبحى فوجدته .. يضحك ويتحدث ويلتهم فى شهية واضحة طبق « كباب الحلة » ..

غاضنى هذا .. لماذا كانت ضجة الامس اذا ؟ ..

صرفت الجرسون ، وأشارت الى المايسترو شعيبان  
أبو السعد ليحىء ويكون شاهدا على الواقعة ، وذهبنا  
الى مائدة الاستاذ صبحى دون أن يشعر باقترابنا ،  
وشعيبان أبو السعد يكتم ضحكاته بصعوبة .

قلت « استاذ صبحى .. انت بتاكل لحمة ؟ » ، نهض  
مرتبكا ، وأخذ يقول أى كلام ، الى أن أسعفه الله بالتفسير  
الساذج « أصلها مقطعة حنت صغيرة !! » .. الى هذا  
الحد لم أستطع مواصلة اظهار الغضب ، فانفجرت مع  
شعيبان فى عاصفة من الضحك شاركنا فيها كل من على  
المائدة ، بما فى ذلك الاستاذ صبحى نفسه .

كانت المسألة فى اليوم السابق ، مجرد وسيلة للتفريغ  
عن الضيق النفسى ، واسلوب من اساليب تفسير  
شحنة الغربة المركبة .

### الضائى والخنزير .. وقصص اخرى :

كان الاكل واصنافه ومواعيده ، أحد بنود المفاوضات  
الاساسية التى تبدأ عند وصولنا الى كل دولة جديدة ..  
دائما ، برنامج العمل ، مواعيد الحفلات ، البرامج  
الرسمية من استقبالات وزيارات ، مصروف الجيب  
واسلوب صرفه .. ثم مسألة الاكل .

ماذا ناكل ، وماذا لا ناكل ؟ .. قوائم المرضى والدين  
أمر لهم الطبيب ببطعام خاص ، مواعيد الطعام وعلاقتها  
بأوقات التدريب والحفلات .

لاشك أن السؤال الاول كان يدور حول لحم الخنزير ،

وبعد استبعاده من القائمة ، كان السؤال التالي يدور حول باقى أنواع اللحوم والطيور والاسماك ، كان البعض مثلاً لا يطيق لحم الضأن ، وعندما كان يقدم بطريق الخطأ أو فى أحد المطاعم التى كنا نتناول فيها وجباتنا السريعة أثناء رحلاتنا بالأتوبيس ، كانت أنوف هذا البعض تتشمم رائحة لحم الضأن على بعد عشرات الامتار ، فلم يكن من السهل خداعهم . كذلك كان البعض لا يأكل السمك . لهذا كنت أختار الوجبات الحيادية التى يقبلها الجميع ، وكنت أكررها تسهيلاً لهم . . وكان هذا فى أغلب الأحيان يفقدنا فرصة الاستمتاع بالوجبات والاصناف الوطنية الخاصة بكل مدينة أو اقليم ، ولكن من الذى كان يستطيع المغامرة بتقديم هذه الاصناف ، ويتحمل وجهات النظر المتناقضة فيها ، ٩٠ وجهة نظر ، تحتمل كافة ضروب وانواع التناقض .

كان التجمع لوجبات الطعام أحد مشاكلنا الرئيسية ، وخاصة فى وجبتى الافطار والغداء ، فوجبة العشاء كان امرها هينا ، لاننا كنا عادة نهبط من الأتوبيس بعد العرض أو التدريب ونتوجه فى وقت واحد الى المطعم . . أما الافطار والغداء ، فكان توافد الاعضاء على المطعم يتفاوت تفاوتاً كبيراً ، فينسحب على مدى ساعتين أو أكثر . . البعض يكون فى تمام الساعة صباحاً جالساً على مقعده فى المطعم منتظراً طعام الافطار ، والبعض الآخر كان يصحو من نومه فى التاسعة أو العاشرة . . ونفس الامر فى وجبة الغداء ، تدخل الدفعة الاولى الموجودة بالفندق عندما يحل الموعد المحدد ، ثم تبدأ أفواج القادمين

من الأسواق بمشترائوتهم ، افواج متباعدة ، تجعل مهمة المطعم شاقة للغاية .

من هنا كان لابد من وضع لائحة خاصة بوجبات الطعام . . فى أول وصولنا الى المدينة ، يتم اخطار الاعضاء بمواعيد الوجبات ، ويكون من حق العضو أن يتخلف عن هذا الموعد لمدة ربع ساعة ، والذي يصل بعد هذا الموعد يوقع عليه جزاء خاصا ، بالخصم من مصروف الجيب الخاص به ، والذي يتجاوز النصف ساعة لا يكون من حقه دخول المطعم . . وفى الافطار كانت تحدد ساعات تقديم الوجبة ، من السابعة والنصف الى العاشرة مثلا ، ويغلق باب المطعم بعد هذا الوقت ، وكان هواة النوم الثقيل غالبا ما يفضلون الاستمتاع بهوايتهم ، مضحين بوجبة الافطار .

ثم بدأ نوع من التحايل ، بطلب الوجبات فى الحجرات تهربا من قيد المواعيد ، واستجذبت شكوى المطعم من كثرة الوجبات التى تقدم فى الحجرات ، فأضيفت قاعدة جديدة تقضى بأن يقتصر تقديم الوجبات فى الحجرات على المرضى . . وكانت تخطر ادارة المطعم بأرقام حجراتهم يوميا .

وكانت المشكلة التى تواجه المطعم عند وصولنا ، هى دائما مشكلة الماء والعيش ، فكان الطلب على هسليدين البنديين يتجاوز أى معدل تعود عليه المطعم . نحن نشرب كميات كبيرة من الماء اثناء الوجبات ، ونطلب ثلاثة أضعاف المعدل العادى للخبز الذى يقدمه أى مطعم ، وتجنبنا للمشاكل والمضايقات كان هذا البند يدخل فى التعليمات الاساسية لكل فندق نصل اليه ، وكان الجرسونات

ينفذون هذه المهمة ، وعلى وجوههم ابتسامة تعكس  
تعجبهم لهذه الظاهرة الغريبة ، ظاهرة الشعوب  
آكلة العيش .

وقد اكتشفت بعد مرور أكثر من شهر على بداية  
الرحلة ، ظاهرة عامة بالنسبة للأعضاء ، وهي نزيف اللثة  
وبدا الشاكون من هذه الظاهرة يشكلون طابورا طويلا في  
رحلة المستشفى اليومية . وفي جميع الحالات ، أكد  
الاطباء أن مرجع هذه الظاهرة الى نقص فيتامين « سي »  
في غذاء الفرقة بشكل عام عن المعدل العادي الذي تعودوا  
عليه . . . وبدأ صرف كميات ضخمة من فيتامين « سي »  
كانت توزع على الاعضاء على سبيل « الجراية » اليومية .

### اصوات غريبة في أنقرة :

كانت لنا مع التفاح قصة طويلة في هذه الرحلة ، ومن  
فرط توافره وتقديره في كل وجبة يوميا ، بدأ التمرد  
عليه ، وفي أواخر الرحلة كنت تجد الكثير من الاعضاء ،  
قد تناولوا وجبتهم ، وانصرفوا ، تاركين كوم التفاح  
على مائدتهم لم يمس . . . وقد ظهر رد فعل علة التفاح  
اليومية على الاعضاء ، عندما عثروا على البرتقال  
واليوسفى في أسواق يوغوسلافيا ، وأصبح من المناظر  
المألوفة ، وصول كل عضو الى الفندق ، يحمل باعتزاز  
حمولته من البرتقال التي سينفرد بها في حجراته .

الا ان بداية علاقتنا بالتفاح كانت مختلفة أشد  
الاختلاف ، فما ان هبطنا من الطائرة في أنقرة ، وعرف

كل واحد مكانه بالفندق ، حتى انفرط عقد الفرقة في الاسواق ، وكان الاتفاق مع وزارة الخارجية التركية ، التي كنا ضيوفا عليها ، على أن تصرف للاعضاء ما يقابل وجباتهم ، بحيث تستريح من هذه المهمة ، وقد حاولت أن أناقش هذا البند ، إلا أن اصرارهم عليه كان مرجعه الى عدم توفر القدرة على تجهيز وجبات لهذا العدد الضخم في مكان واحد .

تفرق أعضاء الفرقة في المدينة ، وعندما انتهت من ترتيبات العمل والزيارة مع المسؤولين الاتراك ، رجعت الى الفندق ، وأثناء سيري في الممر الذي يقود الى حجرتي ، وصلت الى سمعي أصوات غريبة تصدر بشكل منتظم عن جميع الحجرات . . نفس التكتكة تصدر من كل حجرة ، ورحت - وقد أثير فضولي - أقصرع الابواب مستفسرا عن السر في هذه الاصوات ، وكان الرد يجيء لا من شاغلي هذه الحجرات ، ولكن من اكوام قشر الفستق في كل حجرة . . لقد استقر الجميع - ودون اتفاق سابق بينهم - على أن تقتصر وجبة العشاء على الفستق والتفاح التركي ! والحقيقة ، أنه على كثرة ما قدم الينا من تفاح طوال هذه الرحلة ، لم تصل الجودة في أي بلد من البلاد ، الى جودة التفاح التركي .

... أبوكم ضحك عليكم !

اصرار الجانب التركي على عدم التكفل بوجبات الطعام والاكتفاء بتقديم مقابل مالي ، سبب لي الكثير من القلق . . كيف سيتدبر الاعضاء أمر وجباتهم ؟ . . كيف



سيمكنهم التفاهم باللغة التركية . . . كيف سيتحاسبون مع المطاعم ، ويدبرون وجباتهم بحيث لا تتجاوز المقابل المالى الذى تسلموه . . .

ولكنى اكتشفت بعد قليل أن مخاوفى لم تكن فى محلها . . . ففى ظهر اليوم الاول من أيام العمل بأنقرة ، وكنت فى طريقى من فندقنا الى الفندق الذى تقيم فيه بقية الفرقة ، سمعت وأنا أسير أمام احد المطاعم نداءات ودعوات باللغة العربية الدارجة صادرة من داخل المطعم ، فتوقفت ونظرت داخله ، فوجدت عددا لا يستهان به من أعضاء الفرقة يحتلون أغلب موائده ، وسسير جابر يسير مع الجرسون التركى يتفاهم معه على الاصناف المطلوبة لكل مائدة ، مستخدما حصيلة لا بأس بها من الكلمات التركية واسماء صنوف الطعام ، وكان القاسم المشترك فيها هو طبق « اليالنج باتلجسان » . . . أو ما نسميه عندنا « المسقعة القردىحى » . . . وكان السر فى الاصرار على هذا الطبق ، سعره المنخفض بالنسبة الى باقى الاصناف . وكانت النتيجة ، ليس فقط قدرة عالية فى التفاهم مع المطاعم ، ولكن أيضا مهارة خارقة فى اختيار الاصناف الرخيصة المشبعة ، التى تسمح باستغلال فائض ميزانية الطعام فى مشتريات أخرى من التى تزخر بها متاجر تركيا .

فى اسطنبول ، أذكر اننى خرجت مع مجموعة من الفرقة فى جولة بالسوق الشعبى الكبير والشبيه بسوق الحميدية « كاباليه شرشيه » ، وفى نهاية جولتنا شعرنا بالجوع ، وكان الوقت قرب المغيب ، وفى طريقنا

الى الكوبرى الكبير متجهين الى المدينة ، اقترح سامى  
يونس مدرب الفرقة ان نجرب اكلة السمك الشعبية التى  
يقدمونها على يسار مدخل الكوبرى . على شاطئ الدردنيل  
ينتشر باعة السمك المطهى .. بعضهم فى قوارب عائمة  
قرب جدار الرصيف ، وكل قارب مجهز بوابور جـاز  
وطاسة قلية ، يصطاد الرجل السمك من الدردنيل وينظفه  
فى القارب ، ثم يطهيه على الوابور داخل القارب ،  
وتسلم طلبك عن طريق سبت خاص بالقارب معلّق  
بحبل طرفه مثبت اعلى الرصيف .. والبعض الآخر يقيم  
مايشبه المطعم الشعبى الصغير على الشاطئ ، اشبهه  
بعربات باعة الفول والطعمية عندنا .. أدوات تجهيز  
السمك مقلية او مشوية ، ثم دكة او دكتان ، ولوح خشبى  
على قوائم منفصلة يمثل المائدة .

اقترح سامى يونس ان نجرب هذه المطاعم الشعبية ،  
ونتناول عشاءنا على شاطئ الدردنيل ، وكان اول  
ما صادفنا رجل كبير السن يقلى السمك على جانب  
الكوبرى مباشرة ، فرحب بنا باللغة العربية التى يجيدها  
ولما كانت اماكن الجلوس لديه محدودة بالنسبة لعددنا ،  
فقد اتفقنا على ان تجلس فى هذه الاماكن مجموعة  
الفتيات ، فجلست فى ضيافة الرجل العجوز جيلان وماجدة  
ونادية ودنيس ومريم ، وقلت لهن اننا سنجلس فى المطعم  
الشعبى الذى يبعد عن هذا المطعم عدة أمتار ، وكان  
المطعم الثانى أكثر تحضرا ، فما ان جلسنا على المقاعد ،  
وليس على دكة ، حتى أقبل الرجل يحيينا بالتركية ، ثم  
وزع على المائدة المفطاه بمشمع أطباق السلطة ، وكميات

مهولة من البصل الاحمر ، واتبع هذا بأطباق السمك المشوى ، وهو يشويه على طريقة الكباب المصرى ، نفس « المنقد » ، ومروحة التهوية .. كانت وجبة شهية انتهينا منها لنعود الى باقى المجموعة التى خلفناها عند صديقنا العجوز ، فوجدت البنات وقد انتهين من وجبتهم غارقات فى وصلة ضحك على حديث الرجل العجوز .

وعندما أخذنا طريقنا على الكوبرى الموصل الى قلب مدينة اسطنبول ، اعترفت جيلان بسبب وصلة الضحك هذه ، فقالت ان الرجل قال مفتاظا بعد انصرافنا الى الرجل المجاور له ، مشيرا الى ، « أبوكم ضحك عليكم ، اجلسكم عندي ، وراح هو يأكل عند الرجل الثانى ، لان أسعاره أغلى من أسعارى ... » .

### انتقام من رومانيا ، فى الاتحاد السوفيتى :

وتجربة المقابل المالى للوجبات كانت تجربة شاقة ، احسست بمشقتها فى رومانيا ، حيث تكرر ما حدث فى تركيا للمرة الثانية والاخيرة .

فى تركيا كنا قد وصلنا لتونا من مصر ، وكان عدم انتظام الوجبات او عدم كفايتها لا يشكل خطورة كبيرة فالحو دافئ ، ونحن مازلنا بعسد فى بداية الرحلة ، لم تستنفذ طاقتنا بعد . أما فى رومانيا ، وكانت الزيارة فى شهر نوفمبر ، فالبرد شديد ، والجهد المبذول فى الحفلات والتنقلات كبير ، سفر من بوخارست وحفلة فى بلويتشى ثم العودة الى بوخارست فى نفس اليوم ، ونفس الشيء بالنسبة لحفلة برايلا فى اليوم التالى ... وهكذا .

في واقع الامر، لم تكن مخاطر هذا النظام مجهولة لدى ،  
بعد خبرة الرحلة السابقة التي قمت بهامع مسرح العرائس .  
لقد صادفت في رحلة العرائس نفس هذا الاصرار على  
التدخل من مسئولية الطعام وصرف مقابل مالي في رومانيا  
ويوغوسلافيا ، وعانيت من هذا معاناة شديدة ، فيما  
يتصل بصحة الاعضاء وقدرتهم على مقاومة البرد القارس ،  
والجهد المتصل . كان ذلك مع مسرح العرائس ، فما بالك  
بفرقة رقص ، نحتاج من الراقص ، لياقة بدنية كاملة  
لا تتوافر الا اذا توافرت التغذية المناسبة .

وقد حاولت ان اثنى المسؤولين في رومانيا عن موقفهم  
ولكنهم اصرروا اصرارا تاما ، وكحل وسط ، عرضوا ان  
يتفقوا لنا مع مطعم الفندق على اسعار خاصة ، شريطة  
ان نتولى نحن محاسبة الفندق . ملت الى هذا الاقتراح  
لسببين ، اولهما ضمان الحد الادنى من التغذية للاعضاء  
وثانيهما تحقق القدر المعقول من النظام . فالواجبات  
المشتركة كانت احدى وسائل التنظيم في الرحلة ، يتم  
خلالها الاتفاق على مواعيد التدريبات والعروض والزيارات ،  
ويمكن خلالها ابلاغ الاعضاء بما يستجد من تغييرات  
ضرورية مفاجئة في برامجنا . وبغير لقاء المطعم هذا ،  
كان التجمع الوحيد متاح اثناء التدريبات او العروض ،  
ولم يكن هذا التجمع كافيا لابلاغ التعليمات اولا بأول .

جربنا هذا النظام ، وتمت محاسبة المطعم يوما بيوم ،  
فاكتشفت ان ثمن الواجبات التي يقدمها لنا المطعم ، بعد  
ذلك التخفيض الخاص ، يتجاوز المقابل المادي الذي تقدمه  
وزارة الثقافة الرومانية ، بل ويكاد يلتهم أغلب مصروف

الجيب الخاص بالأعضاء . أحسست بعدم جدوى هذا النظام ، فأفرجت للأعضاء عما بقى لهم من حساب الطعام ومصروف الجيب . . وعلى الفور توجهت جموعهم الى محلات « الاتومات » ، حيث يتم الاكل وقوفا ، أشبه بمحل الأمريكين عندنا ، وحيث تنخفض تكاليف الوجبة الى الخمس تقريبا .

الا أن الذى جعلنى لا أقبل تكرار هذا النظام ، ما اكتشفته من أن عددا كبيرا من الأعضاء كان يفضل أن يأكل أقل القليل ، على أن يستفيد من المبالغ المترفرة فى شراء الهدايا والملبوسات . وقد ظهر رد فعل هذه الفترة جليا ، أما فى حالات الإصابة بالمرض نتيجة لنقص التغذية وعدم وجود المقاومة الكافية فى الجسم ، أو فى طريقة اقبالهم على الطعام فى الاتحاد السوفيتى ، عندما انتقلنا اليه عقب زيارتنا لرومانيا ، وحيث الطعام ضمن الإقامة الكاملة . لقد بدت عمليات التعويض واضحة ، مما لفت نظر المرافق السوفيتى ، فحمله يطلب من المطعم تجاوز المعدلات التقليدية للوجبة .

### كوارع خنزير ، ل « شق الريق » :

وتحضرنى بهذه المناسبة واقعة مضحكة حدثت فى بلغراد ، أثناء رحلتى السابقة مع مسرح القاهرة للهرائس . . فقد كان الجانب اليوغوسلافى قد أصر على عدم تكفله بالوجبات .

كنا فى رمضان ، وقد أمضينا نصفه أو أكثر فى المجر ، ووصلنا الى بلغراد فى حوالى ثلثه الاخير ، كنت قد سد

عانيت الامرين في تنظيم مواعيد وجبات الصائمين وغير الصائمين ، والطلبات الخاصة في السحور والافطار ، ولعل هذا العناء ، ورغبتى الدفينة في التخلص منه ، هو الذى جعلنى اوافق ببساطة على مطلب الجانب اليوغوسلافى في التحلل من مسئولية الاكل . . وقد سألت المرافق عن الاماكن القريبة من الفندق والتي يمكن للاعضاء تناول طعامهم بها ، فقال انه عبر الشارع الذى يقع فيه الفندق يوجد مطعم خدمة ذاتية « سيلف سيرفيس » ، به كل انواع الطعام وبأسعار غشاية في الاعتدال . . فتم ابلاغ الفرقة بهذه المعلومات .

وفي أحد الايام ذهبت لاتناول طعامى في ذلك المطعم ، كان الوقت بعد الغروب بحوالى نصف ساعة ، فأبصرت أعضاء مسرح العرائس رجالا ونساء وقد احتلوا جانبا خاصا من موائد المطعم ، وألحوا بإشاراتهم أن أدنو منهم ، ففعلت ، وعرفت ان هذا الاستدعاء الملح سببه رغبتهم في اسداء النصيح بتجربة طبق شوربة الكوارع الممتاز . . وأنهم كل يوم « يشقوا ريقهم » بعد الصيام بالشوربة ، ثم ينخرطون في « مصمصة » الكوارع الشهية .

كان النظام في المطعم يقتضى المرور في خط سير طويل يبدأ بمائدة عليها عدد كبير من الصوانى البلاستيك ، تتناول واحدة ، ثم تمر على فاترينة طويلة بها كل اصناف الطعام ، موضح على كل صنف سعره ، وبلا حاجة الى الحديث ، يكفي أن تشير الى صنف معين ، حتى يضعه العامل على الصبينة ، وهكذا حتى تصل الى مكان الاكواب والشوك والملاعق والسكاكين والخبز ، ثم فتاة

على الآلة الحاسبة ، تلقى نظرة خاطفة على محتويات الصينية ، وتروح أصابعها تبحث في أزرار الآلة الحاسبة لتقدم لك في سرعة خاطفة ورقة عليها المبلغ المطلوب ، تدفعه وتحمل الصينية بعد ذلك الى المائدة التي تختارها .

تناولت صينيتي ، وأخذت طريقى اختار الاصناف التي أريدها ، وعندما وصلت الى الاطباق التي أوصى بها أعضاء الفرقة ، سألت الرجل بالإشارة عن كنهها ، فرفع ساقه عاليا وأشار اليها وهو يقول « بورك » ! . . شكرته بابتسامة وتابعت طريقى وأنا أكتم ضحكى بصعوبة .

كوارع خنزير مرة واحدة ، بعد كافة الاشكالات التي أثرت في بودابست ، حول اذا ماكانت الفراخ التي تقدم اليهم قد تم ذبحها وفقا للطريقة الشرعية ، وحول اذا ماكانت السكاكين التي تقطع بها اللحوم التي تقدم اليهم طاهرة ، أم سبق استخدامها في قطع لحم الخنزير !!؟

اتجهت بالصينية قريبا من موائدهم ، فتطلعوا اليها في خيبة أمل ، وقد افتقدوا فيها طبقهم المفضل . . طبق الكوارع المحترم . طبعاً ، لم أحاول أن أصدمهم بالحقيقة وأنا أرى سلاطين الشورى قد فرغت ، وعظام الكوارع مكومة أمامهم ! .

### فوق السحاب ، وتحت الارض :

من الموضوعات المفضلة لأعضاء الفرقة في أوقات فراغهم مقد مقارنات بين مختلف الظروف التي مروا بها في

عبورهم المتصل للدول العديدة التي زاروها .. وكانت هذه المقارنات تنتهى الى أن أفضل ظروف الضيافة كانت في بلغاريا والمجر .

فاذا علمنا أن ظروف الضيافة كانت بشكل عام وفي أغلب الدول طيبة ، تتسم بالكرم وحسن المعاملة ، أمكننا أن نتصور الدواعى الاستثنائية التي ميزت بلغاريا والمجر في مجال الضيافة .

وواقع الامر أن كرم الضيافة والاحساس به ، لم يكن مصدره فقط جودة الطعام أو وفرته أو ظروف المبيت والتنقل ، لكنه يرجع الى التعاطف الذي نشأ بين أعضاء الفرقة وكافة من احتكوا بهم من أهل بلغاريا والمجر . ولعل مرجع هذا الى احساسهم بالتقارب في الطبائع ، من حيث سخونة العواطف ، ودفع الاحاسيس ، والا لا أوروبية في ردود فعل الشعب في كل من بلغاريا والمجر .

ففي بلغاريا كنت تحس أن وفد المرافقين ، بالإضافة الى اهتمامه الكامل بكل فرد من أفراد الفرقة واستجابته السريعة لمطالب الحياة اليومية أو لمطالب العمل ، كان يتفنن في ادخال السرور الى قلوب أفراد الفرقة كلما أمكنه ذلك .

كان كبير المرافقين ، السيد يوردان ، شاب مثقف ينحدر من أسرة عملت طوال حياتها بالفن والسياسة ، فمن بين أجداده أكثر من أديب كبير يشار اليه عنده التاريخ للحركة الأدبية في بلغاريا . كان السيد يوردان يهمس في أذنى كلما كان هناك بعض الفراغ في برنامج عملنا اليومي ، « ألم تملوا من تناول وجباتكم في مطعم



الفندق ؟ » ، ثم يروح يصف في عبارات شاعرية ، المكان الذى يقترحه لوجبة الغذاء .. وازاء اغراء الوصف اوافق على الفور ، وسرعان ما نجد أنفسنا داخل الاتوبيس لتناول وجبتنا فى مكان ما على الجبل ... وتظل العربات تصعد بنا ، وتصعد ، حتى نصل الى السحاب .. السحاب فعلا وليس مجازا .. وقرب قمة الجبل نصل الى المطعم الجميل الذى اقيمت جدرانه من الزجاج بحيث لايفوتك المشهد الرائع فى تفصيلا من تفاصيله الاخاذة ، ايا كان مكان جلوسك فى المطعم . وبين الحين والآخر تمر على المطعم سحابة كثيفة ، تلفه ، وتعزله عن العالم تماما ، وتصبح الرؤية متعذرة على بعد امتار قليلة .. ثم تنقشع هذه السحابة ، لتعود اشعة الشمس تتسلل من جديد الى واجهات المطعم الزجاجية .

اما داخل المطعم ، فقد كان قطعة من الذوق السليم ، بديكوراته التى تعتمد على الاخشاب بأنواعها المختلفة ، مرددة ايجاعات الغابة الكثيفة ، التى تخرقها فى طريقك الى المطعم . وكان الكباب هو الطبق الرئيسى ، يقدم اليك فى اسياخ صغيرة دقيقة ، تتولى بنفسك تخليصه منها .. ثم طبق السلطة الخضراء التقليدى فى بلغاريا ، بالفلفل الاخضر الملهب ، ومبشور الجبن الابيض على سطحه .

كان يوردان يتجول بين الموائد ، سعيدا باستمتاع الاعضاء بالمكان ، مستفهما عن رغباتهم ، مشجعا اياهم على طلب المزيد ، فتحس أن سعادة الفرقة الزائرة ليست واجبا يسعى الى تنفيذه والوفاء به ، بل مطلبا شخصيا

يحرص على تحقيقه . ويروح ينقل بنفسه أطباق الفاكهة بما فيها من تنوع لم يتوفر لنا مرة أخرى بعد مغادرتنا بلغاريا .

وفي المساء ، يعود يوردان للاتصال بى فى غرفتى قائلا « لقد تصرفت دون استئذان منك . . فلتصفح عنى » ، أقول « خيرا ؟ » ، فيقول « اذا كان قد أعجبكم تناول الغذاء فوق السحاب ، فقد نظمت لكم عشاء تحت الارض ! » . .

وبالفعل ، يقودنا يوردان الى مطعم رشيق ، تزين مدخله الرسوم الشعبية بأسلوب حى نابض ، ومدخل المطعم يقود الى سلم هابط ، تظل تهبط فيه حتى تصل فى النهاية الى كهف غاية فى الجمال ، تغطى حوائطه قطع النسيج الشعبى البلغارى ، وتمتد موائده طويلة من الخشب الغليظ ، وعلى جانبيها دكك خشبية من نفس نوع خشب الموائد . وتصل اليك فى هذا الكهف ، وأيا كان موضعك ، الحان وأغانى الفرقة الشعبية التى تواصل عزفها طوال السهرة ، وبلا توقف .

ثم يظهر فجأة سرب من الجرسونات الجميلات فى ملابسهن الشعبية المزركشة ، يوزعن الاطباق الخزفية المزخرفة على الموائد ، ويضعن على كل مائدة عددا من أطباق الفلفل الاحمر المصحون ، والذى يدخل فى أغلب الاطباق البلغارية الشعبية . ويقدم المطعم لزبائنه طبقه الوحيد ، الدجاج المشوى . وتظهر اهمية هذا التخصص فى طريقة التجهيز المتميزة وأسلوب الشى الذى ينفرد به المطعم ، ويعتبره سرا من الاسرار الغالية . وينسجم

الرئيس عباس ، عارف المزار بفرقتنا ، بعد ان تستقر فرخة كاملة في معدته ، فيمد يده الى مسزماره الذى لا يفارقه ، ويتبرع برد التحية للفرقة التى اتمعتنا بموسيقاها طوال تناولنا لوجبة العشاء .

### او هام الفول المدمس فى المجر :

وكانت المجر هى الدولة الثانية التى ضربت رقما قياسيا فى الحرص على راحة أعضاء الفرقة وتلبية طلباتهم التى لا تنتهى . ويبدو أن الشعب المجرى بطبيعته ميال الى الاهتمام بالطعام وكمياته . فقد لاحظت ، خلال زيارتى المختلفة ، تميز المطعم المجرى بتقديم الوجبات المتعددة الاصناف والمضاعفة الكميات .

تبدأ الوجبة بطبق ضخيم من الحساء ، ثم طبق المشهيات ، ويتكون من قطعتين كبيرتين من السمك المقلى ثم الطبق الرئيسى ، ويتكون من شرائح سمكة من اللحم ، او نصف دجاجة ، ثم كمية من الخضروات والارز ، وتنتهى الوجبة بالفاكهة يتلوها طبق من الحلوى او المثلجات . . . وزجاجات العصير تقدم بصفة دائمة طوال تناول الطعام . . بعد هذا يقدم الشاي او القهوة حسب الطلب . وكذلك كانت وجبات الافطار تتضمن شرائح الجبن الكاشكفال ، والزبد والمربى والزبادى ، ثم طبق ضخيم من البيض المقلى والسجق . . بالاضافة الى طبق كبير على المائدة زاخر بأنواع الفطائر المختلفة .

كانت كميات الطعام بطبيعتها كبيرة ، وكان التنوع

متوفرا في جميع الوجبات ، فتوقعت أن تنتهى طوال فترة اقامتنا في المجر ، متاعب الاكل والطلبات الخاصة .. ولكن لماذا وكيف يحدث هذا؟! .. كيف لا تجود قرائح أعضاء الفرقة بما يتحول الى طلب؟! .

اثناء تناول طعام الغذاء بالمطعم ، وكان يجلس الى مائدتي السيد هوللو ، رئيس قسم العلاقات الخارجية بوزارة الثقافة ، ونائبه السيد يوهاس ، عندما اقل الراقص ممدوح عثمان الى مائدتي مهرولا ، وهو يقول في حماس وانفعال ، مشيرا الى مائدة تجلس اليها عائلة مجرية « فول يا استاذ راجى .. فول مدمس !! ، الجرسون كان مودى دلوقت طبق فول مدمس للترابيزة دى .. الله يخليك تقولهم يجيبوا لنا فول مدمس » .

شعرت أن الوقت غير مناسب لمثل هذه المطالب ، فقلت في هدوء حتى لا الفت نظر المسئولين الذين يجلسون الى مائدتي « بلاش طفاسة يا ممدوح ... روح اقعد مكانك » .

ولكنه ، غير ملتفت نهائيا الى مغزى كلماتي ، عاد الى التاكيد والاشارة الى المائدة المعنية ، مما جعل السيد هوللو يستفسر منى عن الموضوع ، فأردت أن أقول أى كلام ينهى الموقف ، الا أن السيد يوهاس الذى كان يتكلم العربية وزار مصر أكثر من مرة ، راح يترجم حكاية ممدوح للسيد هوللو .. وراح يشرح له في عبارات دقيقة ماهية الفول المدمس الذى جاء ذكره على لسان ممدوح .. ثم التفت يوهاس الى وقال « لا اظن أننا نعرف

ماتسمونه بالفول المدمس عندنا .. لقد أكلته في القاهرة ولكنهم لا يعرفونه عندنا » .. كل هذا ونوبة الحماس لم تفارق ممدوح ، فذهب المترجم مايك الى الجرسون يسأله عن الصنف الذي قدمه الى المائدة التي أشار اليها ممدوح ، وعاد ليقول بمصريته الدارجة التي تعلمها في مصر « ده مش فول يا أستاذ .. الفول تلاقيه عند التابعى ياسى ممدوح ! » ، ثم ذكر للسيد هوللو اسم الصنف الذى أثار المشكلة ، وأخذ يشرح لى أنه نوع من البقول مثل الفاصوليا وفول الصويا ، وعرض أن يطلب طبقا ، يجربه أعضاء الفرقة فاذا صادف قبولا لديهم ، أمر بإضافته الى وجبة الافطار .

رغم هذا ، فقد عاد ممدوح الى مائدته ، مارا على جميع الموائد ناشرا اشاعة اكتشاف الفول المدمس في المجر .. وأخذت الموائد تتناقل الخبر المشير ، وكأنه خبر اكتشاف البترول في ميدان التحرير ! ..

أحضر الجرسون الطبق الموعود ، وكان على أن افتتح عملية التدقيق حتى أفتى بمدى صلته بالفول المدمس ، فوجدته أقرب الى الفاصوليا المسلوقة ، وان كانت طريقة الطهى أقرب الى التدميس مما جعل لون حبات الفاصوليا أشبه بلون الفول المدمس .. لم يعجبني الصنف شخصيا ، ولكنى سلمت أعضاء الفرقة طبق التجارب هذا ، ليحددوا بأنفسهم موقفهم منه .. ودار الطبق الموعود على الموائد ، وتجمع الجرسونات يتابعون هذه العجبة التي تحدث في مطعمهم ، دون أن يدروا عنها شيئا ! .

وصلنى القرار فى نهاية الامر بتعميم الطبق فى الافطار مع اعداده بالزيت والملح والليمون ، بمثل ما يعد الفول المدمس .

وتم لهم ما أرادوا ، وفى الصباح خرجت من المطعم أطباق شبيهة الفول المدمس لتستقر على موائدنا ، ولتبدا - للعجب - شكوى عامة ، ورفض قاطع لهذا الشبيه المزور ، مما جعلنى أستدعى المتردى اوتيل ، واطلب منه التوقف عن تقديم هذا الطبق .. فأمن الرجل على كلامى وهمس فى اذنى « كنت أعرف أن هذا الطبق لن يعجبكم .. فهو الاكلة المفضلة لدى يهود المجر !! »

واحقا للحق ، لا يجب أن نفعل عن ذكر البانيا ، فى معرض الحديث عن كرم الضيافة . فالبانيا بموقفها المعروف من الدول الغربية ودول أوروبا الاشتراكية ، يجعل زيارة فرقة اجنبية ، حدثا مشرا ، ومناسبة لا تنسى .

وقد أمضينا فى البانيا ١٧ يوما ، وكانت اغلب ايام اقامتنا فيما عدا يوم أو يومين فى العاصمة تيرانا ، وفى فندقها الفخم الوحيد « دايتى » . وقد حرص وفد المرافقين الالبان على توفير كافة وسائل الراحة للفرقة ، وتلبية جميع الطلبات ، بدافع من كرم الضيافة ، ثم لاحساسهم بآثار الارهاق التى ظهرت علينا جميعا فى نهاية رحلتنا .

والمطبخ الالبانى يستمد تقاليده - تماما كمطبخنا - من المطبخ التركى الأم ، فكانت تقدم لنا الكثير من الاطباق التى كنا نظنها أطباقا مصرية أعدت خصيصا لنا

كنوع من التحية ، ثم نكتشف أنها أطباقا ألبانية معروفة وشائعة .. وكانت أطباق البصل الاخضر لا تختفى من على الموائد في وجبات الغذاء أو العشاء ، وظهر أنها عادة ألبانية أصيلة . أما أطباق البقلاوة الجيدة الاعداد ، فقد كان الطلب عليها لا ينقطع .

### وجبة لا تنسى في « ريجا » :

تناول الطعام في المطاعم الانيقة ، لاشك نوع من الرفاهية والمتعة التي لا يمكن ان تتكرر للواحد منا أكثر من مرتين في الشهر الواحد على احسن الظروف . وفي الشهر الاول من رحلتنا كنا نستمتع بوجبات الفنادق السرفيس الكامل ، الخدمة الممتازة ، طابور الجرسونات الذي يسارع برفع الطبق بمجرد أن تنتهي منه ، ليضع مكانه طبقا نظيفا ، في انتظار الجرسون الذي سيقدم الصنف التالي من الطعام ، التفنن في قائمة الطعام تحاشبا للتكرار ، اصناف الحلوى المبتكرة التي تتجدد انواعها كل وجبة .. جميع هذه المزايا التي لا تتحقق في بيوتنا الا في المناسبات السعيدة .

الا انه مع تعاقب الاشهر ، ورغم المحاولات الجادة في التصنيف والتنويع ، بدأ الواحد منا يحن الى أن يقتصر في عشاءه على سندوتش طعمية .. أو طبق باذنجان مقلى .. بل بدأ يشترق الى الاكل البسيط في البيت ، دون هذه المراسم التقليدية المركبة في المطعم .

لقد عايشنا سعادة التحضر من طعام الفندق مرة في

« ريجا » السوفيتية التى تقع على بحر البلطيق ، فقد جاء الراقص أحمد عنان ، ومصمم الديكور فوزى ليخبرانى انهما قد تعرفا على فتاة تدعى نتاشا سبروديا من مواطنات ريجا ، فنانة سوفيتية تعشق مصر ، وتهوى الفن الفرعونى ، وتريد أن ترانى بعد أن أخبراها باهتمامى الخاص بالفنون التشكيلية فى مصر ، وكتابتى فى هذا المجال .

كانت نتاشا قد قرأت الاعلانات عن الفرقة المصرية للفنون الشعبية التى تزور ريجا ، فأخذت تستفسر عنا فى جميع الفنادق حتى عثرت علينا يوم وصولنا وقبل أن تبدأ تدريباتنا أو عروضنا ، وكانت الراقصة دنيس أول من قابلها ، فقدمت نفسها وعرضت خدماتها على دنيس ، واستعدادها لمصاحبة أية مجموعة من الفرقة لمشاهدة المعالم الخاصة للمدينة ، وبالفعل كانت دائما عونا صادقا لدنيس وزوجها أحمد عنان وصديقهما فوزى .

تم لقائى مع نتاشا فى صالون الفندق ، فقالت انها تحب مصر عن بعد ، وانها تعلقت بالفن الفرعونى اثناء دراستها الفنية . فقد كان ضمن هذه الدراسة رسم ونحت نماذج من فنون الحضارات المختلفة ، وقالت انها ما أن وصلت الى نماذج الفن الفرعونى حتى تعلقت به ، وأحسست بانجذاب شديد اليه . . فراحت تتعمق فى دراسة الفن المصرى القديم ، وتقرأ عن الحضارة المصرية القديمة . . وأنتجت العديد من التماثيل كنسخ للأعمال الفنية المصرية القديمة الهامة . . وانتقل حبها الى مصر المعاصرة فأخذت تحاول دراسة اللغة العربية ، بواسطة كتب



عتيق بالروسية لتعلم اللغة العربية ، أهداها اياه أحد البحارة المصريين الذين تلتقى بهم فى نادى البحارة بميناء ريجا .

رغبت نتاشا فى دعوتنا الى منزلها لرؤية انتاجها من نسخ الفن المصرى القديم . واتفقنا على موعد فى أحد الايام التى لا يشغلنا فيها تدريب أو عرض . . حضرت لاصطحابنا ، فتبعناها . . من ترام الى آخر . . حتى وصلنا الى بيتها فى أطراف المدينة . . مبنى كبير وقديم ، تدخل اليه من بوابة مثل بوابات البيوت الاثرية عندنا ، تقودك الى حوش واسع ، ثم الى عدد من السلالم التى تصعد الى مختلف المساكن التى يضمها هذا المبنى الكبير العتيق ، وعندما وصلنا الى شقة نتاشا ، كانت أمها العجوز التى تعيش معها فى انتظارنا عند الباب .

مسكن نتاشا بسيط غاية فى البساطة ، صالة وحجرة واحدة . . الصالة مستخدمة كمطبخ ومدخل . . والفرقة مقسمة بواسطة ستار الى قسمين ، أحدهما يستخدم كحجرة نوم ، والآخر للطعام والمعيشة اليومية .

كنا أربعة أفراد ، دنيس وعنان ، فوزى وأنا . . ومع وجود نتاشا والدتها ، ازدحم بنا المكان ، وأصبح من الضروري أن نحسب حركتنا حتى لا نصطدم بالأثاث أو ببعضنا البعض . . . نسينا هذا كله ، عندما بدأت نتاشا تستعرض انتاجها الفنى ، بعضه قد استكمل مراحلته ، والبعض الآخر مازال فى دور التنفيذ ، مثل رأس اخناتون التى كانت فى طور شبه نهائى بالبلاستسين .

كانت والدته نتاشا تحاول أثناء هذا ان تتفاهم مع

دنيس وتشرح لها بعض الموضوعات ، فتعجز لغة الإشارة عن توصيل الافكار ، وتضطر نتاشا الى أن تتوقف عن كلامها حول انتاجها ، لتساهم في حل مشكلة التفاهم بين والدتها ودنيس .

وحرصت الوالدة أن تحتفى بنا بقدر ما أتيح لها من امكانيات ، قدمت القهوة ، ثم الشاي ، وطال الحديث ، حديثنا مع نتاشا في ذلك الجو العائلي الحميم . . ففوجئنا بالأم تطالبنا برفع التماثيل عن المائدة استعدادا لتجهيز العشاء . اعتذرنا جميعا في وقت واحد ، فالظروف المادية للعائلة ، واضح تماما أنها دون احتمال هذه الدعوة ، بالإضافة الى أن أماكننا جميعا محجوزة للعشاء في مطعم الفندق . طلبنا من نتاشا أن تعتذر لوالدتها وتخبرها أن لدينا من الارتباطات ما يضطرنا الى الانصراف فحاولت نتاشا أن تقوم بهذه المهمة ، إلا أن الأم رفضت رفضا قاطعا قبول هذه الاعذار ، وصممت على تقديم العشاء لاصدقاء بنتها القادمين من مصر .

ورغم بساطة العشاء الذي قدمته والدة نتاشا ، ورغم الكميات المتواضعة التي تمكنت من اعدادها . . إلا أننا اقبلنا على ماقدمته بشهية مفتوحة ، كنا قد افتقدناها طويلا تحت تأثير روتين وجبات المطاعم الفاخرة .

وصل تعاطف الوالدة معنا الى قمته في نهاية السهرة ، عندما طلبت مني ومن فوزى أن ننهض ، وتنعى جانبا ، حتى تتمكن من فتح باطن الكنبه « الاستمبولى » التي كنا نجلس فوقها ، ومن جوف الكنبه ، أخرجت بعناية فائقة علبة شيكولاته قديمة ، وضعتها على المائدة ، ثم أعادت

اغلاق الكنبه ، وسمحت لنا بالجلوس . اخذت الام مكانها حول المائدة ، وبدأت في عناية واعتزاز شديد بتفتيح العلبة ، لتخرج ما بها من صور عائلية ، تعرضها علينا واحدة واحدة مع التعليق المناسب الذي كانت نتاشا تتولى ترجمته . . صور شبابها المبكر بملابس ذلك العصر وقد ظهرت على الحائط من خلفها صورة معلقة للقيصر والقيصرة . . ثم صور زواجها . . ثم صورة لنتاشا وهي طفلة عارية . . ثم وهي فتاة صغيرة . وكانت الام وهي تفتح أبواب الذكريات تغرورق عيناها بالدموع . . ويرتفع صوتها وتعلق على كل صورة من الصور .

لقد شعرت بانجذاب حقيقى نحو تلك الام ، استمتعت بلقائها ، وحديثها ، وطعامها . وانتابنى شعور عميق بالالفة وانا بين جدران ذلك المسكن المتواضع ، بدد لوقت طويل شعور الغربة المركبة الذى حكيت عنه من قبل . . احسست بتعاطف عميق مع تلك الام العزيزة ، لم يستطع ان يحول دونه اختلاف اللغة او تباعد الوطن او تباين العادات . وبقيت وجبة ام نتاشا على مر الايام ، ذكرى لاشهى وجبة تناولتها فى رحلتى هذه .

### مؤامرة مكرونية فاشلة :

على الجانب الآخر من بحر البلطيق ، كانت اقامتنا فى مدينة « جديانسك » ، أول مدينة بولندية تصل اليها . كنا فى رمضان ، وبداية شهر ديسمبر فى شمال أوروبا . . الثلج يغطى كل شئ ، ولا أمل فى التطلع الى شعاع واحد للشمس على مدى الايام .

وكان موضوع وجبات الصائمين من اول الموضوعات  
التي جرت مناقشتها بمجرد وصولنا الى الفندق .  
فنصف أعضاء الفرقة يتمسكون بصيامهم ، رغم ظروف  
السفر المتصل ، وقسوة الجو . . وكان لابد من تسير  
وجبات الصائمين وضمانها . وكانت كبيرة المرافقين ،  
سيدة وقور ، أعرفها من زيارة سابقة ، اضطرت الى أن  
تبذل الكثير من الجهد حتى استطاعت أن تحدد للصائمين  
أوقات الامساك والافطار . . وكان من حسن طالع  
الصائمين ، أن ساعات الصيام في تلك المدينة في ذلك  
الوقت من السنة ، لم تكن تتجاوز الساعات العشر .

وقد وافق المطعم على تقديم وجبة سحور إضافية  
للسائمين ، وتم الاتفاق مع الأعضاء على أن تتوحد وجبتى  
الغداء و افطار الصائمين في وجبة واحدة الساعة الرابعة  
. . وأذكر أن الغروب حل في بعض تلك الايام في الثالثة  
والنصف بعد الظهر . وكانت هناك كشوفاً بأسماء  
الصائمين وعددهم حتى يمكن للمطعم أن يوفر احتياجاتهم  
الا ان هذه الكشوف كانت دائماً عرضة للتغيير والتبدل  
نتيجة للاحوال الصحية للأعضاء مما سبب لنا الكثير من  
المشاكل .

وفي جديانيسك ، أذكر واقعة كانت بطلتها الراقصة  
يسرية وهى من اقدم راقصات الفرقة . يسرية  
من هواة المكرونة . ورغم تحذيرات الجميع من السمنة ،  
كانت المكرونة هى نقطة الضعف عند يسرية . ولا أدري  
السرف في أن المكرونة لا تدخل ضمن الاطباق المعروفة في  
اغلب دول أوروبا الشرقية التى زرناها ، كان الارز هو

الشائع دائما . وقد كانت لیسریة محاولات دائبة للبحث عن المكرونة . فكم أجرت من حوار مع المرافقين حول السر في عدم ادراجهم للمكرونة ضمن قائمة الطعام . . ومع مرور الزمن ، أصابها اليأس من تحقق أملها ، فقلت مجهوداتها في البحث عن هذا السر المحير . . واعتبرنا أن قصة البحث عن المكرونة قد انتهت .

الا أنه قد اتضح لنا بعد ذلك ، أن اليأس الذي أصاب يسرية لم يكن مطبقا . . ففي جديانسك ، فوجئت بكبيرة المرافقين تفتح معي حديثا طويلا عن أهمية الحالة النفسية في تجويد مستوى الاداء ، وأن الراحة النفسية قد لا تتطلب لتحقيقها جهدا ضخما معجزا ، بل قد تتحقق نتيجة لتصرف بسيط . كنت حتى ذلك ، لم أصل بعد الى هدف هذه المقدمة النظرية ، الا أنه سرعان ما دخلت السيدة الوقور في صلب الموضوع ، فتحدثت عن رغبة يسرية في المكرونة ، وانها ترى أن تحقق هذه الرغبة يفيد ولا يضر . . وحتى عندما وصلت الى هذا التوضيح لم أفهم الدافع الى كل هذا الكلام . . فما المانع في أن تأكل يسرية مكرونة اذا ما كان تقديمها ميسرا ، وهل كنت أعترض على مثل هذا التعديل في قائمة الطعام ؟

واخيرا فهمت السر في كل هذه المقدمات . . كنت قد اتفقت مع كبيرة المرافقين عند وصولنا على أن يكون الاتصال بهيئة المرافقين لعرض المطالب عن طريقى أو عن طريق من أحدهم نيابة عنى في كل تخصص من التخصصات . . وأنه غير مسموح بتساتا للأعضاء أن يتوجهوا اليها أو الى أى واحد من المرافقين مباشرة بهذه

الطلبات . والواقع أن اتفانى هذا ، سبقه اتفاق مع أعضاء الفرقة حول هذا الموضوع ، رغبة في تنظيم الاتصال بالدولة المضيئة ، وحتى لا تختلط الأمور ، سواء في مطالب العمل أو احتياجات الحياة اليومية . وكان قد تخصص مسئول لكل غرض من الأغراض ، تتجمع عنده الرغبات ويتم تنسيقها ، ثم يقوم بإبلاغها للمرافق المسئول .

كان من الممكن الاكتفاء بهذه التعليمات الموجهة للأعضاء دون الحاجة إلى إيصالها إلى السيدة المرافقة . لكن بعض المخالفات من الأعضاء اضطرتني إلى هذا الإجراء لضمان عدم المخالفة . . . ويبدو أن بسرية تخوفت من محاسبتها على هذا الاتصال ، وأن السيدة المرافقة قد أوردت كل هذه المقدمات حتى لا تكون مفاتحتي في الموضوع سببا في محاسبة يسرية .

المهم . . . أنهيت الموضوع بالموافقة الشاملة على موضوع المكرونة .

وحل موعد الوجبة المشتركة ، افطار الصائمين ، وغداء الباقيين . . . وأقبلت يسرية في حالة من السعادة الشاملة ، تعتذر عن تصرفها ، وتبرره بدوافعها التي لا تقاوم ، ثم تمتن علينا جميعا ، بفضلها في طبق المكرونة الذي سبق قدم إلينا ، كما شرعت في مساومة بعض الزميلات اللاتي لم يكن يتحسسن للمكرونة ، على إجراء مبادلات في أصناف الطعام بحيث تحصل هي على أكبر نصيب من طبقها المفضل .

وصل الطبق المنشود ، مكرونة « بالبشاميل » ، وقيل أن أمد يدي إلى الطبق ، تعالت صيحات الاستنكار في

المطعم .. لقد كانت المكرونة معدة بالسكر ، فهكذا تقدم في بولندا ، بمثل ما نأكل نحن الشعرية بالسكر .

وأقبلت السيدة المرافقة منزعة من رد الفعل المعاكس بعد أن أفهمتها سرية أن هذا الطبق سيحوز اعجاب الجميع !.. فشرحت لها الموضوع وأنهيت القصة ... قصة آخر محاولة من جانب سرية لطلب المكرونة ، قبل وصولنا الى يوغوسلافيا ، حيث توافرت في أكثر من وجبة .

## علاج بالجملة!

انتصرت هدى ، واحتفظت بمصرانها :

تم تجديد موعد مبكر لوجبة الغذاء ، ففي السابعة والنصف مساءً ، سنقدم حفلتنا الاولى في ريجا ، وتم التشبيه على الجميع بالاستفادة من الفترة ما بين الغذاء والتحرك الى المسرح ، في راحة تامة ، حرصا على مستوى العرض المسرحي .

صعدت الى غرفتي بعد الغذاء ، وبدأت انفسد على شخصي ما نصحت به ، وما ان وصلت الى الغرفة حتى ارتفع رنين التليفون .. مشيرة حالتها صعبة للغاية ، وتشكو من مفاصل شديدة ، وقد تم اخطار المرافقة « رانا » وستنقلها الى المستشفى .. قلت للمختص الذي اتصل بي ، لا بأس .. اذهب معهم واخطرني بنتيجة الكشف .

وبعد نصف ساعة ، كانت رانا تتحدث على الجوانب الآخر من الخط .. كانت تتكلم من المستشفى ، تشوب لغتها العربية السليمة رنة احتداد .. والموضوع ، ان الطبيب قرر خطورة حالة مشيرة وضرورة اجراء عملية استئصال الزائدة الدودية فورا .. ومشيرة ترفض أن تمثل لقرار الطبيب ، لعلمها أن العملية ستقتضي تخلفها



عن السفر معنا الى بولندا بعد اربعة ايام ، والبقاء بمفردها  
في ريجا .

قلت لرانا ، ارسلنى الى السيارة الصغيرة ، وسأصل  
اليكم بعد عشر دقائق على الاكثر ، وطرحت جانبا فكرة  
الراحة بعد الاكل ، فارتديت ملابسى ثانية ، منتظرا  
السيارة التى ستقلنى الى المستشفى .

وهناك وجدت مشيرة منخرطة في نوبة بكاء هستيرى ،  
رانا تحاول تهدئتها من جانب ، ومحمد عبد الله المدير  
الإدارى للفرقة يحاول من جانب آخر اقناعها بعدم جدوى  
الرفض ، خاصة أن الطبيب رفض السماح لها بالخروج  
من المستشفى الا اذا وقعت الفرقة اقرارا رسميا بتحملها  
مسئولية عدم اجراء العملية .

بدأ حديثى مع مشيرة خافتا هادئا ، ثم تصاعد فى  
« كريشندو » حتى وصل الى كلمات حادة حاسمة ...  
وكانت اول خطوة مفترضة ان تدخل مشيرة الى الحمام،  
حيث تأخذ حماما ساخنا وترتدى ملابس المستشفى ،  
تمهيدا لدخولها حجرة العمليات . وقد أخذت ، اثناء  
مناقشتها ، ادفعها بدون أن تدري تجاه باب الحمام  
الذى يجب عليها أن تبدأ العملية بدخوله .. الى أن وصل  
« الكريشيندو » فى الحديث الى قمته ونحن أمام الباب  
مباشرة وأنا أقول « مشيرة .. مش عاوز كلام فارغ ..  
.. حتملى العملية ، يعنى حتمليها .. اتفضلى  
ادخلى .. »

وكان .. دخلت مشيرة ، ونظرات الامتنان توجهها الى  
هيئة التمريض التى كانت تنتظر لحظة دخولها .

التهمت هذه المحاولات ساعات الراحة ، وكانت الفرقة قد تحركت بالفعل الى المسرح .. وكان على أن أسرع الى المسرح قبل رفع الستار لاطمئن على سير العمل ، ثم لاقى كلمة التحية التقليدية فى بداية عرضنا الاول فى المدينة .

فى نهاية الفصل الاول ، وأثناء الاستراحة ذهبت مع رانا الى المستشفى لكى اطمئن على مشيرة ، وعلمت أن العملية تمت بنجاح وأنها بدأت تفيق من البنج ، فصعدت الى حجرتها وأخذت اطمئنها الى أن رانا ستبقى معها فى ريجا ، وتسهل لها السفر الى بولندا عندما تسمح لها صحتها بذلك ، فاستراحت نفسيا .. وتركها لتنام وقد تسالت رائحة البنج التى تسود المكان الى أنفى ، وبدأت أشعر بالتخدير والدوخة !.

فى نفس الموعد من اليوم التالى ، ارتفع رنين التليفون ، وكان هذه المرة من المستشفى .. هدى حالتها صعوبة ، ونحن نتكلم من المستشفى ، ولا بد أن تجرى عملية استئصال الزائدة الدودية اليوم ، وهدى تبكى رافضة بشدة اجراء العملية !.

وبطريقة آلية كاريكاتورية ، تكرر نفس ما حدث فى اليوم السابق .. وجرت عملية الاقناع بنفس الطريقة ونفس التدرج ، وهدى تبكى وتقول « مش ممكن .. أنا حاسه انى لو عملت العملية دى ح اموت » .. وأخذت أهدئها مستفيدا من سابقة مشيرة ، و « انتى مش تكونى لوحده .. و ح نخليهم يحطوكى مع مشيرة فى أوده واحدة » .. و .. و .. وتدخل هدى الى غرفة الحمام

ونظرات هيئة التمريض ترمقنى باعجاب لا حد له ..  
الرجل الذى لا يعرف العقبات .. وصاحب الكلمة الاخيرة  
دائما !! .

تشاء الظروف الا اتمكن من مغادرة المسرح اثناء العرض  
لزيارة هدى بعد العملية ، وفي نهاية العرض طلبت منى  
رانا أن نمر على الفندق لترك رسالة معينة ، ثم نذهب  
سويا الى المستشفى للاطمئنان على هدى ومشيرة .

وتنتظرنا فى بهو الفندق مفاجأة .. هدى جالسة والى  
جانبا حقيبتها ، منكسة الرأس ، واضعة يدها على خدها  
والمرافق آدم بلخمة التقليدية ، ولفته التى يدعى أن لها  
صلة بالعربية ، يطوح ذراعه ويقول « انها هدى رفض  
كثيرا .. وطبيب زالان « زعلان » ، وانا كلام تليفون  
غير ممكن ، و .. »

تركته وتوجهت الى هدى « ايه الحكاية يا هدى ...  
ازاى تعملى كده ؟ » ، ولا اجابة ، ثم انفجار فى نوبة  
بكاء و « انا عاوزه أرجع مصر .. عاوزه أموت فى مصر ..  
مش عاوزه أموت هنا » .

وأجرت رانا اتصالاتها بالمستشفى ، وعرفت كيف انها  
بمجرد انصرافنا ثارت وتمردت ، وتحت ضغط ثورتها  
تركها الطبيب لتعود مع المرافق الى الفندق ، وقال الطبيب  
ان العملية ضرورية ، ويجب أن تتم خلال سبعة أيام على  
الاكثر .. وما أن سمعت هدى هذا الكلام حتى توقفت  
عن البكاء وقالت « خلاص .. اعملها فى بولندا ،  
وانتو ح تكونوا معايا .. » .

انتصرت هدى .. وتصورت هيئة التمريض وقد خاب

ظنها في الرجل الذي لا يعرف العقبات ، وصاحب الكلمة  
الآخيرة !!.. المهم في الموضوع أنه بعد وصولنا الى  
بولندا ، أفتى الأطباء هناك بعدم ضرورة اجراء العملية ،  
واعطوها علاجا آخر . . وظلت هدى لزمن طويل ،  
تظهر في رقصات الفرقة القومية للفنون الشعبية ،  
تمسكة بمصرانها الأعور !!.

### زغلول . . وتقرير طويل من موسكو :

رغم كراهيتي الشديدة للمستشفيات ، ورائحة  
المستشفيات ، هذه الكراهية التي قد تبدو غير منطقية ،  
ولكنها واقع اعترف به ، رغم هذا فقد علمتني مسئوليتي  
خلال الرحلات الطويلة للفرق الفنية ، أن أصبح زبونا  
دائما للمستشفيات ، بعياداتها الخارجية ، وحجرات  
العمليات ، وعنابر المرضى .

والواقع أن الرحلة الطويلة التي قامت بها الفرقة  
القومية الى أوروبا ، كشفت عوراتنا الصحية بشدة ،  
وأظهرت قصورا كبيرا في نظام عملنا . . فرقة الرقص  
تتطلب من أعضائها حالة صحية معينة ، وكفاءة بدنية  
تامة ودائمة ، ولذا لابد أن يكون من مسئولياتها  
الاساسية ، متابعة الحالة الصحية للأعضاء ، بشكل  
دوري ودقيق .

وحالتنا الصحية بشكل عام ، كانت مشار تسبائل  
مستمر في كل البلاد التي زرتها . . وقد ساعد على فصح  
حالتنا ، ظروف الانتقال الدائم ، والتغير المستمر في

الطقس ، ثم درجات الحرارة الشديدة الانخفاض ، التي وصلت في بعض الأحيان الى ٢٥ درجة تحت الصفر .

وقد أدى هذا الى وجود بند ثابت في نشاطنا اليومي ، اسمه كشف المرضى . . يتم اعداده في اليوم السابق ، وتتخذ له كافة التدابير ، من توفير المرافق الذي يستطيع فهم حالة كل فرد وترجمتها الى اللغة المحلية ، حتى يفهم الطبيب طبيعة الحالات المعروضة عليه . . ثم توفير وسيلة المواصلات التي ستنقل مجموعة المستشفى ، اتوبيس أو مجموعة تاكسيات ، ثم متابعة تجهيز الدواء وتسليمه لكل مريض . هذا عدا عسدد لا بأس به من العمليات الجراحية ، استئصال أورام ، وعمليات عيون ، وزائدة دودية ، وبواسير . .

واحقا للحق ، يجب أن أسجل لأعضاء الفرقة ، أن كشوف المستشفى كانت دائما لمواجهة علل حقيقية لا يمكن انكارها ، وأن حالات التمارض كانت نادرة للغاية ، لدرجة يمكن القول معها ، أنها كانت منعدمة . . بل على العكس من هذا ، كنت أصدر الأمر برفع اسم العضو من كشوف الرقصات في حفلة ما ، رغم أنه ، وبصرف النظر عن انكاره لحالته ومطالبته الاشتراك في الحفل . . نظرا لما ألمسه في حالته الصحية . .

عندما كنا في موسكو ، كان زغلول أبو الحسن ضمن قائمة المستشفى ، وعاد الجميع منها باستثنائه ، وقال المرافق ان الطبيب ذعر من حالته الصحية ، ولم يصدق أن هذا المريض عضو في فرقة للرقص الشعبي . . فهو يعتقد أن حالته لا تسمح له بالمشي ، فضلا عن الرقص !! . .

وقد تركنا زغلول في موسكو ليبدأ العلاج في منتصف نوفمبر . ووصلنا بعد ذلك في تشيكوسلوفاكيا عند نهاية شهر يناير من العام التالي ! . لقد استغرق علاجه بموسكو حوالي شهرين ونصف . . وعند عودته اطلعت على التقرير الطبي الذي تسلمه في نهاية العلاج . وفوجئت بقائمة من الامراض المزمنة التي لا تسمح للشخص بالسير أو بالحركة اليسيرة ، وبرغم هذا شارك زغلول في رقصات الفرقة ، في هذه المرحلة وفيما بعدها ، رغم التقرير الخطير الذي كتبه اطباء موسكو .

### ماساة ، في قطار رومانيا :

كان القطار يتجه بنا من الحدود الرومانية السوفيتية، الى موسكو . . قاطعا ١٨٠٠ من الكيلومترات في رحلة واحدة . . وكالعادة تجمع أعضاء الفرقة في بعض الدواوين يكدسون انفسهم فيها تاركين باقى الدواوين فارغة تقريبا او لهواة النوم الثقيل ، الذين كانوا ينتهزون فرصة فراغ الديوان النادرة ، فيفلقون كافة منافذه واضوائه ، ويمارسون هوايتهم المحببة . كانت كل مجموعة مسن المجموعات المتكدسة في الدواوين تتميز بأسلوبها الخاص في قتل الوقت ، واغتيال بواذر الملل . . هذه مجموعة الصخب والصوت العالي ، يمكنك ان تتعرف على مكانها بمجرد أن تضع قدمك على أول الممر في العربدة ، نكات : قفشات وضحكات عالية ، أغاني شعبية يشترك فيها الجميع . . بل أكثر من أغنية تتردد في نفس الوقت ،

في منافسة ، تنتصر فيها أعلى الاصوات وأقـسـدـرها  
على الاستمرار .. وهذه مجموعة أخرى لا تكاد تسمع  
لها صوتا ، ولكن ما أن تفتح باب الديوان حتى تجد  
النور البنفسجي الخافت بسود الديوان ، وسمر جابر  
قد تربع في ركن الديوان ، يتغنى بهوال اسكندراني  
أصيل ، وحوله مجموعة من السميعة المخلصين :

الاسمر والابيض جوني لاجل أفرق الواجب  
ما بين الاسمر ، وبين الابيض لم ينفرك واجب  
الابيض عاجبني قوى ، يمشى ويتعجب  
والاسمر دهشني برمش العين والحاجب  
البيض سكر مكرر في حرير ملفوف  
والسمر عطر القناني اللي بيهم موصوف  
يحبروا الشاب اللي ليه نظر ويشوف

وهناك مجموعة ثالثة لا تكاد تسمع لها صوتا حتى  
لو فتحت باب الديوان .. مجموعة النمامين ، سيف  
وجلال وحسين محمود .. وتديم في بعض الأحيان ..  
تتقارب رعوسهم ويدور حديثهم دائما في همس .. ولا  
يهمهم موضوع النم المطروح ، المهم أن يستمتعوا بدور  
عواجين الفرح ، وعلى وجوههم ترسم تعبيرات حنادة  
تعتبر من لوازم جو النمبة .. وغالبا ما كانت تتصاعد  
لديهم شهية النم ، فينقسمون الى مجموعتين ، تروح كل  
مجموعة تمارس هوايتها على المجموعة الأخرى .. وهو  
ما كان يسميه باقي أعضاء الفرقة « النم الذاتي » ! ..

وفي ديوان آخر يتجمع الموسيقيون في صفين ، وعلى  
حجر اثنين منهم تستقر الطاولة الصغيرة « الترايزستور »

التي رافقتهم طوال الرحلة ، وتبدأ معسارك التحدى الساخنة ، و . . « بطل قرص يا صبحي . . » و . . « وديني ما انت واخذها . . لعب وريني شطارتك » . . الى آخر هذه التعبيرات التقليدية .

فى أحد الدواوين ، كانت تجلس مجموعة من الفتيات احداهن تبكى فى صمت ، والاخريات يدرن بينهن حديثا خافتا ، ومعالم الاسى ترسم على كافة الوجوه . . تصورت انها حالة من حالات الاحساس بالغربة . . فحاولت ان اتدخل لتبديد هذا الجو ، لكنى احساست ان الاساليب التقليدية لا تجدى مع هذه الحالة . . كما حاولت ان اصل الى السر فلم افلح . . كنت اعرف ان هذه الفتاه من بين الراقصات الجادات اللاتي لا يصلن الى هذه الحالة الا لامر ليس بسيط ، فلجأت الى المدرب سامى يونس . وقد كان ، فما مر بعض الوقت حتى اقبل سامى وعلى وجهه نفس تعبير الالم والاسى الذى شهدته على وجوه الفتيات .

قال سامى « فلانه كانت قد ذهبت الى المستشفى فى بوخارست بسبب وجود ورم فى صدرها ، فأخطروها هناك باشتباههم فى حالة سرطان ، وبضرورة اجراء عملية عاجلة . . » .

سرطان ! . . هكذا ببساطة ، وفى هذا السن ، انها لم تتجاوز السابعة عشر . . كيف حدث هذا ؟ . . لماذا لم تتكلم ؟ . . كيف استطاعت برغم هذا ان تشارك فى كافة الحفلات التى قدمناها فى بوخارست والمدن الرومانية الاخرى ؟ . . أسئلة كثيرة ، لا أجد لها اجابة معقولة .



وبدون أن أدري تسلسل الى وجهى نفس التعبير الذى شاهده على وجه كل من عرف خبر هذه المأساة .

لم أحاول أن أتحدث معها أثناء رحلة القطار ، كنت أتابعها عن بعد ، فأعجب لشجاعته فى تلقى وتقيل هذا الخبر المزعج ، فهى فيما عدا جلسة الديوان التى تحدثت عنها ، تتكلم وتضحك ، ولكنها بين الحين والآخر تصيبها حالة من الصمت والانعزال عن كل ما يجرى حولها .

فى موسكو . . انتحيت بها جانبا ، وتكلمت معها فى الموضوع مباشرة ، ووعدتها بأن أسهل لها أعلى وسائل التشخيص المتوفرة فى موسكو . . وطرحت احتمال خطأ التشخيص فى رومانيا . . وأهمية الروح المعنوية العالية فى مواجهة هذا الموقف . . وفى واقع الأمر لم أكن فى حاجة الى هذا الحديث ، فقد أدهشتنى موضوعيتها وشجاعته فى تقبل الموقف ، وبحثها لاحتمالاته فى هدوء وتماسك .

عرضت عليها الراحة التامة وعدم الاشتراك فى التدريبات أو الحفلات لحين انتهاء الكشف عليها . . لكنها هنا فقط ، فقدت تماسكها وكادت أن تبكى ، رافضة أى إجراء من هذا القبيل ، متمسكة باشتراكها فى كافة الرقصات التى تدخل فيها ، وقالت ان ممارستها للعمل بشكل طبيعى يساعدها على التماسك . . فاحترمت رغبتها . . وجرت التدريبات دون محاولة للتخفيف من عدد الرقصات التى تشارك فيها . .

كانت حفلتنا الاولى فى موسكو على مسرح قصر الكرملين

المهول ، بأبعاده الخرافية ، وصالته التي تضم ستة آلاف مقعد . . وقبل بداية العرض كانت هذه المقاعد جميعا قد تم شغلها بالجمهور ، وجلس في الصف الاول نائب وزير الثقافة السوفيتى والى جواره سفيرنا بموسكو فى ذلك الحين الدكتور مراد غالب .

انتهزت فرصة الاستراحة ، فغادرت المسرح وتوجهت الى الدكتور مراد غالب الذى رحب بى ممثلا للفرقة . وقدمنى الى نائب وزير الثقافة السوفيتى ، ثم أفسح لى مكانا الى جانبه ، واخذ يسألنى عن احوال الفرقة وسير العمل ، فأسرعت بطرح مأساة فتاتنا . . . وقلت للدكتور مراد غالب ان الخدمة الحقيقية التي يقدمها لنا الاتحاد السوفيتى ، هي الاهتمام بهذه الحالة ، واتخاذ كافة الاجراءات الطبية الممكنة ، مهما طال امد العلاج وارتفعت تكاليفه ، ونحن من جانبنا على استعداد تام للاستغناء عن جهدها ، حتى لو اقتضى الامر سفرها الى القاهرة مباشرة بعد انتهاء علاجها .

تأثر الدكتور مراد بالموضوع ، ونقله الى نائب وزير الثقافة الذى اخذ يستفسر عن الفتاة ، وهل هى فى المستشفى أم فى الفندق ، فقلت له انها معنا بالمسرح ، بل وستظهر حالا فى رقصة البمبوتية ، وما ان بسدان الرقصة حتى اشرت اليها ، فكان تأثيرهما عميقا بمقدرتها على العمل والابتسام الجمهور بهذا الشكل الطبيعى ، رغم ادراكها لابعاد المأساة التي تعيشها . اعطيت لنائب وزير الثقافة كافة البيانات المتعلقة بها ، فوعد متحمسا ان يبدل كل مايسطاع فى علاج الفتاة .

وفي صباح اليوم التالي ، أخبرني المرافق أن وزارة الثقافة قد قررت علاجاً خاصاً للفتاة ، وأنه مطالب باصطحابها الى المستشفى لتبدأ الفحوص الأولية مباشرة قمت بإبلاغها الخبر ، فاعرورقت عيناها بالدموع ، وتخطت على لسانها كلمات الشكر والامل .. وكانت هذه المحادثة آخر صلتنا بها ، لمدة شهرين ونصف .

تركنا موسكو وسافرنا الى ريجا ومنها الى بولندا ، فألمانيا الديموقراطية .. وهناك في سفيكاو مدينة الجنوب الألماني وصلت الفتاة أخيراً ، في صحة جيدة .

كنا ونحن في بولندا على اتصال بسفارتنا في موسكو لمعرفة آخر الاخبار .. وقد سعدنا جميعاً عندما عرفنا في وارسو أن الورم الذي أصيبت به من النسوع الحميدى وليس خبيثاً .. وأنه قد تم استئصاله ، وأن الفتاة في دور النقاهة ، وسيتم إخطارنا بموعد وصولها إلينا في الوقت المناسب .

وقد أقمنا في « الناخت سيناتوريوم » حفلاً خاصاً بمناسبة وصولها ، شارك فيه الجميع ومسح من نفوسنا رواسب الألم التي خلفتها لنا هذه المأساة .

### جولة جيلان على يدها !

لعل من أهم بنود اتفاقيات التبادل الثقافي ، ذلك البند الذي يكفل للفرقة الزائرة ، الرعاية الصحية الكاملة ... ولولا هذا البند ، والتزام الدول التي زرتها بتنفيذه تنفيذاً أميناً ، لما كان في إمكاننا أن ننجز هذه الرحلة

في ظروف العمل والطقس المنهكة التي صادفتنا . لقد كنا نحظى دائما بنفس الرعاية الكاملة التي يحظى بها مواطن أية دولة من هذه الدول ، بل لقد كان يتاح لنا أن نتخطى الدور ، ونتمتع ببعض الامتيازات الخاصة باعتبارنا ضيوفا على الدولة .

وقد اتيح لى في هذه الرحلة أن أرى الكثير من مستشفيات الدول الاشتراكية التي زرناها ، بعضها يفوق مستشفياتنا تجهيزا واعدادا ، وبعضها متواضع أشد التواضع ، انما لا تقل الخدمة الطبية فيه عن أكبر المستشفيات ، من حيث اهتمام الأطباء ومستوى خبرتهم وكفاءة هيئة التمريض ، وتوفر الدواء والخدمات الصحية . . ثم النظافة ، النظافة الكاملة دائما .

ولاشك أن موقف الطبيب في الدول الاشتراكية ، ايا كان مركزه أو مدة خدمته ، يختلف كثيرا عن موقف الطبيب عندنا . فالطب هناك مؤمم تأميما كاملا . . ليست هناك عيادات خاصة على الإطلاق . . ومن هنا كان الترقى الادبى والمادى للطبيب ، يتوقف أولا وأخيرا على مدى نشاطه ، ومهارته ، وأمانته في تأدية وظيفته . ومن هنا كان اهتمام الطبيب بكل حالة تعرض عليه ، ايا كان مركز أو مكانة هذا المريض . الطب هناك خدمة كاملة لا يتطرق اليها احتمال السعى الى الكسب المادى على حساب سلامة العلاج .

وكانت مشكلة التفاهم مع الأطباء من أعقد المشاكل التي تواجهنا ، كان الامتحان الحقيقى للمترجم المخصص لنا يجرى عندما يبدأ الترجمة لنقل شكوى المريض،

للطبيب . فأغلب المترجمين سواء كانوا يتكلمون العربية أو الانجليزية أو الفرنسية ، كانوا هم أنفسهم لا يعرفون حصيلة مناسبة من المصطلحات الطبية باللفظة التي يترجمون اليها ، كما أن أعضاء الفرقة ، لم يكن بإمكانهم دائما شرح شكواهم بلغة أجنبية . من هنا كان ينشأ الكثير من الخلط وسوء التفاهم ، مما يضطر الطبيب الى مراجعة حالة المريض من جميع جوانبها حتى يصل الى التشخيص السليم .

ولا أنسى الفترة التي شغلتنا فيها جيلان الراقصة بالفرقة ، حول الجلطة التي قال الطبيب أنها أصيبت بها في ظهر يدها ! .

كانت تشكو من ألم يظهر يدها ، وذهبت الى المستشفى مع المترجم وعادت تبكى ! ..

لقد قال الطبيب أنها مصابة بجلطة في يدها . . ومادام الجلطة في اليد ، فما المانع في أن تنتقل الى القلب أو المخ ؟ هكذا قالت جيلان . . وحاولت أن أفهم من المترجم حقيقة الموقف ، فلم أستطع ، وبقيت متيقنا أن تشخيص المرض والوصول الى تحديد كلمة جلطة ، كان مبادرة نشيطة من جيلان . . فلا المترجم يعرف معنى كلمة جلطة بالانجليزية التي يتكلمها . . ولا جيلان ! . . فكيف توصلا الى هذه الكلمة ، لقد حاول الطبيب أن يشرح لها حالتها ، فسارعت هي على الفور باستنتاج أنه يتكلم عن جلطة . وقد كان علاج هذه الجلطة المزعومة ، نوخ من المرهم الابيض تضعه جيلان على ظهر يدها . . . مادة يدها أمامها في كل حركة وفي كل وقت . . وكانت الاحتجاجات تتصاعد ، كلما جلست جيلان بجلطتها ،

ومرهمها ، ويدها الممدودة الى الامام ، الى المائدة  
اثناء تناول الوجبات ... وعندما استنفذت قصة  
الجلطة أغراضها ، اختفت . وعادت يد جيلان الى جانبها  
بدون مرهم ، وبدون جلطة ، وبدون شكوى ! .

وكان الاحساس بالغربة سببا في حالة من الاجباط  
النفسي ، ينعكس في شكل آلام جسمانية ، ويضيف الى  
قائمة المستشفى اعدادا من الاعضاء ، لم يكن بهم  
ما يستحق الذهاب الى المستشفى ، وان كانوا يشعرون  
في قرارة انفسهم بجديّة الامرهم .. وكانت هذه  
الاحاسيس الكاذبة تتبدد بمجرد الذهاب الى المستشفى  
وتناول أى دواء يصفه الطبيب .

كما كانت هناك في جانب آخر مجموعة من الاعضاء  
تكره المستشفيات والاطباء ، وتظل تتحمل وتعانى حتى  
أفاجأ بها تنهار انهيارا كاملا .. ويأتى اللوم من الطبيب  
موجها الى شخصى ، كيف أهملتم هذه الحالة الى هذا  
الحد ؟ ..

من بين هذه الحالات ، كانت حالة المرحوم عبد الله ..  
طبال الفرقة .

### الشكوى في مستشفى البوليس ببرلين :

عبد الله ، طبال الفرقة يعتبر من القلائل المتفوقين في  
فنون الايقاع بمصر ، وأذكر أن الموسيقى السوفييتي  
العالمى خاتشادوريان ، سجل له ساعات طويلة من  
الايقاعات الشرقية المختلفة المعروفة والمهجورة ، عندما  
اكتشفه اثناء زيارته لمصر .

والفرقة تعتمد اعتمادا أساسيا على الإيقاع في عملها ،  
بل أن بعض الرقصات ، كرقصة العيش والحجالة تؤدي  
على الإيقاع فقط .

ولعبد الله أخ ، هو عبد الرحمن يعمل في الفرقة أيضا  
كعازف إيقاع ، إلا أن ظروف التجنيد حالت دون  
اصطحاب عبد الرحمن معنا في الرحلة . . واعتمدنا على  
الراقص السابق بهي الدين بركات ، الذي أصيب بنمو  
مترد في قامته جعله لا يصلح للظهور على المسرح وسط  
المجاميع ، اعتمدنا عليه في مساعدة عبد الله عوضا عن  
عبد الرحمن خلال الرحلة .

وأثناء الرحلة ، لاحظت يوما أن عبد الله يعرج في  
مشيته ، وسألته عن السبب ، فقال بوجود جرح صغير  
في قدمه لن يلبث أن يندمل . عرضت عليه الذهاب إلى  
الطبيب ، فأخذ يضحك مستنكرا ، قائلا أنه لم يعود  
في حياته الذهاب إلى الأطباء لمثل هذه الأسباب الطفيفة .  
صدقته في ذلك الوقت . . إلا أن حالة العرج هذه  
طالت ، بل وأخذت تتزايد بشكل ملحوظ ، تحدثت معه  
فقال أن أصابع قدميه قد أصابتها جروح جديدة ، وأن  
هذه الجروح لا تلتئم بسهولة . كنا قد وصلنا إلى  
بولندا ، فطلبت منه أن يتنازل عن عناده ، ويذهب إلى  
المستشفى ، لعلهم يزودونه بما ينفع في علاج هذه  
الجروح .

كنا بالتحديد في كاتوفيتسا ، وعاد عبد الله من  
المستشفى ، فسألته عن نتيجة الزيارة . أخذ يراوغ  
ويقول أن الأدوية التي تسلمها لاشك ستساعد على التئام

هذه الجروح .. الا ان المرافق الذي اصطحبته الى  
المستشفى ، قال لى بالانجليزية ان حالته خطيرة ، فهو  
مصاب بمرض السكر المزمن ، ونسبة السكر عنده مرتفعة  
جدا ، وحالته تستدعى علاجاً جاداً ، واقامة في المستشفى ،  
وقال ان ارتفاع نسبة السكر يحول دون التئام الجروح .  
والحقيقة ، هالني الموقف . وبأمانة ، كان انشغالي  
على عيد الله لا يقل عن قلقي على مستوى العرض  
المبرحي في غيابه .. الا ان الدافع الانساني تغلب عندي  
على ماسواه ، فحسمت القضية وقررت دخول عيد الله  
الى المستشفى .

ودارت معركة .. رفض تام من عيد الله ، واتهام  
للأطباء والمرافق معهم بالتهويل ، وما الداعي للذهاب الى  
المستشفى .. ولو كان الامر كذلك ، لذهب ثلاثة أرباع  
الشعب المصري الى المستشفيات ، وأن « الناس هنا  
خرعين .. مش متأسسين زينا .. الشيء اللي يخلي  
الواحد منهم يرقد في المستشفى ، ياخذه الواحد منا  
على رجليه .. واسبرينه تقضى الغرض .. » الى آخر  
هذا الكلام .

وعندما احس بتصميمي ، ادار اسطوانة اخرى ، حول  
مصير العرض ، وعدم قدرة بهي الدين على القيام  
بالايقاع منفردا . . . . . ولكن النتيجة النهائية كانت استلقاء  
عيد الله على احد أسرة المستشفى في كاتوفيتسا ، وسط  
عبر به عشرة مرضى .

كانت خطة العروض في بولندا تقتضي أن تقدم عروضنا  
بعد كاتوفيتسا ، في « ووتش » ، ثم في وارسو العاصمة  
لنسافر بعد ذلك الى ألمانيا الديموقراطية . وقبل



مغادرتنا كاتوفيتسا طلبت زيارة عبد الله للاطمئنان عليه  
وللاتفاق معه على البقاء في المستشفى لحين انتهاء عملنا  
في بولندا ، ثم اصطحابه معنا الى ألمانيا .

دخلت العنبر الذي يرقد فيه عبد الله ، فوجدته  
جالسا على السرير ، بالبيجامة ذات الخطوط الحمراء  
العريضة ، والى جانبه أكوام من الفاكهة ، وابتسامة  
عريضة ترسم على وجهه .

— هيه .. ازاي الحال يا عبد الله ؟ ..

— تمام التمام .. الناس هنا آخر السطه ! ..  
يحبوني ويحبهم وطول الليل والنهار نرغى بالمشاورة ..  
ومد يده الى تفاحة حمراء كبيرة وقدمها الى كتحية ،  
شكرته ، فقال مشيرا الى كوم الفاكهة وهو يقول :

— يحبوني قوى هنا .. محدش مأخرلى طلب .. وكل  
شوية واحد من اخواننا العيانيين دول يتحفنى بهدية  
فاكهة .

— طب مالكش طلبات ؟

— أبدا .. أبدا ..

— حالتك أحسن دلوقتى ؟

— جدا .. جدا ..

— احنا ح نساfer النهارده لبلد ثانية ، وبعدين ح نطلع  
على وارسو ، وأنا اتفقت معاهم يوصلوك لحد وارسو  
قبل مانساfer ألمانيا ..

— وماله .. زى ماتشوف .

الحقيقة اننى لم اطمئن لهذه السعادة الدافقة التى  
يمارسها في المستشفى ، بعد كل الممانعة السابقة .. ولم  
أفهم ساعتها السر في هذه السعادة .

مرت الايام .. ووصل الينا عبد الله في وارسو في نفس يوم تحركنا الى المانيا ، حالته لم تتحسن ، والجروح لم تلتئم ، فسألت المرافق الذى اصطحبته من كاتوفيتسا الى وارسو عن رأى الاطباء هناك فى حالته .. فقال انهم غير راضين عن سير العلاج .. ويطالبون بتسليمه الى احدى المستشفيات فى المانيا .

سافرنا الى المانيا ، ووصلنا كما سبق ان قلت من الحدود الى مدينة سفيكاو فى الجنوب ، ولما كان من الضروري سفرى الى برلين مع كبير المرافقين للاتفاق على برنامج العمل ، فقد طلبت اضطحاب عبد الله لعرضه على الاطباء هناك .. وكنت قد شرحت قصته لسكبير المرافقين ، فأجرى اتصالاته ، وحجز له مكانا فى مستشفى البوليس ببرلين .

على مائدة العشاء فى الليلة السابقة للسفر . استأذن عبد الله فى زجاجة بيرة ، وكنت أمنعه من تناول الخمر مراعاة لحالة السكر .. ولكنى وافقت هذه المرة باعتبار أنه سيخضع لنظام محكم فى التغذية عند وصوله الى المستشفى فى اليوم التالى .

وفى ظهر اليوم التالى كان عبد الله يرقد فى سريره بمستشفى البوليس ببرلين . مستشفى كبير ونظيف ومنظم ، يسوده هدوء كامل .. يوحى بالثقة الشديدة . وبعد الكشف الاولى أقبل الطبيب برفقة كبير المرافقين الى حيث كنت أنتظر . فقال الطبيب ان حالة المريض غير مشجعة ، وان علاج الجروح التى فى قدمه لا يمكن البدء بها ، قبل علاج جاد ودقيق لتخفيض نسبة السكر العالية ، ولهذا يجب ان يبقى عبد الله فى المستشفى

لمدة شهر ونصف ، أو شهر كامل على الأقل . وافقت  
فقد كان هدفي أن أنقذ صحته دون اعتبار لما يسببه  
تخلفه من تأثير على مستوى العرض . كنا في بولندا  
قد جربنا بهي الدين بركات ، واثبت أنه يستطيع أن  
يؤدي المطلوب ، لا يعرض عن غياب عبد الله ، ولكن  
لا يعوق تقديم العرض .

مر أسبوع ، وذهبت لزيارة عبد الله ، فما أن دخلت  
إلى حجرتي حتى هب ناهضا ، شاكيا ، طالبا الخروج  
فورا من هذا السجن الذي يسمونه مستشفى بوليس !  
وفهمت أن مصدر شكواه ، تلك المعاملة الحاسمة فيما  
يتصل بنظام الغذاء الخاص الذي وضع له .. وأخذت  
أسأله عن تفاصيل ما يقدم إليه في كل وجبة ، فوجدت  
إلا مجال للشكوى ، لا من الأصناف ، ولا من الكميات .  
وراح عبد الله يقنعني أن صحته قد تحسنت كثيرا ،  
وأن بإمكانه مغادرة المستشفى .. ولما فشل في هذا ،  
أخذ يشكو من أنهم لم يبدأوا في علاج قدمه ، مكتفين  
بالنظافة اليومية ، دون علاج خاص .. فقلت له أنهم  
أدري بما يفعلون .

لم يكن عبد الله مستعدا لأي شرح أو تبرير .. وقد  
حاولت خلال الحوار المتصل أن أفهم سر رفضه الشديد  
للإقامة في هذه المستشفى ، فلم أصل إليه .. العلاج  
منتظم .. والمعاملة طيبة باعترافه .. فلماذا هذا السخط  
على مستشفى برلين ؟ ..

عندما حضرت الفرقة بأكملها إلى برلين ، أخذت  
استقصي سر هذه الحالة من أخص أصدقائه بالفرقة ..

وعرفت السر . . عرفت سر استمتاعه بمسـتشفى  
كاتوفيتسا ، ورفضه لمستشفى برلين ، رغم ارتفاع  
مستوى الاخير من جميع الجوانب .

عبد الله يشرب الخمر يوميا ، وعندما دخوله  
مستشفى كاتوفيتسا ، استطاع أن يعقد الصداقات  
مع بعض المرضى المقيمين بالعنبر ، وأن يتلقى هدايا  
الفودكا التي كان زوار العنبر يقدمونها الى اقاربهم في يوم  
الزيارة . . من هنا كان تعلق عبد الله بذلك المستشفى ،  
واستعداده للبقاء لاي مدة . . ومن هنا كان أيضا ، عدم  
تحسن حالته . أما في مستشفى البوليس ، فقد كانت  
الرقابة شديدة ومحكمة ، انهزمت أمامها مجهودات  
عبد الله في الوصول الى قطرة واحدة من الخمر . . ومن  
هنا كان التمرد .

بل قالوا ، ان عبد الله ، في اليوم السابق للسفر  
الى برلين ، وعندما ترددت في السماح له بكوب من البيرة ،  
كان قد ابتلع زجاجة كاملة من البراندى .

عندما فهمت السر انتهت حيرتى ، وحرصت على نقل  
هذه المعلومات الى الطبيب ، حتى يراعى حالته هذه في  
العلاج ، فقال ضاحكا انه أدرك هذا منذ اللحظة الاولى ،  
وأن العلاج يتضمن مراعاة هذه الحقيقة .

وزرت عبد الله يوميا ، فبدأ اسطوانته التقليدية ،  
ولكنى أخبرته بلطف وبحزم في نفس الوقت ، انه باق  
بالمستشفى حتى نهاية الشهر ، وأن عليه أن يئأس من أية  
محاولة للهرب من العلاج . . وخاصة من التفكير في تناول  
قطرة واحدة من أى مشروب كحولى . . وصارحته

بالمعلومات التي وصلتني عن مستشفى كاتوفيتسا ، ليلة  
السفر الى برلين .. فأخذ يضحك ، وقد شـسـعـر أن  
محاولاته أصبحت مكشوفة .

قبل مغادرتنا ألمانيا في طريقنا الى تشيكوسلوفاكيا ،  
انضم الينا عبد الله وقد تبدلت حالته الصحية تبـدـلـا  
تامـا ، والتأمت جروح قدمه ، وانخفضت نسبة السكر  
عندد بشكل ملحوظ . وأخذ يشكرني على قسوتي معه  
واصراري على استمرار العلاج ، مع وعود قاطعة بعدم  
الاقتراب من الخمر ، بعد أن عرف كيف يكون أثرها  
على صحته .

لكن راودني ساعتها تساؤل حول مدى قدرته على  
التمسك بهذه الوعود . ثم حزنت بعد ذلك بسنوات عندما  
علمت أنه توفي بسبب مضاعفات مرض السكر .. عليه  
رحمة الله ..

## في مواجهة الجماهير

### البداية . . في ملعب كرة السلة :

كانت زيارتنا لتركيا في أعقاب فترة طويلة من انقطاع العلاقات الثقافية بين بلدينا ، وكان آخر نشاط ثقافي أو فني قادم من مصر ، يذكره الناس في تركيا ، هو زيارة المظف وعبد الحمولى ! .

من هنا كان اهتمام الحكومة التركية بالزيارة ، واهذا أوكل لوزارة الخارجية التركية أمر استقبالنا ، وتنظيم رحلتنا داخل تركيا . . . وخصصت الخارجية التركية ممثلا لها يرافقنا طوال فترة تواجدها داخل الحدود التركية ، ويكون بمثابة ضابط اتصال بيننا وبين وزارة الخارجية ، الملحق الثقافى . . توفيق بيك .

توفيق بيك ، الدبلوماسى التركى الشاب الذى استقبلنا فى أنقرة عند وصولنا ، متمسكا بأصول الدبلوماسية ، وتقاليدها ، ورسمياتها . . هو نفسه توفيق بيك ، الذى ودعنا بالاحضان فى حرارة تناسى معها شكليات البروتوكول ، قبل أن يتحرك بنا القطار من تركيا الى بلغاريا .

بدأت مشاكلنا مع توفيق بيك ، عند زيارتنا للمكان الذى سنقدم فيه أولى حفلات رحلتنا الطويلة . لقد حرصنا قبل أن نتحرك من القاهرة ، على أن نرسل الى الدول التى سنزورها ، بيانات كاملة بمواصفات المسارح التى يمكن أن نقدم عليها عروضنا . . . بيانات دقيقة تحدد أبعاد المسرح وعمقه وعدد الستائر المطلوبة ، والمكان الخاص بالفرقة الموسيقية ، ثم أماكن تغيير الملابس والماكياج للراقصين والراقصات . لهذا صدمنا عندما قادنا توفيق بيك ، الى استاد كرة السلة حيث سنقدم حفلتنا الاولى . وسألت توفيق عما اذا كانت قد وصلتهم المواصفات الاساسية للعمل التى كنا قد أرسلناها ، فأوماً بما يفيد أنها وصلتهم . . . قلت محتداً ، فكيف تتصور اذا ان بإمكاننا أن نقدم برنامجنا فى ملعب كرة سلة ؟! . . . قال بدبلوماسية وهدوء ، لانه المكان المتاح الوحيد فى أنقره .

هكذا بكل بساطة . . اما ان نعمل فى استاد كرة السلة . . او لا نعمل فى أنقرة . .

وعلى الفور أدركت ، اننى مطالب بأن اتنازل عن جميع أحلامي بالعمل على المسارح الضخمة الفخمة فى أوروبا ، وأن أبحث عن حلول عملية تتيح للعروض المسرحية أن تظهر فى أفضل شكل ممكن .

قلت لتوفيق بيك ، سنحتاج الى عدة أشياء حتى يمكن أن نحول هذا الاستاد الى مسرح . فقال مبتسماً ، وهو يشعر اننى بدأت أسلك طريق العقول والممكن « رهن أوامركم . . » .

الاستاد ضخم يسع ثلاثة آلاف متفرج ، حديث التجهيز ، نظيف نظافة تامة ، مفلق ترصع سقفه أجهزة الاضاءة الضخمة . جلست مع سامى يونس مدرب الفرقة ، وحسين محمود القائم بأعمال الادارة المسرحية بالفرقة ، ومحمد عبد الله المدير الادارى ، ندرس جميعا مطالب تجهيز المكان للعرض المسرحى . . رفع أحد قائمى كرة السلة ليحل المسرح محله ، عدد الموائد التى ستثبت الى بعضها البعض لتصنع خشبة المسرح ، انواع وكميات الاقمشة اللازمة لتغطية جوانب الخشبة ، سلالم على جانبي الخشبة لصعود وهبوط الراقصين فى كل رقصة تعديل اضاءات السقف ليتركز ضوءها على موقع خشبة المسرح .

لقد اتخذنا قرارا . . سنرقص على المكشوف ، بلا ستائر أو كواليس ، وهذا يقتضى منا تدريبات شاقة لتعديل بداية ونهاية كل رقصة حتى تتفق مع الشكل الجديد للعمل .

تم ابلاغ توفيق بيك بالمطالب من جهة ، وبدأت من جهة أخرى التعديلات فى بداية ونهاية كل رقصة . . وساعة اثر ساعة ظهرت معالم المسرح الذى اقترحنه ، وبدأت تدريبات الرقص فوقه . . وفى نفس الوقت انتحى المايسترو شعبان أبو السعد بالفرقة الموسيقية جانبا من الاستاد ، يجرى تدريباته على النشيد الجمهورى التركى ، والاغنية الشعبية التركية التى سيقدمها أعضاء الكورال بالفرقة كتحية للجمهور التركى ، وكان وراء تقديم هذه الاغنية قصة .



فقبل بداية الرحلة ، واثناء زيارتي للسفير التركي ، سألته عن مدى امكان تقديم قطعة موسيقى تركية كفاصل بين رقصتين ، وكتحية للجمهور التركي . . وأخذنا نستعرض الاقتراحات الى أن خطرت على بال السفير فكرة مفاجئة . . لماذا لا تقدمون أغنية تركية محبوبة من الناس هناك ؟ أبديت مخاوفى نتيجة لضيق الوقت ، وقلت بضرورة اجادة نطق الكلمات التركية ، حتى لا تكون التأدية مثارا للسخرية . . الا إن حماس السفير أقنعنى بـخـسـوس التجربة . انتقلنا فى مكتبه الى حيث البيك - آب . ، وتم الاتفاق على أغنيته المفضلة « كراجوز لم افكار لنما جال جابرى » . . وهى أغنية شائعة توجهها على ما أذكر - فتاه الى حبيبها المجند وتقول له : يا « أبو » العيون السود . . بتفكر ليه ؟ . . شىء من هذا القبيل .

وأخذ السفير يكتب نص الاغنية بالحروف اللاتينية ، وكتبت أمام كل سطر الترجمة العربية حتى يفهم أعضاء الكورال معنى الكلمات التى يرددونها . وسيسلمنى الاسطوانة حتى يمكن عن طريقها أن نكتب النـسـوة الموسيقية للاغنية . بدأنا التدريبات وسط مشاغل السفر الاخيرة ، وفى وقت ضيق للغاية ، وكدنا نصرف النظر ، لولا أن شعبان أبو السعد تعهد باستكمال التدريبات فى أتقرة ، وتحت اشراف موسيقى تركى .

وقد حدث بالفعل أن أوفد الينا توفيق بيك فنسانا تركيا يحضر بروفات هذه الاغنية ، وأبدى اعجابه الشديد بمطابقة التأدية ، للأصل التركى .

قبل بداية العرض بساعات ، بدأنا التدريب النهائى ،

ووجدنا صعوبة كبيرة في تدريب الراقصات على صعود السلم الضيق الموصل الى خشبة المسرح والهبوط عليه . . . . . وأقبل توفيق بيك يخبرنا بأن الجمهور بدأ يتزاحم عند مدخل الاستاد ، مطالباً السماح بفتح الابواب ، فصدرت التعليمات للجميع بالدخول الى حجرات خلع الملابس والاستراحات ، وإخلاء صالة المسرح . . . وبعد فتح الابواب بنصف ساعة كانت مدرجات الاستاد على سعتها تفص بالمتفرجين ، وبدأت المقاعد الإضافية ترص على جانبي القائم الخاص بكرة السلة والمواجه لخشبة المسرح . . . وخصص الصف الاول من هذه المقاعد للوزراء وكبار المسئولين .

وبدا العرض . . .

وما أن انتهى السلام التركي والمصرى حتى صعدت الى خشبة المسرح ، وبرفتى توفيق بيك الذى سيتولى ترجمة كلمتى الى التركية . . . وفي نهاية الكلمة كنت قد أعددت مع توفيق بيك ، جملة ترحيب أقولها بالتركية « تشكر لار فاللاها اسمار لاديك » .

لم أكن أتوقع رد فعل هذه الكلمات التركية القليلة على الجمهور . . . لقد انفجرت عاصفة من التصفيق والصياح استمرت لعدة دقائق . . . واستطاعت عاصفة التصفيق هذه أن ترسى في أنفسنا جميعاً شعوراً بالاطمئنان والثقة . . . الجمهور معنا ، وعلينا أن نعطينه عرضاً ممتازاً بقدر ما تسمح به ظروف العمل . لقد احتلت خشبة المسرح ثلث ملعب كرة السلة ، وكان الجمهور يحيط بثلاثة أضلاع من خشبة المسرح . . . ومن هنا كان وقع حماس

الجماهير على من يقف على خشبة المسرح عنيفاً .. لقد انتقل هذا الحماس الى قلوب الراقصات والراقصين ، وأحسست به ينعكس على عيونهم عندما هبطت اليهم بعد انتهاء كلمتي ، متمنيا لهم عرضاً مسرحياً ناجحاً .

تتابعت الرقصات وسط عواصف التصفيق ، ثم حل دور الاغنية التركية ، وكنت اضع يدي على قلبي خوفاً من فشل التجربة .. بدأت المقدمة الموسيقية للاغنية ، وأخذت أتطلع الى الجمهور في المدرجات باحثاً عن تأثيرها عليهم .. وخاب أملى .. البعض يستمع بترقب وبدون حماس ، والبعض الآخر يبدو غير مستجيباً لما تعزفه الفرقة .. وقرب نهاية المقدمة الموسيقية ، بدأ تهامس الجمهور .. ثم بدأ الكورال « كراجوز لم أفكار ... » ، وارتجت جدران الاستاد بالتصفيق والصياح والاستحسان حتى نهاية الاغنية .. ثم أصر الجمهور على استعادتها من البداية .. فتنفست الصعداء .. وفهمت بعد ذلك أن التردد في البداية كان يرجع الى تصور الجمهور أنه يستمع الى اغنية مصرية « لهف » ملحنها نغمات أغنيتهم المفضلة ونسبها الى نفسه .. وهم قد تعودوا على هذا! « اللهف » لاغلب تراثهم الموسيقي .. ابتداء من سلامهم الجمهوري ، وحتى أبسط الاغاني الشعبية . لقد اكتشفت عند سماعي للتراث الموسيقي التركي ، أن عدداً لا بأس به من الاغاني المصرية والسورية واللبنانية ، يعيش على خيرات الموسيقى التركية .

ولعل أعلا استجابة للجمهور كانت عندما قدمنا رقصة « المقاومة الفلسطينية » . كنت متخوفاً بعض الشيء من

تقديم هذه الرقصة في تركيا ، ، متخوفا من استجابة الجمهور ، ومن عدم موافقة الجهات المسئولة . . ففى أنقرة سفارة لاسرائيل .

لكن الذى حدث فى أنقرة عند تقديم هذه الرقصة لم يحدث فى أى مكان آخر قدمناها فيه ، رد فعل هذه الرقصة على جمهور أنقرة لا يضاهى او يقارن برد فعلها على الجماهير العديدة التى شاهدها ، بما فى ذلك جماهيرنا نحن فى مصر .

لقد تحولت الصالة - بلا أدنى مبالغة - الى مظاهرة صاخبة طوال عرض الرقصة ، بل لقد ترددت الهتافات . . هتافات حقيقية . . شخص يهتف ، وباقى المدرجات تهتف من ورائه . . هتافات لفلسطين والعرب . . ثم عواصف من التصفيق المذوى ، ضاعف من تضخمها فضاء الاستاد المغلق ، فبدأت كهدير متصل مخيف ، استمر لدقائق طويلة ، وجعل الراقصين يتسمرون فى أماكنهم عند نهاية الرقصة . . غير قادرين على الانصراف . . غير مدركين لما يجب عليهم فعله فى مقابل هسهسه العواصف من التصفيق والهتاف . . ثم وبلا اتفاق سابق راحوا يشاركون بالتصفيق العنيف ، تفريفا لطاقة الانفعال التى تضطرم داخلهم .

### بيس . . بيس . . ، وأزمة فى اسطنبول :

لم يقتصر هذا الحماس على جمهور أنقره ، بل تعداه الى جمهور اسطنبول . ونظرا لعدم وجود مسرح متخصصة فى العرض المسرحى ، تم اتفاق على أن نعمل

على مسرح دار من دور العرض السينمائي الاولى  
باسطمبول ، على أن يحتل عرض الفرقة وقت حفلة  
الماتينه التى تبدأ فى السادسة .

مبنى السينما انيق ، وصالتها فخمة واسعة تستقبل  
مايقرب من ألف وثمانمائة متفرج ، والمسرح الذى يمتد  
خلف شاشة العرض السينمائي لأبأس به من جيسيت  
المساحة ، ويسمح بتقديم فقرات البرنامج دون عناء .  
وكان مدير السينما مهذباً رقيقاً يتصرف «كجنتلمان»  
.. بقوامه الفارع ، وسوالفه الطويلة ، قبل أن تستحدث  
موضة السوالف الطويلة .. وكلمات الترحيب التى كانت  
تصدر منه متعشرة متقطعة نتيجة لعيب فى النطق يعانى  
منه .

مرت الحفلة الاولى بسلام ، وعلى خير ما يكون العرض  
وبدأت اسطمبول تتناقل خبر الفرقة المصرية الزائرة .  
وشاع خبر برامجها الراقصة ، وضاعف من الاعلام تن  
برامج الفرقة ما ظهر فى الجرائد صباح اليوم التالى ..  
وحل موعد الحفل الثانى والاخير فى اسطمبول ، فتزاحم  
الجمهور على شباك التذاكر ، مما خلق ارتباكاً للمرور فى  
الشارع الذى تقع فيه السينما .. وارتفعت أسعار  
التذاكر فى السوق السوداء النشيطة عند مدخل الدار ..  
وما أن حل موعد العرض حتى كانت الصالة تستوعب  
ما يزيد عن طاقتها بعدة مئات من المتفرجين على أقل  
تقدير .

توالى فقرات العرض ، والجمهور يصر فى نهاية كل  
رقصة على استعادتها .. بالصيحات التقليدية  
« بيس .. بيس .. » .

كنا نستجيب للجمهور في بعض الرقصات ، فنعيد الشطر الأخير منها ، ونتغاضى عن هذه النداءات في بعض الرقصات التي لم تكن قد اتفقنا على اعادتها مع الفرقة الموسيقية والراقصين ، لم تكن قد حددنا النقطة التي تبدأ عندها الاعادة . وفي مواجهة اصرار الجمهور ، التقيت في الاستراحة مع المايسترو ومدرّب الرقص لنتفق على نقط الاعادة بالنسبة لرقصات الفصل الثاني ، حتى لا يفاجئنا الجمهور .

تتابعت فقرات الفصل الثاني ، والجمهور على حاله من الحماس ، ومدير السينما ، يروح ويجيء ، في حالة عصبية لم أفهم دوافعها . وعند انتهاء رقصة الغوازي ، وهي الرقصة السابقة لرقصة الختتام « الدبكة الفلسطينية » ، اقبل مدير الدار مسرعا يطلب مني انتهاء البرنامج ، لان موعد حفلة السواريه قد حل !! ، وان استجابتنا للجمهور واعادتنا للرقصات جعلنا نتجاوز الوقت المخصص لنا .

أفهمته استحالة تحقيق هذا المطلب ، اذ لا يمكن اختتام البرنامج فجأة ، وبرقصة تشترك فيها ثلاث راقصات . . فقد جرى العرف في العروض الراقصة أن تدخر الفرقة لختام برنامجها اضخم واغوى الرقصات . . ولكنه صمم على مطلبه ، فأرسلت من يستدعى توفيق بيك مرافقنا حتى يتفاهم مع المدير . . وحضر توفيق بيك ، الا أن تصميم مدير السينما لم يتزعزع ، قلت له أن الرقصة الأخيرة لن تستغرق أكثر من ثلاث عشرة دقيقة وأن بإمكان جمهور السواريه أن ينتظر هذه المدة . لكن المدير وقد تصاعدت عصبيته ، وضاعفت من عجزه عن

النطق ، راح يطلق فيضا من الكلمات المتقطعة المتعثرة ،  
لم أفهم منها أكثر من .. الستار .. يجب .. سأغلقه ..  
بالقوة

نظرت الى توفيق بيك ، استشف منه طبيعة الموقف  
وعواقبه ، فوجدته مصرا على استكمال العرض ،  
فأصدرت الاوامر الى عمال المسرح بمواصلة العرض ..  
وكانت الفرقة الموسيقية ، وهى لا تشعر بما يدور على  
خشبة المسرح ، قد بدأت بالفعل المقدمة الموسيقية  
والغنائية لرقصة الدبكة .. وفتح الستار ، وبدأت  
الرقصة .

فانصرف المدير غاضبا مهددا متوعدا .. تشييعه  
ابتسامة توفيق بيك التى تعنى « ولو .. » . ونبهت  
على عامل الستارة الامامية ، أن يربط الى جانبها ،  
خشية أن يتسلل أحد عمال السينما ، فيعبث بها ويسدلها  
اثناء الرقص . الا أنه فى النصف الاخير من الرقصة  
فوجئت بستارة أمامية اضافية تهبط من سقف المسرح  
.. وحاول العمال أن يمسكوا بها قبل أن تفلق المسرح  
تماما ، وهاج الجمهور هياجا عظيما .. وارتفعت  
الصيحات والشتائم بالتركية .. وأدركت أن المدير  
الناصح قد لجأ الى ستارة احتياطية تستخدم فى حالات  
الحريق لعزل المسرح عن الصالة ، ويتم التحكم فيها  
من حجرة العرض السينمائى .. أسرع مع توفيق بيك  
والعمال برفع هذه الستارة الى منتصف فتحة المسرح .  
واشرت الى الفرقة والاوركسترا بمواصلة الرقصة ...  
وظللنا متعلقين على الاخشاب الجانبية للكواليس نمسك  
بأيدينا طرف الستارة حتى انتهت الرقصة ، ونحيصة

الختام ، مع حماس زائد اظهره الجمهور ، تعبيرا عن فهمه للموقف ، واستحسانا لواصلتنا العمل بهذه الطريقة .

تعاتت الاحتجاجات من أعضاء الفرقة ، فحرص توفيق بيك على تهدئة الجميع ، ووعد باتخاذ اجراء رادع مع ذلك المدير الاحمق ، على حد تعبيره . وانصرف الكل ، ولا حديث سوى عن المغامرة ، والكلمات القاضية ، لا توقفها الا ضحكاتهم عندما يأخذ أحدهم في وصف منظرى ومنظر توفيق بيك ، وقد تسلقنا الكواليس لرفع الستارة ، وكيف أنهم كانوا اثناء تأدية الرقصة ، يسترقون النظرات الخاطفة ذات اليمين وذات اليسار ، يتابعون في اندهاش ، ذلك المشهد ! .

في صباح اليوم التالى كنا في طريقنا الى محطة السكة الحديد ، لنركب القطار الذى سيصل بنا الى بلغاريا . . . وعلى رصيف المحطة وجدت برفقة توفيق بيك ممثل لوزارة الخارجية جاء لوداعنا ، وشخص آخر قدمه لوداعنا الى باعتباره صاحب دار السينما التى حدثت فيها المغامرة . . . واخذ الرجل يعتذر عن تصرف مدير الدار ، شارحا الموقف . . . فهو يملك ثلاثة دور عرض أولى فى اسطنبول ، تقدم كلها نفس الفيلم . ، وهو يستخدم نسخة واحدة من الفيلم فى دور العرض الثلاثة . مستعينا براكب دراجة بخارية يتسلم احدى بوبينات الفيلم بعد انتهاء عرضها فى احدى الدور ليسرع بها الى الدار الثانية ، يسلمها ويتسلم بوبينة أخرى يعدو بها الى الدار الثالثة . . . وهكذا . وان تأخير عرض السواريه فى دار السينما التى كنا تقدم بها عرضنا المسرحى ، ادى



الى ارتباك العرض السينمائي في دور العرض الثلاثة ..  
وان هذا هو السر في عصبية وغضب مدير الدار الانيق  
الجنتمان .

رغم كل هذا ، فقد بقيت لنا من عروض تركيا ، ذكرى  
ذلك الحماس الجارف ، والتعطش الشديد لعروضنا ،  
سواء في انقرة باستاد كرة السلة ، او في اسطنبول ،  
بمقامراتنا مع الستارة الهابطة من سقف المسرح .

### تحية الجارسونات في بوخارست :

في أغلب الدول ، كانت تقاليد العرض المسرحي ،  
تقتضى كلمة ترحيب القىها في بداية عروضنا في أى دولة  
وعلى الاخص في العروض الرسمية .. وكنت في أغلب  
الاحيان ألقى كلمتى باللغة العربية ، ثم يقسم المترجم  
بنقلها الى اللغة المحلية ، بعد أن تكون قد أعددتنا الكلمة  
وترجمتها قبل بداية الحفل ... كانت كلمتى هذا  
تكرر كما هي في كل مرة ، بعد استبدال اسم دولة باسم  
دولة أخرى .

كنت في اول الامر ألقى كلمتى بحماس يتفق مع المناسبات  
ولكن مع تكرار نفس الكلمات مع جمهور مختلف في كل  
مرة ، بدأت تفقد كلماتي - بالنسبة لى على الاقل -  
محتواها .. وأصبحت عملا روتينيا ، شديد الوطأة على  
نفسى .. أتحين الفرص للتملص منه ، كلما كان ذلك  
ممكنا . وكان الجديد في كل مرة ، والذي كان يشبه  
تحديا نشيطا يطرد الملل والرتابة ، هو ضرورة إعداد  
جملة ترحيب باللغة المحلية اختتم بها تحيتى للجمهور

وكانت القيمة الحقيقية في هذه الجملة ، تكمن في مدى قدرتي على نطقها بلهجة سليمة ، وبطلاقة توحى بتمكني من لغة الدولة المضيئة ، وبارتجالي العفوى لهذه الجملة !! .. تمثيلية طريفة ، لاحظت اصرار منظمي الحفل على قيامي بها .. كما لاحظت رد فعلها المثير على الجماهير . ولعل جماهيرنا في مصر قد عاشرت مثل هذه الاثارة ، عندما كانت احدي الفرق الصينية مثلا ، تقف على المسرح لتردد أغنية « بالاتحاد والنظام والعمل » .. لقد كان النجاح المضمون لهذه « الحركة » ، هو المبرر الاول للجهد الذي كان على ان ابذله في حفظ وتسميع هذه الجملة ، ومحاولاتي المتكررة لالتقاط اللهجة الخاصة ، حتى يتحقق الاثر المطلوب .

في اغلب الاحيان ، كنت الجأ الى المترجم المرافق لاعداد هذه الجملة .. واذكر انني في بوخارست ، وبعد ان تدربت على الجملة التي اعدّها المترجم ، التقيت بالسيدة مرجريتا نيكوليسكو مديرة ومخرجة مسرح تسانديكا للعرائس ، وهي صديقة قديمة زارتنا في القاهرة اكثر من مرة ، وازدت ان امتحن نطقى لتسلك الجملة امامها ، فأغرقت في الضحك ، وتصورت انني قد اخطأت خطأ جسيما في النطق قلب معنى الكلمات ، ولكنها قالت ان سر ضحكها يكمن في اختيار الجملة .. فهي تقال عادة في المآدب والملاهي ، عندما يقف المتردي اوتيل ، معلنا افتتاح الحفل أو العشاء ، داعيا الجمهور الى اللوائد ، متمنيا لهم الصحة والعافية ! .

صرفت النظر عن تلك الجملة التي كنت بالسكاد قد

انتهيت من التدريب عليها ، واخذت مدام مرجريتا تعد جملة جديدة أكثر ارتباطا بالحدث الثقافي الذى تعنيه زيارة الفرقة ، وكان على أن انتهى فى أقل من ساعة ، من حفظ الجملة والتدريب على نطقها ، قبل أن يسدا الحفل .

فى ذلك اليوم أقامت وزارة الثقافة شبه استقبال صغير فى إحدى قاعات الاستقبال بالمرح الذى نعمل فيه ، فى خلال الاستراحة بين الفصلين . وقد حضر هذا الحفل عددا من الوزراء وكبار المسئولين . . وأذكر أن وزير البترول كان يقف مع مدام مرجريتا عندما تم التعارف بيننا . . وأخذ الوزير يشيد بمستوى الفرقة ، ثم بنطقى للجملة الرومانسية التى ألقيتها ، ويبدى - فى جملة تقليدية تعودت عليها - تساؤله عما إذا كنت أتحدث الرومانية . . تدخلت مدام مرجريتا - بمكرها المستحب - لتقول له اننى أجيد جملة أخرى أجادة تامة ، وطلبت منى أن ألقها على مسامع الوزير . . الجملة الخاصة بجرسونات الملاحى . أخذت أحاول تغيير دقة الحديث ، بالكلام عن زيارتى السابقة لرومانيا ، ومدام مرجريتا لا تتوقف عن مشاغباتها ، والوزير ينقل نظره بينى وبينها فى محاولة لفهم الموقف . . فأنتهى الأمر بأن قصت مرجريتا القصة بأكملها ، وغرق الوزير فى الضحك ، وحمدت الله على ماتم ، فقد تصورت نفسى أقف على خشبة المسرح ، أمام آلاف المتفرجين لالقى فى حماس تحية الجرسونات تلك . . وعاصفة من الضحك ترددها هذه الآلاف !!

ولعل أغرب مطب وقعت فيه كان فى رحلة أخرى الى

قطر عربي لا يحتاج الامر فيه الى تدريب خاص على  
النطق ..

كان ذلك في بغداد ، وكانت الفرقة تزور العراق  
بدعوة من الجيش العراقي ، بمناسبة عيد الجيش ...  
وكنا نقدم عروضنا في « قاعة الخلد » أفخم المسارح  
العراقية على الإطلاق ، وكان يعتبر بمثابة المسرح الملكي  
الخاص أيام الملك فيصل ، وقد بناه بالقرب من قصره في  
أطراف بغداد .

كنت قد أعددت كلمة افتتح بها الحفل ، وعندما  
عرضتها على المسئول الذي كان بمثابة ضابط الاتصال  
بيننا وبين الحكومة العراقية ، قال أن التحية يجب أن  
تتضمن اسم نائب رئيس الجمهورية وممثله في هذا الحفل  
... وكان وقتها حردان التكريتي ، الذي أقبل بعد  
ذلك ، ثم اغتيل في الكويت على ما أذكر .. لم تكن  
المشكلة في إضافة الاسم ، بل في إضافة الألقاب المتصلة  
بالاسم .. ثم تحفظ آخر ، رجاء ألا تذكر كلمة تكريتي  
هذه ، لأنها تثير بعض الحساسيات ، باعتبار أن أقطاب  
النظام الحاكم وقتها كانوا كلهم تكريتيين .. من تكريت ،  
وأن الأفضل الاقتصار على ذكر حردان عبد الغفار . وبدأت  
أضيف الاسم في نهاية كلمتي ، وأسجل الألقاب العديدة  
تمهيدا لحفظها ، إذ أنني لم أكن أملاً في تلاوة التحية  
من ورقة أمام الجمهور .. وأخذ ضابط الاتصال يملأ ،  
السيد الفريق الركن طيار ، عضو مجلس قيادة الثورة ،  
ونائب الرئيس ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة ، ووزير  
الحربية و... قائمة طويلة لا أذكرها الآن ، أربكتني  
في ذلك الوقت ، فأجّلت في الدقائق الباقية على رفع

الستار ، أحاول حفظها بالترتيب الذى وضعه المسئول  
المرافق .

المهم أنه ما ان وقفت على خشبة المسرح وانتهيت من  
القاء كلمتى ، ووصلت الى كلمة الترحيب بممثل الرئيس  
العراقى ، ووقع نظرى على المرحوم حردان التكريتى ،  
ببدلته العسكرية والنياشين والشارات التى تتراكم على  
صدره وكتفيه .. حتى طارت من رأسى كل الالقاب التى  
حاولت حفظها .. ووجدتنى أقول « وأرحب بالعقيد  
الركن تحران عبد الغفار !! » .. الفريق تواضعت عدة  
رتب فأصبحت العقيد .. وحردان تحولت فصارت  
تحران .. وتوقعت أزمة .. وأزمات العراق فى حدود  
علمى حمراء !! .

تركزت أنظار الصالة على حردان التكريتى فى فضون  
لعرفة وقع هذا المطب .. فانطلق يصفق ضاحكاً ،  
واستجابت الصالة لموقفه .. ومرت الازمة بسلام .

### الاميرازاريو ، دكتور عبدالعظيم أنيس .

سبعون عرضاً على مدى خمسة أشهر ونصف ، حضرها  
مايزيد على ١٢١ ألفاً من المتفرجين ، من بينها جميعاً  
يقفز الى ذاكرتى العرض الذى قدمته الفرقة متبرعة فى  
يوم من أيام راحتها ، بمدينة لىبزج .

وصلنا اليها ، وما ان استقر بنا الحال فى فندق شتان  
لىبزج الضخم ، حتى تدفق على الفندق عدد كبير من  
الاساتذة والطلبة العرب يسألون عن موعد العرض  
ومكانه . وكان الدكتور عبد العظيم أنيس من بين

المستفسرين . قلت له ، لاسف لم توضع ليبزج ضمن خطة عروضنا ، بل حضرنا فقط للاقامة بها ، وحتى تقدم عروضنا في مدينة بوهلن التي تبعد ١٧ كيلومترا عن ليبزج . . أثار هذا غضب الجميع ، فتوجهوا الى المرافق الالماني يسألونه عن سر هذا التصرف الغريب . . كيف تقدم الفرقة عروضها في ثلاث عشرة مدينة المانية ، ولا يكون من بينها مدينة ليبزج ؟ . .

واخذ المسئول الالماني يشرح وجهة نظر وزارة الثقافة في ضرورة توزيع الخدمة الثقافية توزيعا عادلا بين المناطق والمدن المختلفة ، وأن ليبزج قد حظيت في ذلك الموسم بزيارة عدد من الفرق الأجنبية ، لذلك لم توضع المدينة في خطة زيارة الفرقة .

وارضاء للأساتذة والطلبة العرب ، عرض المسئول تدبير تذاكر في عرضي مدينة بوهلين على أن ينتقلوا اليها بسياراتهم أو بالاتوبيسات العامة . وقد تم في هذه الحدود حضور عدد لا بأس به . . إلا أن ثورة الجسالية العربية الكبيرة بالمدينة بقيت كما هي . وفي اليوم التالي اتصل بي الدكتور عبد العظيم انيس ، ليقول أن لجنة الطلبة العرب قد قررت ضرورة تقديم حفل خاص يحضره كل العرب ، ويدعون اليه اساتذتهم وزملائهم من الالمان ، قلت « كيف ؟ » . . قال « لا تقلق ، سندبر نحن كافة الاحتياجات ، فقط أرجو أن تستشير الفرقة في الموضوع لتعرف مدى استعداد الأعضاء لتقديم حفل اضافي في يوم الراحة » .

اثناء تناول الغداء ، طرحنا الفكرة على أعضاء الفرقة ، فرحبوا بها ، وتحمسوا لها أشد التحمس ، بل وأبدوا

استعدادهم لتقديم أكثر من حفلة . . وكان الدكتور عبد العظيم على مائدتي ، فتأثر كثيرا بهذه الروح ، وتضاعف حماسه لتحقيق الفكرة .

أنهى دور الحماس وحل دور التنفيذ . . على أي مسرح يتم العرض ؟ . . جميع المسارح مشغولة ببرامجها التي تلتزمها التزاما تاما على مدى العام . . على الفور تشكلت لجنة برئاسة الدكتور عبد العظيم أنيس ومعه مجموعة من الدارسين العرب ، للاتصال بإدارة الجامعة ، وبحث إمكانية تقديم الحفل في أحد مبانيها . . وأسفرت الاتصالات عن اختيار الصالة الواسعة التي تستخدم كمطعم عام للطلبة . . وافقت إدارة الجامعة ، وبدأت المساومات مع إدارة المطعم على تغيير موعد وجبة العشاء ، وتقديمه مبكرا بحيث نستطيع تسلم المطعم في السادسة والنصف مساء ، بحيث نحوله الى مسرح قبل بداية العرض في السابعة والنصف .

تم نقل الآلات والازياء ظهرا الى حجرة خاصة بالمطعم ، وعندما ذهبت مع الفنيين بالفرقة في السادسة والنصف لاعداد مكان العرض . . . كان المطعم مطعما ! مازال بعض الطلبة يتناولون عشاءهم المبكر ، ومازالت الموائد موزعة في فراغ المطعم ، عليها بقايا طعام وأطباق لم ترفع بعد . . وأعضاء اللجنة ينتحون جانبا من المطعم ، يتطلعون بصبر نافذ الى الطلبة الذين مازالوا يتناولون طعامهم ، في انتظار اللحظة الحاسمة ، التي يبدأ فيها تحويل المطعم الى مسرح .

وما أن حلت هذه اللحظة ، حتى تحول المكان الى خلية نحل نشيطة ، الموائد ترفع ، المقاعد تصف ، الاحبال تمد

بعرض المسرح لتركب عليها الستائر ، حجرات مؤقتة  
لخلع الملابس من ملايات المدينة الجامعية .

وفي الساعة والنصف فتحت أبواب المطعم للجمهور من  
الامان والعرب ، وتتابع الفقرات وسط حماس جنونى ،  
يعود بعضه لنا ، ويعود اغلبه الى فرحة الطلبة العرب  
بنجاحهم فى تحقيق هذه الفكرة ، وتغلبهم على كسافة  
العقبات .

### الطريقة الشعبانية فى القيادة الموسيقية :

اذا كانت مشاكل العرض المسرحى قد واجهتنا ابتداء  
من عرضنا الاول فى انقرة . . فقد تعلمنا منذ ذلك الحين  
كيف تطور عروضنا بحيث تتفق دائما مع ظروف العمل  
الجديدة . ولعل قدرتنا على التصرف بلغت ذروتها فى  
حفل مطعم الجامعة بليزج ، حيث استطعنا تقديم  
جموعة من الرقصات والاغاني الشعبية فى ظروف صعبة  
لم تكن نتصور اننا سنواجه بمثلها فى رحلتنا لاوروبا .  
ولعل اصغر المسارح التى عملنا عليها كان فى مدينة  
« تلبوخين » ببلغاريا والتى تبعد عن مدينة فارنا  
السياحية بحوالى ٦٠ كيلومترا . ما ان وصلنا الى مبنى  
المسرح حتى فوجئنا بخشبة المسرح التى لا تزيد فى ابعادها  
عن حجرة عادية . . ما ان تدفق اليها ثلث اعضاء الفرقة  
بدافع الفضول حتى غصت بهم ولم يبق موضع لقدم .  
ويبدو ان السيد يوردان كبير المرافقين لم يكن قد  
دار هذا المسرح من قبل ، فقد كانت خشبته الصغيرة  
بفاجأة للسيد يوردان بمثل ما كانت لنا . . فظهرت عليه



معالم الارتباك ، واختلى بى ليستشيرنى فى الغاء الحفل ، رغم أن التذاكر كانت قد بيعت ، متحملا هو مسئولية هذا التصرف ، حتى لا يضعنا فى موضع الحرج . طلبت منه مهلة لدراسة الوضع ، وخلوت الى سامى يونس مدرب الفرقة ، واتفقنا على برنامج خاص يتضمن بعض الرقصات ذات الاعداد القليلة مع ضرورة اجراء بعض التدريبات العاجلة لضبط حركة الرقصات وتضييقها وفقا للظروف الخاصة جدا التى سنعمل فى اطارها .. مع الاستعاضة عن الرقصات الناقصة ، بفواصل من الموسيقى والاغاني الشعبية .. وقد نجح الحفل رغم هذه الظروف .. واحتفل بنا مجلس المدينة احتفالا صاخبا عقب انتهاء العرض .

وكانت مشكلة الفرقة الموسيقية ، ومكان جلوسها ، تواجهنا فى أكثر من مسرح .. ويبدو أن بعض الدول كانت تتصور أن فرقة الرقص الشعبى ، تعمل كما هى العادة عندهم ، مع فرقة موسيقية محدودة ، لا يزيد عدد افرادها عن ثمانية عازفين .. وفى الغالب يدبر لهم مكانا خاصا على جانب خشبة المسرح .. لذا كانت فرقتنا بعازفيها الذين وصل عددهم بعد الضغط الشديد الى ٢٥ عازفا ، مفاجأة متكررة للمسؤولين فى كثير من البلدان .

ففى صوفيا ، قدمنا حفلتنا الاولى فى صالة للموسيقى السيمفونية .. مثل صالة سيد درويش عندنا .. وواجهتنا الكثير من الصعوبات فى تعديل تشكيلات الرقصات لتتفق مع الحيز الشديد الاستطالة القليل العمق الذى كان مخصصا للرقص .. ويبدو أن هذا

الحيز يخصص عادة لفرقة الكورال في بعض العروض السيمفونية . واضطررنا الى وضع الفرقة الموسيقية على مسطح مرتفع خلف هذا الحيز ، فبدت كخلفية دائمة للعرض الراقص . . وقد شعر المسئولون بغرابة هذا الوضع ، فنقلوا العرض في اليوم التالي الى دار الاوبرا ، باستعداداتها المسرحية الكاملة . وفي نهاية العرض جاء السيد بوبوردينوف احد كبار المسئولين بوزارة الثقافة ، يهنئ بالنجاح ، ويعتذر عن ظروف العرض السابق ، ويقول مبتسما « ظلمناكم ! » .

بل اضطررنا في بعض الاحيان الى توزيع الفرق الموسيقية الى مجموعتين على جانبي مقدمة المسرح . . الآلات الوترية في جانب ، وآلات النفخ والايقاع في جانب آخر ، وبقي على المايسترو شعبان ابو السعد ، أن يبتكر وسيلة التفاهم التي تسمح له بقيادة الفرقة الموسيقية بهذا التقسيم المبتكر . . وكانت محاولاته لقيادة الفرقة مرة ملتفتا الى هذا الجانب ومرة الى الجانب الاخر ، وبين هذا وذاك متابعا الحركة على المسرح ، كانت هذه المحاولات مصدرا للعديد من القفشات التي كان من بينها مطالبة الاسراع بتسجيل هذه الطريقة الشعبانية في القيادة الموسيقية ، التي تفوقت على قيادة أحمد فؤاد حسنين للفرقة وهو يعطيها ظهره !! .

### آخر شكوى في تيرانا :

واذا كانت الفرقة القومية للفنون الشعبية قد استطاعت أن تواصل عملها على مدى خمسة أشهر

ونصف ، بعدد الاعضاء المضغوط ، وفي ظروف التنقل والسفر المستمر ، وبرغم درجة الحرارة التي لم يسبق لأعضاء الفرقة تحملها ، والتي كانت تصل في كثير من الأحيان الى ٢٥ درجة تحت الصفر ، وفي مواجهة حالات المرض الخفيفة والشديدة والعمليات الجراحية .. أقول اذا كانت الفرقة قد استطاعت ان تؤدي عملها على خير وجه رغم كل هذه الظروف ، فمرجع هذا بلاشك الى نظام البطولة الجماعية الذي تلتزمه اشد الالتزام ، والذي يميزها عن غيرها من الفرق المسرحية والشعبية والاستعراضية ، والذي يعتبر تقليدا راسخا من تقاليد الفرقة منذ بداية تكوينها .

لقد نشأت الفرقة ونمت وتطورت ، وعقيدة أساسية لا تغيب عن وجدان أفرادها ، ان الفرقة اكبر من مجموع أعضائها .. وان العمل يجب ان يسير دائما على اكمل وجه ، مهما كانت أهمية الذين يتخلفون عن العرض ، او حتى ينهون عملهم بالفرقة .. لا يوجد فرد واحد ، مهما كانت درجة تفوقه ، لا يمكن للفرقة ان تستغنى عنه ، وتمضي في عروضها دون ان يهتز مستوى هذه العروض .

وقد استتبع هذا الفهم ، ضرورة وضع نظام دقيق للبدايل ، او ما يسمى عادة « الدوبلير » . كل راقص أو راقصة له بديل جاهز يمكن ان يحل محله في لحظة ، ويؤدي عمله على اكمل وجه .. سواء في الرقصات الفردية أو الجماعية . شق رئيسي من تدريبات الفرقة ينصرف الى تحقيق كفاءة عالية لهذا النظام .. تدريبات مستمرة تسمح للفرد الواحد ان يشارك في الرقصة

الواحدة ، في أكثر من موقع . . الرقصة التي يؤديها ١٢ راقصا ، يتدرب عليها ٣٦ راقصا . والفرقة تتبع في عروضها نظاما خاصا يستهدف تدريب الجميع على مواجهة الجمهور ، في جميع المواقع التي تدربوا عليها . . فالامر لا يقتصر على التدريبات ، بل يقضى بمواجهة الجمهور بطريقة دورية ، بحيث لا يسبب تغييب عشرة راقصين وراقصات مثلا ، وأيا كانت مواقعهم ، تعثرا في مستوى العرض . بل يمكن مواجهة الظروف الطارئة ، باستبدال راقص بغيره في لحظات ، دون أن يشعر الجمهور بأدنى اختلال في سياق العرض .

والى هذا النظام ، نظام البدائل « الدوبلير » ، يعود الشق الأكبر من الحماس للعمل الذي يتصف به أعضاء الفرقة في العروض الداخلية والخارجية . . هذا الطريق المفتوح أمام كل راقص وراقصة ، لكى يتفوق على غيره وعلى نفسه ، خلق جوا صحيا من التنافس والحرص على التجويد ، والرغبة فى الحصول على فرص أوسع للعمل والاشتراك فى عدد أكبر من الرقصات . . لقد كانت المشكلة الحقيقية طوال هذه الرحلة ، هى ارضاء الجميع بالسماح لهم بمزيد من العمل . . المشكلة دائما ، فلانة دخلت اليوم فى خمس رقصات ، ولم أدخل سوى فى ثلاث فقط . . فلان أدى الدور الفردى « السولو » فى الرقصة لمدة ثلاثة أيام متواصلة ، ولم أكلف بدور فردى طوال هذه الايام الثلاثة . . وهكذا .

قد نتصور أن هذا الحماس لا بد أن يفتر على مدى شهور الرحلة ، الا اننى مازلت اذكر أن مشكلة العمل الاخيرة ، كانت بسبب استياء أحد الراقصين من حرمانه

من الاشتراك في العرض الأخير بمدينة تيرانا . وكان قد حرم من الاشتراك في العمل لمدة ثلاثة عروض ، نتيجة لخطأ ارتكبه قبل هذا . . وقد يبدو غريباً أن يكون الحرمان من العمل أحد أشكال العقوبات الفعالة التي كنت أسعى بها إلى إقرار النظام في سير العمل بالفرقة أثناء الرحلة . . إلا أن هذا العقاب كان في كثير من الأحيان أشد إيلاماً للعضو من الخصم المالى . . لقد تضمنت الشكوى الأخيرة في رحلتنا ، اعتراف الراقص بخطئه السابق ، وبعدالة الجزاء ، وطمعه في العفو برفع عقوبة اليوم الثالث حتى يمكنه أن يشارك في العرض الأخير للفرقة في رحلتها .

### كلمات عن موسكو . . والاعتذار في الأقصر .

وكانت عقوبة الحرمان من الاشتراك في العروض تصل إلى قمة تأثيرها في عروض العواصم الهامة . أذكر أن راقصة قد أخلت بنظام العمل في أحد العروض ، فوقعنا عليها عقوبة الحرمان من العرض التالى ، وكان العرض التالى في مدينة موسكو . . وقد اختارت لنسبنا وزارة الثقافة السوفيتية مسرح قصر الكرملين لنقدم عليه برامجنا . . وما أن وصلنا إلى المسرح لنجرى التدريبات ورات الفتاة صالة المسرح الضخمة بطوايقها الثلاثة ، ومقاعدتها التي تبلغ ستة آلاف مقعد ، حتى جن جنونها، وبذلت جهداً متصلاً في الرجاء والاعتذار والتعهد بعدم التهاون في نظام العمل مستقبلاً ، بل واستعدادها لقبول أى عقاب آخر غير عقاب الحرمان من العرض .

ومسرح قصر الكريملين يقع داخل أسوار قصر الكريملين ، ولا يسمح للسيارات بالدخول حتى بساب المسرح ، بل تقف عند أبواب السور ، ويبقى على الجمهور أن يقطع اثر من مائتى متر على الاقدام حتى مدخل المسرح . . ولقد شهدت منظر اصراف الجمهور بالآلاف من حفلتنا الاولى ، وموكبه الضخم من باب المسرح حتى أسوار الكريملين . . تمتد فوقه مظلة هائلة صنعها تكديس المظلات التى رفعها كل واحد لحمايته من الجليد الهابط بغزارة من السماء .

ومبنى مسرح قصر الكريملين يتكون من خمسة طوابق — على ما اذكر — وتضم طوابقه أكثر من مسرح ، وبه ثمانية مطاعم كبيرة . . والطابق الثالث عبارة عن حديقة كاملة تتوسطها نافورة . هذا من ناحية المبنى . . الا ان الاعجاز الحقيقى يتجلى فى المسرح الكبير الذى عملنا عليه ، بإمكانياته الاوتوماتيكية المتفوقة ، وبالخدمات المسرحية المتعددة التى يقدمها . الاجهزة الصوتية الحديثة بإمكانياتها الواسعة ، وسائل الاضاءة المختلفة ، وطريقة ضبطها آليا بحيث تسير الاضاءة خطوة بخطوة مع فقرات العرض ، دون احتمال خطأ واحد ، او تخلف بسيط عن التوقيت الدقيق لكل تغيير فى الاضاءة . السستائر الضخمة المتعددة الالوان والاشكال ، والتى تتحرك من جانب لآخر ومن أعلى لأسفل فى نظام آلى دقيق . . هذا بالإضافة الى الخدمات الجانبية الفريدة التى يتيحها هذا المسرح . . حجرات خلع الملابس والماكياج بأثاثها الجميل والمريح . . اجهزة التليفزيون المنتشرة فى كل مكان ، فى حجرات الملابس والاستراحات والطرقات والبوفيهات

ومدخل الجمهور ، كلها تعرض ما يجرى على المسرح ، بحيث يستطيع كل واحد من المشتركين في العرض ان يكون مستعدا في الكواليس عند اللحظة المناسبة .. و أخيرا ، وبعد كل هذا ، النظافة الكاملة التي تفرض نفسها على كل شيء .

كان من المقرر منذ بداية الرحلة أن نكتفى بعرضين على مسرح الكريملين ، فسعة المسرح ستة آلاف مقعد ، والمقاعد كلها مشغولة ، ومعنى هذا ١٢ ألف متفرج على مدى يومين . أقول هذا لأننا صدمنا جميعا بقصاصة من جريدة « الجمهورية » ، واصلتنا بعد أكثر من شهر من تاريخ عرضنا هذا ، بها مقال أو خواطر كتبها الاستاذ محمد عودة عن عرضنا هذا .. وكان قد حضر عرض الكريملين مع عدد من المصريين الموجودين في موسكو في ذلك الحين .

ماذا يقول عوده ؟ .. يقول « لا احد يستطيع أن يقول أن الفرقة قد فشلت ، ولكننا لا نستطيع أن نقول أن الفرقة قد نجحت » ، ثم يقول « وبعد حفلتين على مسرح الكريملين ، تأجلت الحفلة الثالثة ، وسافرت الفرقة الى مدن الدرجة الثانية في الشمال ، ومنها الى بولنده » .

كلام قريب آثار نائرة الجميع .. خاصة وأنا تسلمنا هذه القصاصة في الثالث الأخير من الرحلة ، وكنا في المجر .. وعروضنا تلقى حماسا خرافيا على مسارح بودابست ، وأذكر أن كمال نعيم مصمم الرقصات بالفرقة أصر على أن يأخذ معه الى المسرح جهاز التسجيل الصغير الخاص به ، ليسجل عاصفة التصفيق التي تعقب تقديم البرنامج ، وعند عودتنا بالأتوبيس الى الفندق في نهاية

الفرض ، أخذ يسمعنا التسجيل ، ناظرًا الى ساعته ،  
ليقول أن عاصفة التصفيق دامت لأكثر من ست دقائق ،  
قوية صاخبة .. وجمهور بودابست جمهور ذواق ، يتاح  
له أن يشهد أعظم فرق الرقص الشعبى العالمية ، بما  
فى ذلك الفرقة القومية المجرية .

ثم ما هذا الكلام عن الغاء حفلة ثالثة ، والسفر الى مدر  
الدرجة الثانية بالشمال ؟ .. لقد تحدد برنامج عملنا  
منذ يوم وصولنا الى موسكو .. بل لقد أخطسنا  
بتفاصيل البرنامج ونحن فى رومانيا قبل وصولنا الى  
الاتحاد السوفيتى ، ونشرته الجرائد المصرية ، وجريدة  
« الجمهورية » بالذات التى كتب فيها الاستاذ عوده  
كلمته .. ظهر هذا البرنامج كاملا فى عدد ١٨ نوفمبر ٦٨ ،  
وكنا فى ذلك الحين لم نبدأ عروضنا فى موسكو التى تمت  
فى يومى ٢١ ، و ٢٢ نوفمبر !! .

وقد تضمن هذا البرنامج تقديم ثلاث حفلات فى ليننجراد  
ثم حفلتى موسكو ، وبعدها حفلتان فى ريجسا عاصمة  
جمهورية لاتفيا على بحر البلطيق .. بحيث تأخذ طريقنا  
بعد ذلك الى جديانسك فى بولندا التى تقع على بحسر  
البلطيق أيضا .

لقد أساءت كلمات عوده الى جميع أعضاء الفرقة ،  
وآثارت سخطهم وغضبهم .. ألا يكفى أن الصحافة  
المصرية لم تكن تتابع نشاط الفرقة بما يوازى الصلدى  
الذى كانت تشيره زيارتها لعشرات المدن الاوربية ؟ .. الا  
يكفى أن أحدا لا يدرى بالجهد البدنى والعصبى الذى  
يبذله أعضاءها فى رحلتهم .. بينما يتصور الكثيرون  
بمصر اننا فى « فسحة » الى أوروبا ؟ .. ثم يجيء الذين



« يتفسحون » فعلا ، ليقولوا أن حفلة ثالثة قد ألغيت ، وأن برنامجنا قد تغير ، وأن الفرقة قد أطيح بها إلى مدن الدرجة الثانية .

ومن أين أتى الاستاذ عوده بهذا التقييم لحفلات موسكو . . . ومن أين له أن يعقد المقارنات بين عروضها والعروض التي قدمتها الفرقة الأخرى على مسرح الكرملين ؟ . . . أليست شهادة الدكتور مراد غالب سفيرنا في موسكو في ذلك الحين أحق بالتصديق ؟ . . . ولن نقول شهادة المسئولين السوفييت التي تحتمل المجاملة . .

لقد تسببت كلمات الاستاذ عوده في جرح عميق بقلب كل عضو بالفرقة ، لم يكتب له أن يندمل إلا بعد حوالي سنة كاملة ، عندما كانت الفرقة تقدم عروضها بمدينة الأقصر في مهرجانها السياحي السنوي . . وكان الاستاذ عوده من بين المدعوين إلى هذا المهرجان . قلت له « رغم أنني لا أفهم حتى الآن السر الحقيقي في كلماتك التي كتبتها عن رحلتنا إلى أوروبا ، إلا أنني أنقل إليك رغبة الفرقة في مواجعتك لتشرح لهم قصة هذه الكلمات . كانت الفرقة مجتمعة حول مائدة العشاء ، عندما دخلت إليهم مع عوده . . عرفتهم به ، فاندلعت بينهم ثورة احتجاج . . وبصعوبة استطعت أن أخمد ثورتهم . . وجاء اعتذار عوده عما كتبه ، والتصفيق الحاد من أعضاء الفرقة ، كنهاية لهذه القصة .

### مقارنات غير عادلة .

وأنا لا أريد بهذا الدفاع أن أدعي مكانة للفرقة لا تستحقها ، فقد كنت أكثر من غيري إدراكا للنواقص

التي تعترى الفرقة ، من حيث تشكيّلها ونظام عملها ومستوى انتاجها . . الا أن الدوافع النفسية الخفية التي لا أعرفها ، والتي أملت كلمات الاستاذ عوده ، لا يمكن أن تتخذ أداة لتقييم مدى استجابة الجماهير لعروض الفرقة في رحلتها .

ولعل مرجع النجاح الذي لاقتّه الفرقة الى أنها فرقة للرقص الشعبي بالتحديد ، و فرق الرقص الشعبي ، ايا كان مدى تطورها مسرحيا ، تبقى لها دائما فرصة النجاح واستجابة الجمهور الاجنبى ، بما تنقله من مذاق خاص لشعبنا في الرقص أو الازياء أو الموسيقى . . الجمهور هنا ، لا يجيء ليعقد المقارنات بين مستوى الفسقة القومية المصرية ، وفرقة موسيف السوفيتية مثلا . . انه يقبل الى المسرح مستهدفا التعرف على خصائص الفن الشعبي للدولة التي تنتسب اليها هذه الفرقة الزائرة . . وعلى قدر صدق الفرقة في تصوير فنون شعبها ، يكون مدى نجاحها ، واقبال الجمهور عليها . من هنا كانت أهمية الاستفادة من نشاط الفرقة الشعبية في تحقيق تواجدنا العالمى ثقافيا وحضاريا . . نحن لا نستطيع أن نؤفد فرقة للباليه أو الموسيقى السيمفونية ، فمعنى هذا أن ندخل في منافسة مع المستوى العالمى الذى تحقق في هذين المجالين ، وستكون المقارنة والمقابلة هنا في غير صالحنا . . وهنا أيضا تكون المجاملة الخالصة ، هي دافع الاستقبال الحماسى الذى قد تلقاه هذه الفرق .

لقد استطاعت الفرقة القومية للفنون الشعبية أن تنقل الى شعوب الدول التي زارتها ، صورة مشرفة عن فنوننا الشعبية ، بمذاقها الخاص وطبيعتها المتميزة . . وهنا

يكمن السر الحقيقي في عواصف التصفيق ، وكلمات  
الاعجاب والتقريظ التي زخرت بها الجرائد والمجسلات  
ومحطات الاذاعة والتليفزيون .. ولدى الفرقة حتى الآن  
اكوام من قصاصات الجرائد ، التي تعكس بما فيها من  
تقييم موضوعي ، رأى المختصين والنقاد في مستوى  
الفرقة بالقياس الى غيرها من الفرق الزائرة .

وتقييمنا نحن لمستوى الفرقة يجب ان يتجاوز مستوى  
التقييم العام الذي يجريه الناقد الاجنبى ، فنحن اكثر من  
غيرنا ادراكا لظروف تكوين الفرق الشعبية ، والصعوبات  
التي يوجهها العمل اليومي بها .. ان المقارنة التي تعقد  
بين فرقنا وفرقة عالمية اخرى كفرقة موسسيف  
السوفيتية ، يجب ان تدخل فيها عدة اعتبارات خاصة .

اهمها حداثة اهتمامنا بالفنون الشعبية ، ووجود هوة  
عميقة امتدت لآلاف السنين بين فن السادة او الفن  
الرسمي ، وبين فنون الشعب .. وجهودنا في جمع  
وتسجيل وتصنيف التراث الشعبى ، ثم تطويره مسرحيا  
تعود الى زمن قريب لا يتجاوز خمسة عشر عاما . هذا  
في الوقت الذي يمتد فيه عمر هذه المحاولات في دول  
اوربا الشرقية الى عشرات السنين .

كما ان الرقص الشعبى بصورته الاصلية ، ما زال  
يمارس حتى يومنا هذا ، بصفة منتظمة ، في دول اوربا  
الشرقية .. ما ان يجتمع النساء والرجال في مناسبة ما ،  
حتى تبرى من بينهم جماعة تروح تعبر عن فرحتهم  
برقصات شعبية نشيطة .. فالتراث الشعبى مازال حيا  
بين الناس ، يسهل تسجيله وتطويره . هذا بالاضافة الى

ثراء هذه البلاد بالتراث الشعبى المتصل بالرقص اذا  
قيست بما لدينا .

وفرقه كفرقة موسييف مثلا ، عندما ترغب فى تدعيم  
افرادها من الراقصين تجد تحت يدها ، آلاف الراقصين  
والراقصات فى الفرق الشعبية المحترفة الاخرى او فى  
فرق الهواة فى كل حى وقرية ومصنع ومزرعة . . . أما  
عندنا وحتى بعد أن تضاعف الوعي بجدية هذا النشاط ،  
نشاط الرقص الشعبى ، نفشل فى العثور على عدد قليل  
من الراقصات والراقصين لفرق الرقص الشعبى . . .  
ولعل هذا هو ما الجانى الى انشاء مركز تدريب للرقص  
الشعبى ، ملحق بالفرقة ، يتولى على مدى أكثر من ثلاث  
سنوات تدريب الاطفال فى سن الحادية عشرة أو الثانية  
عشرة على الرقص الشعبى ، حتى يمكن أن نختار منهم فى  
نهاية فترة التدريب العناصر الصالحة للانضمام للفرقة  
وهى لا تتجاوز فى اغلب الاحيان نصف العدد الذى بدأنا  
به التدريب .

وتسقط دعوى المقارنة بين مستوى فرقنا وفرقة  
موسييف أو غيرها من الفرق الرومانية أو المجرية أو  
البولندية ، اذا ماسبققتها ، مقارنة أخرى حول الظروف  
والامكانيات ، ومدى الخدمات المادية والصحية . ثم  
الضمانات التى يحظى بها الراقص ، ومدى اطمئنانه على  
مستقبله ، بعد أن ينتهى عمر عمله على خشبة المسرح . .  
وهو عمر محدود فى فرق الرقص الشعبى .

### الاكل الميكانيكى . . والجرامات الزائدة .

أكثر من سبعين عرضا قدمتها الفرقة فى رحلتها . .  
فاذا عرفنا أن كل عرض يحتاج فى اغلب الاحيان الى

تدريبات خاصة على خشبة المسرح التى سيؤدي عليها العرض ، وفى اليوم السابق للعرض غالبا ، أدركنا أن أيام العمل بلغت فى المتوسط ١٢٠ يوما .. فاذا عرفنا أن رحلاتنا بالقطارات والاتوبيسات استغرقت ٤٦٩ ساعة ، أى حوالى ٢٠ يوما .. وجدنا أن مجموع أيام الفمسل والسفر يكون قريبا من عدد أيام الرحلة ذاتها .. ومعنى هذا أن أيام الرحلة مع امتدادها ، قد استغرقتها التدريبات والعروض والسفر من مدينة الى أخرى .

رغم هذا فقد كان قلقى شديدا على مستوى لياقة أعضاء الفرقة البدنية ، هذه اللياقة التى تتحقق عادة للراقصين والراقصات بفضل التدريبات اليومية التى تسمى تدريبات « البار » ، بما فيها من تدريبات كلاسيكية وشعبية .. هذه التدريبات تستمر عادة لما يزيد عن ساعة ونصف يوميا ، ويتم متابعتها بحيث تستوعب تدريبا كافيا على كافة اللياقات المطلوبة فى الراقص . لم يكن وقتنا يسمح فى أغلب الاحيان باجراء هذه التدريبات ، فكثيرا ما كنا نفضل استغلال الوقت المتاح على المسرح فى التدريب على الرقصات ، وضبطها على مقاييس المسرح الذى سنعمل عليه ، وتحديد مواقع الدخول والخروج فى كل رقصة . والوقت المتاح فى المسارح كان دائما محدودا للغاية ، فكل مسرح له برنامج عمل كامل على مدى اليوم لا يتيح لنا سوى وقت قصير .. قد يكون فى مطلع النهار ، أو فى الظهيرة .. أو بعد انتهاء العرض الذى يقدم على المسرح ، وهذا يعنى أن نبدأ تدريباتنا بعد منتصف الليل .

لقد كان حرصى على اجراء التدريبات اليومية شديدا

وكلما وجدت الى ذلك سبيلا ، حتى اواجه زيادة الوزن  
التي بدأت تظهر على الاعضاء ، برغم عناء السفر والعمل  
.. وربما بسبب انتظام تناول وجبات الطعام الكاملة .  
لقد لاحظت هذه الزيادة في الوزن على نفسى اولا .. فرغم  
ان الجهد الذى كنت ابدله فى الرحلة يفوق ضعف  
الجهد الذى ابدله عادة فى مصر ، الا ان وزنى أخذ يتزايد  
بشكل ملموس ، وقد اكتشفت بعد بعض الوقت ان مرجع  
هذا الى الطريقة الميكانيكية التى اتناول بها طعامى وسط  
الفرقة . لقد اكتشفت بعد عدة اسابيع من بداية الرحلة ،  
اننى اصبحت اكل مايقدم الى ايا كانت كميته ، و ايا كان  
نوعه .. نوع من الامتثال للنظام العام .. وبحكم الوجود  
فى جماعة . الوجبة دائما وجبة كاملة ، طبق يرفع وطبق  
يوضع ، وانا جالس فى مكانى ابتلع مايقدم لى فى استسلام  
تام . وجبة العشاء التى كثيرا ما اکتفى فيها بسندوتش  
صغير ، اصبحت وليمة كاملة تزيد عن وليمة الغداء بطبق  
الحساء ! . الافطار الذى كنت استغنى عنه فى مصر ، او  
اكتفى فيه بعدد محدود من اللقيمات ، اصبحت هو ايضا  
وجبة كاملة ، اتناولها مرغما لمواجهة الطقس الشديد  
البرودة .

ان الشهور المتوالية من الطقس البارد الذى يتراوح بين  
٥ فوق الصفر ، و ٢٥ تحت الصفر ، كان يرغما جميعا  
على التزود بكل مايقدم الينا من طعام .. الا ان الجهد  
المبدول لم يكن يستوعب كل هذه الطاقة من السعرات ،  
فبتحول الفائض الى جرامات جديدة تضاف الى وزننا .  
ولقد اتفقنا فى النهاية على ضرورة اجراء بعض التدريبات

الرياضية كل صباح ، ونصحنا الراقصات والراقصين  
باجراء هذه التدريبات في حجراتهم بالفندق في بداية اليوم  
.. وقد نجحت الخطة مع الذين التزموا بها ، وظهرت  
الجرامات الزائدة لتكشف « تزويغ » الذين لم يلتزموا  
بها .

## مرافقون .. ومرافقات

### مايك .. وكشرى جحا :

ما ان يجتمع مصريان في بلد اجنبى ، حتى يسبدا التعليق على كل مايعرض لهما ، باللغة العربية ودون تحفظ .. فتنتلق منهما الاقوال الجارحة والالفاظ الخارجية في الاماكن العامة ، اعتمادا على أن اللغة العربية لغة غير مفهومة في ذلك البلد . كنت ادرك اغراء هذه المغامرة ، وكنت أعلم انه في حالتنا لا يجب ان نسمح بمثل هذه المغامرات ، بصفتنا الرسمية من جهة ، ولان الدول المضيفة كثيرا ما توفر لنا مترجما أو مترجمة ممن يتكلمون العربية تسهيلا للتفاهم مع كافة أعضاء الفرقة .

وقبل ان نتحرك من القاهرة ، حرصت على أن الفت نظر الفرقة الى هذا الموضوع ، وشرحت الاسباب بالتفصيل .

وكالعادة ، لم يقدر لهذه النصيحة ان تدخل دور الاقتناع ، قبل ان تتدعم بتجربة شخصية . كنا قد وصلنا بودابست بالقطار ، وعلى رصيف المحطة جرى استقبالنا رسميا ، ثم انصرف كل واحد الى حقائبه ، يتثبت من اكتمالها ، ويلاحظ ثقلها ، ثم انطلقنا الى الاتوبيسات



وضعد في كل أتوبيس أحد المرافقين المجريين . تحرك  
الموكب الى الفندق . . وبدأت التعليقات ، كان الوقت  
ليلا ، والطريق من المحطة الى الفندق لا يعبر قلب  
المدينة التجارى ، وأخذت عيون الاعضاء تتحرك ذات  
اليمين وذات اليسار ، بحثا عن واجهات المحال التجارية  
... ويبدو أن اختفاء واجهات المحال المضيئة ببضائعها  
المرصوة قد خيب أمل البعض ، فانطلقت التعليقات ،  
الى أن قال أحد خبراء المشترىات ، « الظاهر يا جدهان  
ان البلد دى مقلب ، مافيهاش حاجة نشترها . ! » .  
وبهدوء وقف المرافق المجرى مايك ، بعوده النحيل ،  
ليقول « ماتخافش يا أستاذ ، بكره ح أوريلك السوق ،  
وح تلاقى حاجات تعجبك ! » . مرت فترة صمت طويلة  
نتيجة للمفاجأة ، ثم تعالت الضحكات على المفسارقة  
الغريبة ، ذلك الخواجة الذى يتكلم المصرية القساهرية  
الدارجة بكل هذه المهارة .

وبقدر الحرج الذى أحسوا به بسبب تعليق زميلهم ،  
كانت فرحتهم بهذا المترجم العجيب الذى يتكلم العامية  
« لبلب » . . والذى سيكون عوننا حقيقيا لهم فى  
استفسارتهم التى لا تنتهى حول السوق ومكانه  
وأسعاره . . وكيفية الوصول الى أرخص الاسعار .

وقد عرفت فيما بعد أن مايك ، قضى فترة منجسة  
دراسية بالقاهرة ، وأن الفضل فى اجادته للعامية القاهرية  
يرجع الى سكناه طوال فترة اقامته بالقاهرة . . فى  
بولاقي ! .

ولقد كان مايك ، بلفته العامية القاهرية ، وروحته  
المرحة ، قريبا الى نفوس أعضاء الفرقة . . وكسنت

تعليقاته الساخرة سببا في رفع الكلفة بينه وبين افراد  
الفرقة ، ماجدة تسأله عن مكان تشتري منه « حلة  
بريستو » ، فيقول مايك ساخرا « ايه الكلام ده ؟ ...  
عاوزه ترجعى لامك من أوروبا وفي ايديك حلة ؟! » .  
ممدوح يميل على اذن زميل معلقا على جمال حسناء  
تدخل المطعم ، ومايك يدخل رأسه بين راسيهما قائلا  
« خذ بالك ، جوزها جاي وراها ! » .

وقد سألت مايك يوما عن سر سكناه في بولاق ، قال  
كنت اسكن قبل هذا في الزمالك ، ولكنى وجدت أن  
نفقات المعيشة هناك لا تتناسب مع مرتب المنحة ، هذا  
بالإضافة الى أن جمهور الزمالك أغلبه « خواجات ! » .  
فانتقلت الى بولاق ، حيث ايجار الفرفة رخيص ،  
و « سندوتش البدنجان المقلى بسلطة القوطة » لا يكلف  
شيئا . . ولقد أحببت الناس في بولاق ، وأحبوني ،  
واستفدت كثيرا من معيشتى بينهم .  
وأسأل مايك . . هل أكلت الكشري في مصر ؟ .

ويضحك مايك طويلا ثم يقول « احكى لك . . » .  
ويمضى مايك في سرد قصته بالعامية « كنت في شارع  
عماد الدين ، وحسيت انى جعان قوى ، لقيت محل  
مكتوب عليه كشرى جحا ، والناس داخلة خارجة منه . .  
وفي الفترينة ، ريقى جرى لما شفت جبال الرز والعدس  
متدوكة بالبصل المحمر . . قلت ، آكل من كشرى جحا  
ده . . دخلت المحل وطلبت طبق كبير . . وقدامى على  
الترابيزة لقيت قزاة فيها صلصة ، قعدت أحط منها  
على الكشرى ، بصيت لقيت اتنين عمال مبيضين بيأكلوا  
على الترابيزة اللي قدامى ، عمالين يبصولى ، وواحد

قال للتانى « الخواجه ده عمال يحط دقة شطة .. وح يموت قبل مايخلص الطبق ! .. » .. قال الكلام ده بصوت على ، وهو فاهم انى ما اعرفش عربى .. قلت فى نفسى ، انا ح اكل الطبق كله ، ولما اخلص ، ح اقف واقول له ، « ايه رايتك الخواجة ما ماتش ! » ، وفعلا قعدت آكل الكشرى .. وكان حاجة فظيعة .. بقيت آكل معلقة واشرب وراها كباية مية .. لغاية طبق الكشرى ماخلص ، ورحت واقف علشان أقول لهم الكلام اللى كنت محضره . بصيت لقيت لسانى وارم ومالى بقى كله .. وماقدرتش انطق كلمة واحده .. ومشيت وانا ساكت من غير ما أقول لهم .. الخواجة ماماتش ! .. ويصمت مايتك قليلا متذكرا وقائع التجربة التى مرت به .. ثم يتنهد قائلا « انما ايه ؟ .. تانى يوم كان حاجة صعبة خالص !! »

### آدم .. والبحث عن رصيف :

كان عالم المرافقين والمرافقات بالنسبة لنا مصدر امتاع كبير ، بنوادرهم وتباين طباعهم ، واختلاف قدراتهم على الترجمة .. المرافق هو الشخص الوحيد الذى تحتك به احتكاكا متواصلا طوال جولتنا فى كل دولة ، يتسلمنا من الحدود ، ويصل بنا الى الحدود . كان فيهم خفيف الظل الذى تستمتع بصحبته ، وكان فيهم « اللخمة » الذى يفرق فى شبر ماء .. كان فيهم « العشري » الالىف ، والمتحفظ الجامد الذى يؤدى واجبه بالكاد ، ويختفى عن انظارنا كلما أمكنه ذلك .

وايا كان المرافق .. من اولئك أو هؤلاء ، فقد كان

الشيء الوحيد المألوف لنا في زيارتنا لكل دولة . . عنصر  
اللفة الوحيد وسط هذه الغربية المتواصلة . ورغم انها  
كانت دائما الفة مؤقتة لا تستمر لاكثر من اسبوعين ؛  
الا انها كانت بالنسبة لنا شيئا كبيرا . كانت لحظات  
وداعهم ، لحظات سادقة ، حافلة بالتأثر العميق من  
الطرفين .

كنا ونحن في طريقنا الى دولة جديدة ، نتذكر دائما  
ما مر علينا من مرافقين ومرافقات ، ونعقد المقارنات ،  
ونستحضر المواقف المتميزة والنوادر الطريفة . . ونروح  
نتبأ بطبيعة المرافق الجديد الذي سيستقبلنا في الدولة  
التي نصل اليها . . كان هذا يبعث فينا نفس الاثارة التي  
يشعر بها من يمد يده الى صندوق البخت ، او الذي  
يمسك بكشف الأرقام الرابعة في اليانصيب ، باحثا عن  
رقم الورقة التي في يده الاخرى ! .

وعادة لم يكن الامر يقتصر على مرافق واحد او مرافقة  
واحدة ، بل كان هناك كبير مرافقين او كبيرة مرافقين ،  
ثم عدد من المرافقين والمرافقات ، بلغ في كثير من الاحيان  
خمسة . . ولم يكن في هذا مبالغة ما ، فعددتنا الكبير ،  
والخدمات المطلوبة سواء للمعيشة او العمل ، او حتى  
للعلاج ، كانت تشغل ايام هؤلاء المرافقين بعمل متواصل  
لا ينتهى .

وكان من الخطأ ان نحكم على شعب من الشعوب من  
واقع اخلاق وطبيعة تصرفات من يصحبنا من المرافقين  
او المرافقات . . فقد كان بينهم في البلد الواحد من التناقض  
ما يؤكد خطأ التعميم واستحالته .

في الاتحاد السوفيتى مثلا ، كانت هيئة المرافقين

تتكون من خمسة أشخاص ، أذكر منهم رئيس الهيئة  
العجوز العصبى الطيب القلب ، والذى وقف يسألنى ،  
على الحدود السوفيتية الرومانية بمدينة أونجين ، عن  
تذاكر السفر الخاصة بنا من الحدود وحتى موسكو ،  
وهل قمنا بحجزها ! فقلت له أن هذه هى مهمة إدارة  
« الجوسكونسيرت » التى تتولى استقبالنا ، وإن الاتفاق  
كان ينص على نقلنا من الحدود الرومانية وحتى الحدود  
البولندية بعد انتهاء العمل . وأصر الرجل بعصبية على  
ضرورة أن ندفع ثمن التذاكر ، فأخبرته أننا لا نمسك  
ما ندفعه ، وكان ذلك حقيقيا ، فلم أكن قد أخذت  
من وزارة الثقافة عندنا مليما واحدا للاتفاق على أى غرض  
طوال رحلتنا ، اعتمادا على أن كل دولة مسئولة عننا  
من حدود الدولة السابقة وحتى حدود الدولة التالية .

أخذت الدقائق تمضى ، والرجل العصبى العجوز يرغى  
ويزبد بانجليزيتته المتواضعة ، ويهدد بأننا سنبقى فى محطة  
الحدود « أونجين » يوما كاملا ، إذا مافاتنا قطار موسكو  
الذى يتحرك بعد دقائق ، قلت له تصرف .. اتصل  
بموسكو ، أو ادفع وحاسب سفارتنا .. المهم أن نتحرك  
.. وغاب عدة دقائق .. ثم أقبل الرجل الطيب مسرعا  
يلهث ويقول « اركبوا » ، والقطار يطلق صفارته أيدانا  
بالتحرك . وكان علينا فى أقل من دقيقتين ، أن نقذف  
بحقائبنا ، وبأنفسنا الى القطار الذى كان قد بدأ فعلا  
حركته .

رغم هذه البداية التى قد تبدو غير مشجعة ، فقد  
تكشف الرجل بعد ذلك ، طوال مدة إقامتنا فى الاتحاد

السوفيتي ، عن شخصية لطيفة ، وأصبحنا نعامله جميعا كوالد لنا .

كما ضمت هيئة المرافقين في الاتحاد السوفيتي النقيضين .. رانا .. وآدم ..

رانا تتكلم العربية الفصحى بطلاقة .. ذكية ، لامية ، نشيطة ، منظمة في عملها غاية التنظيم ، القلم والمفكرة في يدها دائما لتسجيل الاحتياجات والتأكد من تلبيتها ، دقيقة الجسم ، شرقية الملامح والقسمات ، من أصل أوزبكستاني ، ولكن يبدو أنها نشأت وتعلمت في موسكو . كانت رانا هي المنظمة الفعلية لتحركاتنا وشئون عملنا ، وكان العجوز العصبي الطيب يترك لها في أغلب الأحيان مهمة البت في الأمور واجراء الاتصالات .. وكانت دائما في مستوى المسئولية الملقاة على عاتقها .

أما آدم .. الطويل العريض ، بلونه الاسمر ، ولغته العربية الضعيفة ، وقلة حيلته في كل مايعرض له من أمور ، فقد كان النقيض المباشر لрана .. وعلى مر الايام ، أدرك أعضاء الفرقة قدرة كل منهما ، فكانت الاستفسارات والطلبات توجه دائما لрана ، مع حرص واضح على عدم الاعتماد على آدم ... أو الالتجاء الى المرافقين الآخرين ، رغم انهما لا يتكلمان العربية .

وكان يحدث أن ينصرف كل مرافق الى عمل ما ، ولا يبقى معنا سوى آدم .. وهنا كانت تظهر المشاكل ..

كنا في ريجا .. وأصيب الراقص جميل جابر بمسألة اقتضى نقله الى المستشفى ليلا .. وفي صباح اليوم التالي ، استأذن بعض أصدقائه في زيارته ، وكنت مع رانا في طريقنا لمقابلة أحد المسؤولين ، فوافقت على

الزيارة ، وطلبت منهم الاعتماد على آدم فى هذه المهمة ،  
مع امكان استعمال أحد الاتوبيسات المخصصة لنا .

وعندما عدت من المقابلة ، وجدت المجموعة التى ذهبت  
الى المستشفى فى صالون الفندق ، استفسرت منهم عن  
حالة جميل ، وموعد خروجه من المستشفى ، فضحكوا ،  
وتبرع من بينهم من شرح لى سر هذه الضحكات .

لقد اتصلوا بآدم فى حجرته ، واخبروه بمواقفتى على  
الزيارة ، فهبط اليهم ، وتوجهوا جميعا الى المستشفى ..  
وما أن وصلوا الى الباب الخارجى للمستشفى ، حتى  
أشار الى المبنى قائلا « هذه مستشفى » ، وعاد الى مكانه  
فى الاتوبيس .. فأفهموه أن وجوده معهم ضرورى ،  
للاستفهام عن مكان المريض ، وسؤال الطبيب عن حالته  
.. فمضى معهم غير مقتنع ، وراح يدخل فى عنبر ليخرج  
من الآخر ومن خلفه طابور الزوار من أصدقاء المريض ..  
وأخيرا توقف ليقول فى بساطة « انه جميل ليس موجودا ! »  
وعبثا حاول الاعضاء التفاهم معه .. وأخيرا لجأ واحد  
منهم الى طبيب يتكلم الانجليزية ، فاتصل الطبيب بإدارة  
المستشفى ليكتشف انه لا يوجد بهذا المستشفى مريض  
من الفرقة المصرية ، وتبرع بالاتصال بمستشفى آخر  
رجع ان المريض به ، فصدق ظنه ، وأخذ يشرح لآدم مكان  
المستشفى الجديد وكيفية الوصول اليه .. وبدأ آدم وقد  
فهم كلام الطبيب .. ثم تكشف الحقيقة عندما أخذ  
يلقى أوامره الى سائق الاتوبيس ، مرة الى اليمين  
وأخرى الى اليسار ، دون أن يتوصل الى مكان المستشفى  
.. وأخيرا ثار السائق ، وكانت ساعة الغذاء قد حلت ،  
فعاد الى الفندق .. وفى طريق العودة ، راح آدم يبرر

ما حدث قائلا « انتم طلبتم ذهاب الى مستشفى . . وانا لا اعرف الا هذا مستشفى . . فماذا افعل ؟؟ » .

الا ان تجربتي الشخصية مع آدم كانت اشد اغاظة ! تحركت الاتوبيسات من الفندق مساء الى محطة ريجنا ، لنسافر منها الى الحدود البولندية ، وقد بقيت بالفندق حتى يتحرك آخر اتوبيس ضمانا لركوب الجميع . . وشاء حظي العثر ، ان اجد السيد آدم يجلس على المقعد الاول من الاتوبيس ، ليقول في هدوء لا يعكس معنى الكلمات التي ينطقها « من الضروري ان تكون مسرعا . . فقطار يتحرك قريبا » .

وصلنا الى المحطة بعد وصول الفرقة بعدة دقائق . . . كأنه ا قد هبطوا من الاتوبيسات ، وتوجهوا الى الرصيف الخاص بقطارنا برفقة باقى المرافقين . . . قلت ونحن ندخل باب المحطة ذات الارصفة المتعددة المتداخلة " ان نذهب يا آدم ؟ " . . قال بحماس الزعم القائد . « اتبعونى » . . حملنا حقائبنا وتبعناه . . راح يعدو بخطواته الواسعة من رصيف الى رصيف ، وكلما وصل الى رصيف سأل احد الواقفين عدة أسئلة بالروسية ، ثم عاد ليقول لنا « ليس هذا رصيف المطلوب . . اتبعونى » . . ونروح نعدو من خلفه الى رصيف جديد ، لتتكرر نفس التمثيلية . أخيرا ، نفذ صبرى ، وانا أرى الدقائق تمر ، وموعد تحرك القطار أصبح وشيكا . . فأسرعت أمسك بطرف معطفه لاوقف عدوه العشوائى ، وانا أقول محتدا « يا سيد آدم . . هل تعرف مكان الرصيف المطلوب ؟ » سحب نفسه طويلا قبل ان يقول « انا لا اعرف ! . . » ، قلت له وقد تضاعف غيظى « اذا . . قف ، وانتظر حتى



أسأل « .. وأخذت أستفهم من بعض موظفي المحطة  
بالمفردات الروسية التي أعرفها عن طريق رصيف بولندا  
.. فحددوه لى بإشارة بسيطة .. ورحت أعدو ومن  
خلفى باقى أعضاء الفرقة فى اتجاه الرصيف المنشود ...  
وآدم يسير متباطئا فى نهاية الطابور ، وقد أحس أن  
مستوليته المرهقة قد انتهت !!

### مذبحة رأس السنة .. على الفاتورة :

وحياة المرافق حياة غريبة .. فهل يظل طوال العام  
يستقبل ويصاحب ويودع وفودا من جميع أنحاء العالم ،  
من إفريقيا وآسيا وأستراليا وأمريكا وأوروبا .. وفودا  
من كل صنف ونوع ، أطباء ، رجال سياسة ، علماء  
اجتماع ، رجال صناعة ، طلبة ، أعضاء مجالس نقابية ،  
رجال زراعة ، فرق فنية .. رقص وتمثيل وسرك وغناء  
.. عمال مناجم ، وملكات جمال .. شباب نشيط مشاغب  
وكهول يتحركون بحساب ..

والمرافقون أنفسهم ، البعض محترف ، تحس بالعمر  
الطويل الذى أمضاه فى هذا العمل ، من خبرته وقدرته  
على التنظيم .. ومن ظلال السأم التى تلف نشاطه  
اليومى ، والبعض الآخر مستجد تبهره الوظيفة بما تتبع  
من تنقل دائم فى أنحاء البلاد ، فنادق الدرجة الاولى ،  
مقابلة كبار المسئولين مع الوفود الزائرة ... نسساء  
مسنيات ، تحس أن وراء كل واحدة منهن قصة طويلة  
أوصلتها الى هذا العمل .. فتيات نزقات يبحثن مع كل  
وفد قادم عن فتى الاحلام الذى سيطير بهن الى الجنة

الموعدة . البعض محترف ينظم حياته على أساس استدار أكبر مكسب من هذه الوظيفة ، والاستمتاع بكافة المزايا التي تتيحها حتى الثمالة . . والبعض الآخر ، طلبة جامعات ، تضطربهم ظروفهم العائلية الى الاعتماد على هذا العمل المؤقت لمواجهة نفقات الحياة ، ينظرون الى كل وفد قادم ، باعتباره مصدر دراسة جديدة تتكامل بها دراستهم الاصلية في الجامعة . . ثم مرتزقة من جميع الجنسيات ، كل مؤهلاتهم معرفتهم باللغة المحلية بالاضافة الى لغة الوفد الزائر .

ولا انسى المرافق العراقي الذي لازمني في برلين ، في فترة مناقشة برنامج العمل مع المسؤولين الالمان . .

كنا قد وصلنا الى برلين ، انا وبعض مسئولى الفرقة ، قادمين من سفيكاو ، لمناقشة خط سير العمل الفسريب الذي وضعوه لنا . . وعرفت ان السر في هذا ، هو تخلفنا في تحديد موعد زيارتنا تحديدا قاطعا ، مما جعل الجهات المسئولة تبحث في برنامج عمل المسارح لتحشرونا يوما في الجنوب ويوما في الشمال . . فكل مسرح في المانيا الديمقراطية - وفي أوروبا بشكل عام - توضع له خطة عمله السنوية بالتفصيل في بداية العام ، او قبل بدايته لفترة كافية علم الاصح ، وخريطة العمل تتضمن نشاط الفرق المحلية والزائرة . . لهذا كانت مهمة المشرفين على رحلتنا شاقة في البحث عن ثغرات في هذه الخطة يمكن ان ندخل عروضها منها . . ولهذا ظهر خط سير عملنا مرتبكا من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب ثم الى الشرق من جديد . وفي محاولة لاتقاذ مايمكن انقاذه ، سافرت مع قيادات الفرقة الى برلين خلال عطلة عيد

الميلاد ورأس السنة ، وعقدنا عدة اجتماعات لمناقشة بعض التعديلات التي تختصر رحلات السفر الطويلة التي يملها البرنامج الموضوع .

قلت .. اصطحبني في هذه المقابلات مرافق عراقي يقارب الخمسين من عمره ، يدرس الموسيقى في برلين .. وكان « ح » ، ولنتفق على أن هذا هو اسمه ، منقلت العيار ، تزوغ عينه بسرعة على متع الحياة .. يحب الرقص والنساء والاكل والشرب ، أكثر من حبه للموسيقى التي يدرسها ، أو وظيفة المرافق التي ينتحلها ..

كنا ننزل بفندق « أوتري دير ليندن » ، وهو نفس اسم الشارع الذي تقع فيه ، ومعناها « تحت الزيزفون » .. كانت اجتماعاتنا مع المسؤولين الالمان تتم في أحد صالونات الفندق ، أو على مائدة أحد المسؤولين ، فالفترة كلها عطلات رسمية ، والمكاتب مغلقة في اجازة طويلة ... طوال مناقشات العمل كان السؤال الذي يلح علم خاطر اخينا « ح » ، هو كيف وأين سنحتفل بالعام الجديد ؟.

قلت ، حتى أنهى استفساراته المتوالية « سنترك لك ترتيب هذا الموضوع » .. وكأنه تلقى إشارة البدء في سباق الماراتون .. مضى الاستاذ « ح » مسرعا يجري اتصالاته لترتيب السهرة الموعودة . واسترحت مسن تساؤلاته ، انه أن أقبل علينا في اليوم التالي ، وقد بدت عليه علامات الاحباط وانكسار النفس ! .

— ايه الحكاية يا اخ « ح » ؟ .

— شي فظاعة .. شي فظاعة .. ماكو مكان خالي ..  
ماكو فد مكان خالي !! .

وفهمنا من لهجته العراقية انه لم يوفق الى مكان مناسب لقضاء السهرة .. الاستاذ « ح » كان يمنى النفس بسهرة صاخبة في أحد أماكن اللهو العديدة المنتشرة في المدينة .. الا أن جهده المتأخر في الحجز ، لم يسمح له بالعثور على مكان واحد .. حتى في السهرة الضيقة التي يقيمها الفندق الذي نقيم فيه .

— وبعد يا أخ « ح » ؟

— أكو فد مكان في يوهانسوف .

وبعد الاستفسارات فهمنا انه يوجد مكان لنا لتمضية سهرة رأس السنة في مطعم فندق آخر ، هو فندق يوهانسوف . وكانت المفاجأة الكبرى له أولا .. ولنا ثانيا ، عندما وصلنا الى المطعم الصغير الذي سيتم فيه الاحتفال .. الاضاءة خافتة .. وجهاز راديو ضخم يذيع الاغاني الشعبية الالمانية القديمة .. والجمهور ... أي جمهور؟! . مجموعات من العجائز والكهول ، أكثرهم شبابا تجاوز الستين ..

أخذنا أماكننا حول المائدة المحجوزة ونحن نخفي ابتسامات الشماتة في أعيننا « ح » ... الذي اكفهر وجهه لدى اكتشافه لطبيعة الجمهور . ورحنا نتبادل الأحاديث همسا ، احتراما للجو العام بالمطعم .. وكمال نعيم يميل من حين لآخر على أذن « ح » مؤنبا لثما .. والمسكين لا يحير جوابا ..

وأخيرا .. التمعت عيناه ، ودب النشاط في كيانه .. وأشار الى المتردي أوتيل .. وقال ضاحكا ، ينفذ عن نفسه شعور الكتابة الذي تسيل اليه ، لا يهم ، نأكل ونشرب ! .

وكانت كلماته هذه اشارة البداية أو ساعة الصفر  
لمعركة صاخبة نشيطة ، امتلأت بعدها مائدتنا بالشراب  
والطعام .. واستأذنا « ح » يميل بين لحظة وأخرى  
على قائمة الاطعمة ، ليختار أغلى الاصناف وأعلاها  
سعرا .. ليس مهما طبيعة الطلب .. المهم أن يكون  
غاليا ..

أكلنا وشربنا وشبعنا .. واستأذنا « ح » مازال يواصل  
طلباته التى لا تنتهى .. أحسست أنه قد جاوز الحد ..  
فالدعوة موجهة إلينا من وزارة الثقافة ، وهذه الطلبات  
ستتحول فى النهاية الى فاتورة .. نحن حقيقة فى احتفال  
خاص برأس السنة ، لكن الاحتفال شيء ، والانتقام  
شيء آخر ! .. أفهمته أننا قد شبعنا فلا داعى لاية طلبات  
جديدة .. بل وفكرنا فى مغادرة المطعم وانهاء السهرة ..  
الا أن أخونا « ح » كان قد استعاد شبابه بعد كؤوس  
الويسكى العديدة التى ابتلعها ، ورفض بحسم مثل هذا  
الاقتراح ، وبدأ على الفور يتلفت حوله ، ثم قام ففسر  
محطة الاذاعة ، واختار أخرى تذيع الحانا راقصة ، وتوجه  
فى نشاط وخيلاء ، الى أصغر العجائز ، يطلبها للرقص  
.. وكأنما قد مس صاحبنا الجميع بعصا حيويته السحرية  
فتحرك الكهول والعجائز جميعا ، وأزاحوا الموائد جانبا ،  
مفسحين فى وسط المطعم مكانا للرقص .. وجلسنا نحن  
حول مائدتنا ، نستمد استمتاعنا من استمتاعه وهو  
يصول ويجول بينهم كفارس الفرسان .

**هانا .. ماياكوهانا :**

لم أنتبه لوجودها ، الا بعد عدة أيام من وصولنا الى  
بولندا . كنت أتعامل مع كبيرة المرافقين ، ومندوبة وزارة

الثقافة البولندية ، وكنت أعرفها منذ الرحلة السابقة إلى بولندا مع مسرح القاهرة للعرائس .. كما كان هناك فرانك مساعدتها الذى يتكلم العربية ، ويتولى عندها متابعة العمل ومصاحبة الفرقة فى تحضير العروض . لم أنتبه لوجود « هانا » طوال وجودنا فى جديانسك . وفى الاتوبينس الذى سافرنا به من جديانسك الى فروتسلاف تنبّهت لوجودها .. بجسمها الدقيق النحيل ، ووجهها المريح رغم افتقاده لمواصفات الجمال التقليدية ، وشعرها الصبباني المقصوص .. وبحركتها النشيطة المتوثبة ، وحيويتها ، ومحاولاتها الظريفة للتحدث بعربية فصحي متقعرة ! .. كانت نموذجا للولد الشقى .

سألها السؤال التقليدى .. أين تعلمت اللغة العربية ؟ .. وعرفت من أجابتها ، أنها مرافقة مؤقتة ، تقوم بهذا العمل للحصول على دخل اضافى يساعدها فى دراستها الجامعية للحصول على الدكتوراه من جامعة وارسو .. كانت طالبة بقسم اللغات الشرقية ، ودرست اللغة العربية ولهجتها العامية .. ودرست الى جانبها الفارسية والتركية .. ذلك بالاضافة الى دراستها للغات الانجليزية والفرنسية والالمانية والروسية واللاتينية .. وكانت اللغة العربية مادة تخصصها .

وكانت المفاجأة : انها انتهت لتوها من مناقشة رسالة الماجستير وموضوعها « واقعية مسرح نعمسان عاشور الاجتماعى » ! .. هكذا فى اقصى شمال اوروبا ، ووسط الجليد المتساقط بغزارة ، تجلس هذه الفتاة الرقيقة الدقيقة ، وداخل رأسها مادة ماجستير عن مسرح نعمان عاشور .

قلت لها « وكيف وقع اختيارك على نعمان عاشور .. لماذا نعمان بالذات ؟ » .

قالت « بالصدفة .. استاذى في قسم اللغويات الشرقية ، بروفيسر بيلايفسكى ، كان قد زار القاهرة ، وتعرف على الحركة الادبية المعاصرة ، وقابل نعمان عاشور ، وحضر عروض بعض مسرحياته ، فأعجب بها ، وبمضمونها الاجتماعى ، ونصحنى بأن أخصص فى مسرح نعمان عاشور .. »

قلت « وهل توجد فى جامعتكم المراجع الكافية التى تتناول حركتنا الادبية المعاصرة ، والتى تساعد فى اعداد وتحضير هذه الرسالة ؟ » . قالت « أبدا .. وحتى الرسائل السابقة ، كان معظمها حول التاريخ القديم للادب العربى .. عن أبى نواس أو المتنبى .. وفى أحسن الاحوال عن أبى شادى .. لقد درست النصوص المسرحية التى كتبها نعمان عاشور ، كما درست حياته ونشاطه الادبى فى غير مجال المسرح .. ومن خلال بعض الدراسات الاخرى بالعربية عن الثقافة المصرية المعاصرة ، استطعت ان أعد رسالتى » .

قلت « هل تعلمين أن نعمان من أعز أصدقائى .. وانا عملنا معا لعدة سنوات فى جريدة الجمهورية .. وقد عايشنا خلق وتجسيد الكثير من أعماله المسرحية » .

صفقت ابتهاجا بهذا الاكتشاف ، وطلبت منى أن أسمع لها بساعة من وقتى لمناقشة موضوع دراسة الادب المعاصر فى مصر ، ومعرفة المزيد من المعلومات عن نعمان عاشور . وقد امتدت هذه الساعة الى عدة ساعات ،

كلما انتهت هانا من مشاغلها ، اسرعت الى وفي يدها  
المفكرة والقلم ، وعلى لسانها العديد من الاسئلة الجاهزة ،  
« وماذا عن الفريد فرج ؟ .. وهل أنجز عبد الرحمن  
الشرقاوى عملا جديدا ؟ ... ثم حدثنى عن نجيب  
محفوظ .. » .

وعلى مر الايام أصبحت هانا صديقة للجميع ، تسلت  
الى جميع القلوب بفطرتها وبساطتها وروحها المرحية ،  
وحضور بديتها .. ولا اذكر انها اكملت وجبة واحدة  
طوال فترة تجوالنا فى بولندا .. كانت تجلس على مائدتى  
دائما .. ولكنها كانت تختفى دائما وسط الوجبة ، وربما  
فى بدايتها ، لتلبى رغبة هنا ورغبة هناك .. وكم حاولت  
ان اثنىها عن هذا النشاط الذى يخطىء توقيتته السليم ..  
وكم سعيت الى اقناعها بأهمية تناول الوجبات كاملة ،  
لمواجهة الجهد الشاق الذى تبذله ، مما لا يتفق مع بنيتها  
الدقيقة .. ولكنها كانت تتخلص من نصائحي بلطف ،  
قائلة فى حركة تمثيلية « تمام .. يا افندى باشا .. ! »  
.. او « اوامر افندى باشا على الرأس والعين » ، ثم  
تنطلق الى العمل الذى تسعى الى انجازه .

واذا كانت هانا قد انعمت على بلقب « افندى باشا » ،  
فهى لم تحرم الكثير من اعضاء الفرقة من هذه الانعامات ..  
وتوالت القابها .. هذه لقبها « المعزة » ، وتنطقها « المئزة »  
... وهذا لقبه المفضل « الشيطان » .. وثالث طويل  
عريض أصبح لقبه « الباب » .. وهكذا . وفى مقابله  
هذا اتفق الجميع على منح هانا لقب « ماياكوهانا » ..  
وهى عبارة بولندية تعنى بالعربية « يا حبيبتى » .. ويوما  
بعد يوم نسي الجميع معنى هذا اللقب ، وأصبح اسمها



« هانا ماياكوهانا » .. وكنت تجد من أعضاء الفرقة من يخاطبها ويناديها بهذا اللقب أمام بعض الرسميين البولنديين ، فيحمر وجه هانا ، وترتبك .. وينتهى الموقف يشرح قصة لقبها .

وعلى مائدة الغذاء ، تقف هانا ، وترفع بيدها كوبا نرجاجيا ، وباليد الاخرى شوكة ، وتقرعهما ، فتحدث رنينا متصلا حتى يصمت الجميع .. وتقول « ياكل من أهل رقص .. قلنا الف مرة ، هذه القاب خصوصية .. لا يصح الكلام بها أمام الشخصيات الرسمية .. وهذا آخر انذار !! » ، وتضع كلماتها وسط ضحكات الجميع .

لقد اكتسبت هانا مكانة كبيرة في قلوبنا ، وكان وداعها لنا قاسيا على الجميع .

### أبو موسى .. و « كيف مايدك » :

كان وصولنا الى تشيكوسلوفاكيا في فترة حرجة من حياتها السياسية ، وكان الجيش السوفيتي مازال مقيما بالبلاد ، والشباب « بلاخ » ، الذي أحرق نفسه احتجاجا على تدخل الجيش السوفيتي ، يلهب مشاعر الشباب . كان وصولنا الى براغ في اليوم التالي لهذا الحادث .. الرابات السوداء تمتد بطول المباني ، وتحتل مساحات واسعة من واجهاتها ، وصورة « بلاخ » بالورود مسن حولها : في واجهات المحال التجارية .. الميدان الكبير في براغ « فاتسلافسكى ناميستي » يعج بالآلاف الشباب ، وقد تجمهروا حول التمثال الضخم في صدر الميدان ،

وثبتوا عليه الشموع المضيئة في كل مكان ، من قاعدته الى قمته . . وأمام التمثال ، وقف فتى وفتاة يحمل كل منهما العلم التشيكوسلوفاكي في ورديات متتابعة طوال الليل والنهار .

كان عملنا في تشيكوسلوفاكيا مثار اشكالات لا تنتهى حتى قبل وصولنا اليها . . فوزارة الثقافة التشيكوسلوفاكية وقد سادها في هذه الفترة الجناح اليهودي بميوله الصهيونية ، يريد ان يلغى الزيارة التى كان قد سبق الاتفاق عليها ، وعلى احسن الاحوال كان يطمع فى ضغطها الى ثلاثة ايام نقدم فيها حفلة واحدة فقط . . وسفارتنا فى براغ تمسك تمسكا شديدا بتنفيذ الخطة السابق الاتفاق عليها . . وبرقيات وزارة الثقافة التشيكوسلوفاكية وسفارتنا فى براغ تتسوالى علينا فى المانيا ، حاملة التعليمات المتناقضة . . واخيرا وصلتني برقية من القاهرة تفيد ان زيارتنا ستستمر لمدة خمسة ايام ، وان الجيش التشيكوسلوفاكي سسيتولى الاشراف على الزيارة والحفلات .

وبالفعل ، قدمنا حفلة واحدة فى مسرح الجيش ببراغ . . ثم حفلتين فى مراكز تجمع للجيش قريبة من براغ . واحدة فى ميلنيك والاخرى فى بشيرام . . وعينوا لنا « ابو موسى » مرافقا . .

و « ابو موسى » هذا شخصية طريفة للغاية . . تجاوز الخمسين من عمره ، نحيف ، عصبى ، مازالت لهجته العربية الفلسطينية تكشف عن مسقط رأسه . . كان قد مضى على هجرته من فلسطين الى تشيكوسلوفاكيا اكثر من

عشرين سنة . . تزوج من تشيكوسلوفاكية ، وأنجب منها  
واصبح مواطنا تشيكوسلوفاكيا . عمل في عدة أعمال . .  
واستقر به المطاف في نهاية الامر موظفا في مكتب الاتحاد  
العالمي للصحافة ببراغ .

وقد استطاع « أبو موسى » أن يخفف كثيرا من وحشتنا  
وسط الجو السائد في براغ ذلك الحين ، وجاهد لكي  
تكون اقامتنا مريحة بقدر الامكان ، رغم موقف وزارة  
الثقافة والجو السائد في البلاد ، نركب الاتوبيس المتجه  
بنا من الفندق الى المسرح ، فيصر أبو موسى على أن يؤدي  
دور الترجمان « هادا الشارع يوصل ع فيينا . . وهوناك  
مصنع أخشاب . . وع يمينك المقبرة أو المحرقة ، هون  
ع كيفك . . كيف مابذك . . بذك تندفن بتندفن سليم ،  
بذك تنحرق ، بحرقوك ويحطوا رمادك بالقبر » . . وتصيح  
احدى الفتيات منزعة « فال الله ولا فالك ياشيخ . .  
ايه الكلام البايخ ده ؟ » ، ويضج الجميع بالضحك . . .  
وأبو موسى في حيرة يحاول أن يفهم سر هذه الضجة .

وتتكرر المطبات التي يقع فيها أبو موسى بفضل لهجته  
الفلسطينية . . سعاد تحاول أن تهبط من الاتوبيس ولم  
يتوقف تماما ، فيصيح أبو موسى بغضب « ديرى بالك  
يامره . . وين بذك تروحي . . » ، وتنفجر أزمة جديدة في  
وجه « أبو موسى » . . كيف يخاطب فتاه في الفرقة قائلا  
« يامره » . . فيسأل صادقا و « شو بدى أقول ؟ » ؛  
وأحاول أن أتدخل شارحا حسن مقصد « أبو موسى » وأن  
كلمة « مره » في اللهجة الفلسطينية الدارجة لا تحمل أية  
اهانة . . ويتدخل أبو موسى محتدا « ولك شو الخطأ ؟

انا ايش بقول لام موسى ؟ .. يا ميره .. بدها تفضب  
منى ؟! » .

فى اوقات الفراغ كنت اقول لابى موسى اننى حزين  
على براغ ، بهذا السواد الذى يلفها ، والقلق الذى يعيشه  
اهلها .. فانا احب براغ حبا خاصا ، وهذه هى زيارتى  
السادسة لها ، اذكرها فى صيفها الحار وشتائها البارد ،  
ولا احب ان اذكرها فى جو الكآبة الذى تعيشه حاليا ..  
فيهز ابو موسى رأسه ، ويتكلم بلهجة العليم ببواطسن  
الامور « الله يخرّب بيتهم لليهود .. مافى مكان بيدحشوا  
حالهم فيه ، الا وتكثر المصايب » ويقول ابو موسى ان اليهود  
قد تغفلوا طوال السنوات الماضية فى جميع أجهزة الثقافة  
والاعلام والجامعات ، وان كانوا لا يتولون ابدا قيادة جهاز  
من الاجهزة .. كانوا دائما يكمنون فى المستوى الثانى او  
الثالث بكل جهاز .. لكنهم متواجدون دائما ، يشكلون  
طبقة عازلة بين قيادات الاجهزة وباقى جسمها .. وانهم  
وراء ما يحدث الآن فى تشيكوسلوفاكيا ، بعد تنسيق امورهم  
مع بعض الدول الغربية .. وانهم استطاعوا من واقعهم  
الكامنة ان يضلوا الكثير من الشباب وان يقودوا المظاهرات  
التي نراها الآن .. وان قصة الشاب « بلاخ » الذى حرق  
نفسه ، تحوطها الكثير من الشكوك والريب ، وان خيوط  
التآمر فى هذه القصة بدأت تتضح .. فهناك مستندات  
موجودة تفيد ان الشاب كان على صلة بجماعة متواطئة مع  
دولة رأسمالية ، وانهم دفعوه الى حرق نفسه بعد ان  
اوهموه انهم قد وضعوا على ملابسه مادة تمنع من  
وصول النار الى جسمه ، وانهم سيتداركوه بمجرد ان  
تؤدى هذه الحركة مفعولها الدعائى المطلوب .. ويمضى

أبو موسى قائلا ، ان الشاب صدقهم ، ولكن ما ان وصلت النار الى جسده ، حتى أخذ يجرى يمينا ويسارا طالبا النجدة .. ثم يتساءل أبو موسى محتدا .. بماذا تفسر وجود أجهزة الاذاعة والتليفزيون في حالة استعداد كامل قبل الحادث ، تنتظر في شارع جانبي يوصل الى الميدان ؟ .. بماذا تفسر وجود هذا الحشد الضخم من المراسلين الاجانب وبخاصة مراسلي الوكالات الغربية ، في مكان الحادث وقبل وقوعه في حالة تأهب كامل ؟ .. صدقني انها مؤامرة دعائية محكمة ، وقع الشاب المسكين في براثنها .

### مرافقون من عندنا .. بلا عمل :

الى جانب المرافقين الذين كانت الدول المضيفة تختارهم لمساعدتنا ، كان هناك مرافق مصري توقفه ادارة التبادل الثقافي عندنا ، بصاحبنا في زيارتنا لكل دولة من الدول .. وقد حاولت اول الامر أن أعتمد على هؤلاء المبعوثين في انجاز بعض الاعمال التي تتصل بنشاطنا ، الا أنني اكتشفت منذ البداية عدم رغبتهم في المشاركة ، وأيقنت ان ايفادهم كان كنوع من المكافأة لهم على عملهم بالادارة ، وعلى سبيل « الفسحة » .. بل اكتشفت ان وجودهم يضيف الى أعبائي أعباء جديدة ، تتصل بتلبية رغباتهم ، وافراد مرافق لكل واحد منهم ، يسهل انجاز المشتريات التي سبق اعداد كشوفها بالقاهرة !! . ولا تغيب عن ذاكرتي مواقف أحد هؤلاء المرافقين

المحليين ، وقد كان يفادر مصر لأول مرة في حياته . . .  
تعليقاته الساخرة على كل ما يقدم له من طعام أو شراب . .  
لا يكتفى بأن يرددها بينه وبين نفسه ، ولكن يحرص على  
اشاعتها بين أعضاء الفرقة « ايه ده ؟ رز ده ؟ .. وماله  
معجن كده .. فين الرز المفلفل بتاع مصر ؟ » ، ثم « ومال  
اكلهم ماسخ كده ؟ .. صحيح من خرج من داره اتقل  
مقداره » ، الى آخر هذه التعليقات . واذكر اننا كنا  
قد قطعنا رحلة طويلة بالاتوبيس ، بداناها في الصباح  
الباكر ، وقبل ان نتناول افطارنا ، اكتفاء بالسندوتشات  
التي وزعت علينا في الاتوبيس . . ووصلنا وجهتنا بعد  
موعد الغذاء ، فاتجهنا مباشرة الى المطعم ، وقبل ان  
نشرع في توزيع الاعضاء على حجرات الفندق ، على اساس  
ان أنتهى من هذا العمل اثناء تناولهم لطعام الغذاء . .  
جلست في بهو الفندق مع كبير المرافقين ومندوب الفندق  
ننجز هذه المهمة ، ففوجئت بالمرافق « اياه » ، يقبل  
ناحيتى وعلى وجهه غضب الدنيا والآخرة ، يداه ترتعشان  
وهو يقول « دى مش عيشه .. عمال اطلب منهم فنجان  
قهوة في المطعم يقولوا مش فاضيين .. انا ماشربتش قهوة  
من الصبح .. انا مش متعود على كده .. » ، وقد دعر  
كبير المرافقين ، وسألنى عن السبب فى الحالة التي يعلن  
منها مندوب وزارة الثقافة ، فأخبرته بطلب الاستاذ ،  
وعلى الفور انطلق الى المطبخ محاولا اقناعهم بتفرغ احد  
الطهاة لاعداد القهوة المطلوبة ، وسط « هيصه » تقديم  
الغذاء لاعضاء الفرقة .

استاذ آخر ، كان قد اوفد خصيصا لعلاج نظره ،  
وكان واجبى ان ادبر له مسألة العلاج هذه حتى يدخل

المستشفى .. وأستاذ ثالث ، رأيناه عند قدومه ، ثم فى حفل السفارة عند سفرنا ! .

وسيدة وصلتنا فى إحدى الدول ، ولاداعى للذكر  
الاسماء ، كان همها أن تنفرد بمعاملة خاصة ، بحيث  
تتقاضى من الجهات المختصة بدل غداء لمواجهة كشف  
المشتريات الطويل الذى تحمله ، وعندما تنجح فى هذا ،  
تواظب على تناول الوجبات معنا بهدف مزيد من التوفير  
.. وقد فوجئت يوما بكبير المراقبين فى هذه الدولة يقول  
عند مفادرتنا إحدى المدن الى مدينة تالية ، ان ادارة  
الفندق قد أخطرتة بأن إحدى الفتيات قد ذهبت الى  
« كوافير » الفندق ، ولم تسدد فاتورة تصفيف الشعر ،  
وطلبت اضافتها الى مصاريف الإقامة .. وقد أغاظتنى  
هذه الواقعة .. « كوافير آيه ؟ .. وليه ؟ » ، فبرنامج  
العمل المتصل لا يسمح لاي فتاة أن تذهب الى الكوافير  
لتصفيف شعرها ، وأغلب الرقصات تتطلب أغطية للرأس  
تهدم أحسن تسريحة ! .. وأخذت أستفسر عن صاحبة  
هذه القلطة .. حتى اكتشفت أنها الاستاذة التى أوفدتها  
ادارة التبادل الثقافى .. ووجدتنى أصر على أن تدفع  
المبلغ المطلوب .. وأحس كبير المراقبين أن المسألة  
ستدخل فى دور أزمة ، فعرض اضافة الفاتورة على  
حساب الضيافة ، إلا اننى صممت على أن تدفع السيدة  
.. فثارت وألقت بالمبلغ المطلوب على المائدة وهى تقول  
« أنا أعمل آيه .. جورج هو الذى فهمنى انى ممكن أعمل  
شعري على حساب اللوكاندة » ، وسألت جورج هذا  
وهو أحد المراقبين .. فقال انها طلبت منه أن يدلها على

مكان كوافير فى المدينة ، فأخبرها بوجود كوافير بالفندق وقادها الى مكانه . . وانصرف .

وبين هؤلاء جميعا ، الوحيدة التى حرصت كل الحرص على أن يكون وجودها مفيدا ، بقدر ماسمحت لهـنـا الظروف ، كانت السيدة كريمة الجوهري التى رافقتنا فى بولندا . . فاكسبت سلوكها احترام ومحبة الجميع .

### فرانك . . ومغامرته الفاشلة :

فى بولندا التقينا أيضا بالمرافق « فرانك » الذى يتكلم العربية . وكان فرانك سببا فى حدث لا يمكن أن أنساه وسط أحداث الرحلة المتشابكة .

كنا قد وصلنا الى وارسو فى نهاية زيارتنا لبولندا . . وكان يومنا الاول فى وارسو . . عندما أقبل فرانك ، وعلى وجهه تعبير جاد متزمت ، قال « أيها السيد المدير . . أريد أن أتحدث معك حديثا خاصا وهاما » ، فأفسحت له مكانا الى جانبى ، وقد كنت اجلس مع بعض أعضاء الفرقة ، إلا أن فرانك قال ومازال واقفا « أريدكم على انفراد ، لحديث خاص » .

نهضت ، فاتجه بى الى المطعم الذى كان تخاليا فى ذلك الوقت من النهار ، وجلسنا الى احدى الموائد ، منتظرا أن يبدأ فرانك حديثه ، إلا أنه أخذ يعبث بالشوك والملاعق والسكاكين وباقى أدوات المائدة التى امامه فى عصبية واضحة ، ودون أن ينطق أحسست بطلائع أزمة فى الطريقة . . فقلت قلعا « خيرا ؟ » .

اخيرا ، رفع فرانك رأسه ، فتلاقت أعيننا ، وبدأ



حديثاً طويلاً عن الشباب ونزوات الشباب الطبيعية التي يعرفها جيداً لقرب عهده بها ، وعن أن خطأ الاقلية لا يمكن أن يدين الاغلبية ، وعن أهمية الحلم مع الحزم في معاملة الناس . . محاضرة طويلة ، ذات طابع تجريدي لكنها تنبئ بعاصفة مقبلة . . فقاطعت فرائك قائلاً « ياسيد فرائك ، ادخل الى الموضوع مباشرة . . . أرجوك » .

فرك فرائك يديه ، واعتدل في جلسته ، ثم أخذ نفساً طويلاً ، وقال أخيراً فيما يشبه طلقات المدفع الرشاش « سيدى أنت تعلم أنه بحكم معرفتى باللغة العربية ، قد كلفت بمراقبة الراغبين في زيارة الطبيب يومياً . . واليوم طلب منى أحد الاعضاء دواء معيناً . . وعندما ذهبت الى الطبيب أطلب الترخيض بصرف الدواء ، اذ أنه لايمكننا هنا صرف أى دواء من الصيدلية الا باذن خاص من الطبيب . . أقول عندما قدمت اسم الدواء الى الطبيب ، رفض صرفه ، وطلب حضور الشخص الذى طلب هذا الدواء بصفة عاجلة للكشف عليه . . فوجدت أن من واجبى أن أخطرک بهذا . . » .

قلت : « ليس فى هذا أية مشكلة . . الطبيب يطلب رؤية المريض . . فما المانع ؟ . . هل تعرف الشخص الذى طلب الدواء ؟ »

قال بحسم « أعرف شكله . . ولا أعرف اسمه » . قلت « المسألة محلولة اذا . . اذهب اليه واصطحبه حالا الى الطبيب » ، قلبتها مبتسماً فأحس أننى لم أفهم الموضوع تماماً . . فعاد ليقول « يا استاذى ، يبدو أنك

لم تفهم المطلوب تماما ، لقد قال الطبيب ان هذا الشخص يطلب دواء للمصابين بأحد الامراض التناسلية المعدية .. والقانون هنا في بولندا ، يعاقب المريض بهذا المرض اذا لم يتوجه الى الطبيب فور شعوره بالمرض .. وهذا الشخص اعطاني علبة دواء فارغة ، مما يؤكد أنه قد سبق له تعاطي الدواء .. وهذا يعنى بالتبعية أنه يعسرف باصابته منذ مدة طويلة ... وفى هذا مسئولية قانونية » .

هنا .. اتضحتم اركان المأساة .. فهالنى الوضع .. واحسست بالدماء تتصاعد الى راسى ، وبأعضائى جميعا ترتجف من الغضب .. ويبدو أن اثر الحالة على مظهرى كان حادا مما جعل فرائك يقول بعطف « يا استاذى لا تنزعج .. هذه مسألة بسيطة .. كل يوم يقع فيها عدد من الشباب البولندى .. ولكننى احببت أن اخطرك حتى تتصرف بهدوء ودون ضجة » .

جاء دورى لاصمت .. فنكست راسى ، واخذت أفكر فى عواقب هذا الموقف .. هنا فى وارسو ، وهناك فى القاهرة .. حادث سخيف مثل هذا يؤثر على سمعة الفرقة ، ويعطى انعكاسا خاطئا عن مجرى الامور فى الرحلة ، ويسئ الى بنات وابناء العائلات الذين تضمهم الفرقة .

وأراد فرائك ان يقطع هذا الصمت الطويل ، فقال « كذلك ، لابد أن يعطينا الشاب اسم وعنوان المرأة التى كان معها .. الشرطة لابد ستطلب هذا .. » .

قلت لفرائك « أولا .. أريد ان تحدد لى اسم هذا الشخص .. وأن تحتفظ بهذا الموضوع سرا بيننا ، حتى

استطيع أن أتصرف بروية . . . » فتحمس فرانك وقال  
« سأعطيك اسمه على مائدة الغذاء . . بعد أن أراه  
وأسأل بعض أعضاء الفرقة عن اسمه » .

قال فرانك « ألا تأتي معي الى الصالون » ، قلت :  
« اتركني هنا قليلا . . » . وبقيت في مكاني لزمي لا أعرف  
مداه ، اقلب الامر على كافة وجوهه . . يا للمصيبة . .  
كيف حدث هذا ؟ ومن هو صاحب هذه الفضيحة ؟ . .  
أرجو ألا يكون من بين الراقصين . . فمسلايس الرقص  
تتكدر فوق بعضها البعض بعد نهاية العرض ، واحتمال  
انتقال العدوى الى الآخرين كبير .

بعد ان هدأت حالتى بعض الشيء ، تحاملت على نفسى  
وتوجهت الى حجرتى ، حيث ارتيميت بمسلايس على  
السريـر ، وقد أحسست أن الجانب الايسر من جسمنى  
على امتداده ، من الرأس الى القدم يتخدر ويرتعش . .  
حضر الفنان جمال كامل ، الذى كان نزاملنى فى الحجرة ،  
ورأتى على هذه الحالة ، فانزعج ، وأسرع يحضر لى بعض  
الحبوب المهدئة للاعصاب .

سألنى . . فوجدتنى أحكى له القصة كاملة . استرحت  
بعض الشيء ، وانتقل قلقي اليه ، فقال « وماذا ستفعل ؟ »  
قلت بلا تردد « سأسلمه للمستشفى والشرطة ، وبعدها  
للسفارة حتى يتم ترحيله الى القاهرة فورا . . هذه  
مسألة لا يجوز فيها التهاون » .

قال « وماذا يقول المسئولون بالقاهرة ؟ »

قلت « فليقولوا ما يشاءون . . المسألة الآن تتعلق  
بسلامة عشرات من الفتيات والفتيان من أبناء وطنى ،

لا يمكن أن اجازف تحت اى اعتبار بأن يهدد سلامتهم وجود مثل هذا العنصر الفاسد .

عندما حل موعد الغداء ، هبطت الى المطعم ، الملم اطراف ثباتى ، واحاول أن ابدو متماسكا . . جلست فى مكانى المعتاد ، توضع أمامى الاطباق وترفع دون أن أمسها . . وبعد قليل ظهر فرانك عند مدخل المطعم ، وأشار الى براسه ، فذهبت اليه . . وكما يحدث فى القصص البوليسية ، سار الى جانبى فى الممر دون أن يتكلم ، ثم مد يده الى يدي ، ووضع فيها قصاصة صغيرة من الورق ، وعاد ثابته الى المطعم .

وعند استقبال الفندق ، فتحت الورقة لاجد بها مفاجأة ، لا تقل فى غرابتها عن المفاجأة السابقة . . ورقة صغيرة مكتوب عليها بالقلم الرصاص ، وبحروف عربية ركيكة « محمد عبد الله » !!

محمد عبد الله . . لا يمكن ! . . واعدت قراءة الاسم ، فربما أكون قد أخطأت . ومحمد عبد الله ، هو المدير الإدارى للفرقة . . شخص عاقل لا يمكن أن يصدر عنه هذا التصرف . . لابد أن فى الأمر خطأ ما . . وحتى أحسم الأمر ، أسرع الى المطعم ، وطلبت من محمد عبد الله أن يغادر المطعم ويتبعنى الى استقبال الفندق . . أريتته الورقة وحكىته القصة ، وطلبت به بالتفسير . . فأخسك يضحك وبضحك حتى دمت عيناه ، وأنا على آخر من الجمر أنتظر التفسير .

قال محمد عبد الله وهو يلتقط أنفاسه « الحكاية أننا كشفنا على عبد السلام عبد المتجلى ، عازف المزامير الشعبى بالفرقة ، فى موسكو . واكتشفوا هناك أنه يعانى

من بلهارسيا شديدة ، ومزمنة .. فأعطوه هذا العلاج  
الذى يعتمد على المضادات الحيوية .. وعندما أخبرنى  
أمس أن الدواء الذى تسلمه من موسكو قد نفذ ، وطلب  
تجديده ، أعطيت العلبة الفارغة لفرانك حتى يطلب لنا  
كمية جديدة من الدواء ، حتى يستكمل عبد السلام  
علاجه ... »

لم أشاركه الضحك .. ولكنى ارتميت على أقرب  
مقعد .. وأخذت نفسا طويلا ، طويلا جدا ، أحاول به  
أن أستعيد هدوئى ، وأطرد المخاوف التى انتابتنى طوال  
الساعات السابقة .

وهكذا انتهت مغامرة فرانك البوليسية الفاشلة .

## لقاءات .. زيارات

### درس في البروتوكول :

بعد نهاية مرضنا الاول في انقرة ، اقبل مستشارنا الثقافي يهنىء بنجاح العرض ، ويتفق على موعد في صباح اليوم التالى للقاء خاص مع مندوب من ادارة المراسيم التركية ، للاتفاق على تفاصيل زيارة ضريح الزعيم التركى مصطفى كمال اتاتورك .

وفي الموعد المحدد تم اللقاء بينى وبين مندوب ادارة المراسيم ، بحضور مستشارنا الثقافي ومرافقنا التركى توفيق بيك . . . . . وكنت اتصور ان الاتفاق على الزيارة لن يستغرق أكثر من عدة دقائق يتحدد بها موعد الزيارة والوفد الممثل للفرقة ، الا اننى فهمت منذ بداية اللقاء ان لزيارة الضريح تقاليد خاصة معقدة ، واجراءات متتابعة ، اغلبها يقع تنفيذه على كاهلى .

اتفقنا اولاً على ان تشارك الفرقة بأكملها في هذه الزيارة ، ثم اننى سأكون فى مقدمة الموكب خلف اكليسل الزهور الضخم الذى ستتكفل به سفارتنا ، وأن الحرس الخاص للضريح سيتقدم المسيرة التى تؤدى بنا الى المبنى الذى يضم الضريح ، وعندما اصل الى موقع محدد

من القاعة التى تضم الجثمان اتقدم مع الحرس الذى يحمل الاكليل وأشارك فى وضعه عند قاعدة المدفن ، ثم أتقهقر الى موقعى الاول ، ومع انتهاء نغمات البروجى ، اتجه الى جانب من القاعة حيث يوجد السجل الضخم ، فأكتب فيه كلمة تحية مناسبة ، وأتقهقر مرة ثانية فى انتظار صوت البروجى الثانى الذى يفيد انتهاء الزيارة الرسمية للضريح ، فنتوجه بعد ذلك الى متحف الزعيم الراحل الذى يضم كل مايتعلق بحياته .

وقفت بنا عربات الاتوبيس فى الموعد المحدد عند بداية ممر طويل من البلاط الابيض الكبير الذى ينبت على حوافه زرع اخضر دقيق ، يردد الخضرة التى تكتنف جسانبى الممر ، ممر طويل يمتد على مدى البصر . وجدت رجال سفارتنا مع مندوبى الخارجية التركية فى استقبالنا ، وطلبوا من الفرقة أن تشكل طابورا يضم ثمانية أفراد فى كل صف ، ثم وقفت فى مقدمة الطابور مع رجال السفارة والخارجية التركية . . ومن مبنى صغير فى بداية هذا الطريق ، خرج اكليل الزهور يحمله جنديان بملابس عسكرية زاهية ، ثم خرج قائد المسيرة يتقدم الجميع بسيفه المشهر ، وملابسه العسكرية البيضاء الناصعة . . . وبدأت الرحلة .

مع الخطوات الجنائزية البطيئة ، ومع امتداد الطريق الطويل ، بدا وكأن هذه المسيرة لن تبلغ نهايتها . . الصمت المناسب يلتزمه الجميع ، الا من وقع أقدام على بلاط الطريق . . ثم لاحت عن بعد الساحة الكبيرة التى بها الضريح والمتحف ، وعندما أصبحنا داخل الساحة ، توقف

قائد المسيرة ، وبحركة عسكرية حادة ، استدار الى اليسار ، وتقدم الى الضريح ونحن من خلفه .

لقد نجحت هذه المسيرة الطويلة فى ارساء شعور الرهبة لدى الجميع ، حتى يكونوا عند وصولهم الى الضريح فى حالة استعداد روحى مناسب للقضاء الزعيم الراحل .

وبنفس الصمت ، والهدوء ، والخطوات القصيرة المنظمة ، صعدنا الدرج الفخم العريض الذى يؤدى الى الضريح . وما ان وصلت الى داخل الضريح ، حتى اخذت استرق النظرات لاتعرف على معالم المكان الذى وصصفه لى مندوب ادارة المراسم ، واحد خطواتى داخله .

أوما لى مستشارنا الثقافى ، فتقدمت مع الجنسديين اضع الاكليل على الضريح . . ثم تقهقرت حسب النظام الموضوع الى مكانى . وفجأة . . انطلق البروجى فى الحيز الضيق الذى يضم الضريح بسقفه المرتفع ، فتردد صداه عنيفا قويا . . أربكتنى المفاجأة ، رغم علمى السباق بها ، وكادت تضيق من ذاكرتى باقى الاجراءات التى تعب مندوب المراسيم فى شرحها لى . . ومن خلفى تصاعدت همهمات ، تميزت من بينها الهمهمات النسائية كرد فعل لهذه المفاجأة ، وما سببته من زعر بعد مرحلة الصمت الطويل .

وخشيت ان تتحول هذه الهمهمات الى تعليقات تفسد تنظيم المسيرة ، فأسرعت الى المنصة الجانبية أسسجل كلمتى فى عجل ، محاولا الانتهاء من رسميات هذا الموكب قبل ان ينقلب الى مهزلة .

عندما انسحبنا من مبنى الضريح الى الساحة الخارجية



وحتى بعد أن تبدد نظام الطابور الطويل ، وتجمعنا في انتظار التوجه الى المتحف ، كانت الانفاس المعلقة مازالت على حالها ، مع حرص كل واحد على الا يكون البادىء بتبديد جو الصمت الطويل ، فوجدتني اصيح فيهم « ، آيه .. مالكم .. خلاص انتهيينا .. » ، وعلى الفور انهالت التعليقات في وصف ما حدث لحظة انطلاق البروجي .

توجهنا بعد ذلك الى متحف الزعيم الراحل .. وكان عبارة عن دراسة كاملة شاملة عن حياته وكل مايتصل بها .. صورته منذ طفولته حتى وفاته ، تسجل كل جانب من جوانب حياته .. في مراحل عمره المختلفة .. صورا تذكارية للاحداث السياسية الهامة .. مقابلاته ، هواياته اجتماعاته .. ثم عرضا كاملا للابسه ومقتنياته .. والهدايا التي تلقاها من الملوك والرؤساء .. وبالمناسبة بينها هدية كان قد أهداها الى الملك السابق فساروق واستطاع المتحف أن يشتريها ، لا ادرى من أين ، ويضمها الى مقتنيات المتحف . ثم مجموعة ضخمة من الساعات التي كان يقتنيها ، وعقارب هذه الساعات جميعا تشير الى ساعة وفاته .. لقد كانت زيارتنا لمتحف الزعيم اتاتورك بمثابة الاطلاع على دراسة كاملة عن حياته وما حفلت بها من أحداث .

### امبرازاريو الدولة :

لقد حفلت رحلتنا هذه بالعديد من المناسبات واللقاءات الرسمية .. وكان كل شيء يتم وفقا لنظام ثابت ، وترتيب

مدروس . . فمنذ اليوم الاول لزيارة الدولة يتم الاتفاق على برنامج الزيارة ، من حيث عدد الحفلات ومواعيدها . المدن التي سنزورها . . حفلات الاستقبال التي سستقام لنا . . اللقاءات الرسمية مع المسؤولين . . برامج الزيارة الثقافية والسياحية . زيارة فرقة فنية لدولة من الدول الاشتراكية تعنى مجموعة من الترتيبات الخاصة والالتزامات المحددة ، لا يمكن التحلل منها ، او حتى افعال بعض جوانبها . . بل لقد تحولت هذه الترتيبات الى نوع من التقاليد الراسخة ، ابتداء من باقة الورد التي يتم تقديمها عند الوصول ، الى الهدية التذكارية التي تتلقاها الفرقة الزائرة ساعة السفر .

وكما كنت أواجه بهذه التقاليد . . أتذكر الاستقبال « الاحمدى » الذي يجرى لفرق هذه الدول عندما تزورنا ، وضياح هذه الفرق بين موظفى التبادل الثقافى وموظفى هيئة المسرح عندنا ، وأتذكر تصاعد احتجاج هذه الفرق بسبب نقص الاجراءات او عدم الوفاء بالالتزامات ، ذلك الاحتجاج المتصاعد الذى يبدأ عادة بالابتسامات المهذبة والملاحظات الرقيقة المتحفظة ، ويتصاعد يوما بعد يوم الى مستوى « التكشيرة » والكلمات الجسافه ، والاحتجاج لدى المسؤولين فى هذا الجهاز او ذاك .

وقد حرصت طوال رحلتنا هذه على دراسة سر نجاح هذه الدول فى تنظيم استقبال الفرق الزائرة ، فوجدت ان السر يكمن دائما فى التخصص . ففى جميع الدول الاشتراكية التى زرتها ، لم تكن ادارة التبادل الثقافى او وزارة الثقافة ممثلة فى اجهزتها المسرحية مسئولة عن الوفاء بهذه الالتزامات او القيام بهذه الاجراءات ، وانما

كانت هناك دائما مؤسسة خاصة ، تتولى استقبال الفرق الزائرة وتنظم معيشتها وعملها . في الاتحاد السوفيتي « جوسكونسيرت » ، في رومانيا « أوستا » ، في بولندا « بوجارت » ، في تشيكوسلوفاكيا « براجوكونسيرت » ، في ألمانيا الديمقراطية « تياتر أجنثورا » ، في يوغوسلافيا « يوجوكونسيرت » . . . وهكذا . هذه الأجهزة تتولى كل مايتصل بترتيب زيارة الفرق الوافدة . . الحجز في الفنادق . . تحديد مواعيد الحفلات وحجز المسارح وعمل الدعاية . . ترتيب وسائل الانتقال . . تحديد طاقم المرافقين والمترجمين . . توفير الرعاية الطبية الكاملة . . وضع البرامج الترفيهية والثقافية والسياحية . . ثم بالإضافة الى هذا كله ، توفير المخاملات الضرورية من باقات الورد الى الهدايا التذكارية ، الى تنظيم حفلات الاستقبال لتكريم الفرقة الزائرة .

ومع التخصص ، وتحديد المسئولية ، يأتي التجويد ، واستكمال اللمسات الدقيقة .

وقد اتيح لى ان احضر المؤتمر الصحفي الذى عقده جهاز « تياتر أجنثورا » بألمانيا الديمقراطية بمناسبة نهاية السنة الميلادية . . وكان وجودى باعتبار ان زيارة الفرقة القومية للفنون الشعبية ستكون اول نشاط لهذا الجهاز فى العام الجديد . وقد قام مدير الجهاز باستعراض النشاط الذى تم فى العام المنصرم ، ثم ادلى ببيان شامل دقيق لنشاط العام التالى . . مئات الفرق الزائرة والفنانون الزائرون . . ثم مئات الزيارات التى تقوم بها الفرق الألمانية والفنانون الالمان الى جميع انحاء العالم . وقد ادهشنى حجم ذلك النشاط ، وايقنت انه بدون مثل هذا

الجهاز ، ما كان يمكن تنظيم مثل هذا النشاط الضخم .  
بمثل هذه الكفاءة .

وفي رومانيا قمت بزيارة لمدير هيئة « الاوستا » ، في محاولة لتفهم طبيعة عمل هذه الاجهزة ، فقلنا لي ان « الاوستا » تابعة مباشرة لوزارة الثقافة ، وهي جهاز بلا ميزانية او اعانة ، بل هو يحقق ايرادا سنويا لوزارة الثقافة . وهذا الجهاز مسئول عن التسويق الداخلى والخارجى للنشاط المسرحى الرومانى ، بالإضافة الى تسويق النشاط الاجنبى داخليا . وهذا الجهاز يدير فى رومانيا حركة النشاط اليومى لعدد ضخم من الفسرك المسرحية . . وعلى سبيل المثال ، ٣٨ مسرحا دراميا ، و ٢٠ مسرح عرائس ، و ٦ مسارح استعراضية للمنوعات ، و ١٨ أوركسترا سيمفونى ، و ٧ مسارح اوبريت واوبرا ومنوعات غنائية ، وسيرك قومى واحد .

وتتولى « الاوستا » التعاقد نيابة عن الفنانيين المحليين مع الجهات الاجنبية مقابل عمولة تبلغ ١٥ في المائة عن كل عقد . كما تتولى نيابة عن ادارة التبدا للثقافى استقبال وتنظيم عمل الفرق الاجنبية الزائرة . هذا بالإضافة الى الفرق التى تقدم عروضها على الاساس التجارى .

ورغم الطابع التجارى لهذا الجهاز ، فهو يقوم ببعض النشاطات التى قد تحقق بعض الخسائر المادية بهسدا ف تحقيق الخطة الثقافية لوزارة الثقافة ، وأغلب نشاطها الخاص ينصب على حفلات الموسيقى الخفيفة نظرا لدخلها الكبير ، ولكونها لا تشكل ازدواجا مع نشاط الاجهزة الثقافية الاخرى .

وبحكم التخصص تتضاعف اتصالات « الاوستا »  
بالاجهزة الفنية والمتعهدين الفنيين في جميع أنحاء العالم ،  
ولا يقتصر نشاطها على انتظار الدعوة لاستضافة فرقة  
او فنان ، بل تصدر كل عام عدة مطبوعات اعلامية ،  
وبشرات دورية توزعها باللغات المحلية على جميع أنحاء  
العالم ، تطرح فيها امكانياتها من العناصر والخدمات  
الفنية ، كما تقوم بالدعاية لفنانيها في الخارج منققة على  
هذه الدعاية من ميزانيتها .

وفيما يتصل بالتسويق الداخلى تلجأ « الاوستا » الى  
كل وسيلة تضمن لها عدم وجود مقعد واحد شاغر في  
اى مسرح من المسارح على مدى العام ، حتى أنه في بعض  
المدن الصغيرة تلجأ الى توقيع عقود مع بعض الاشخاص  
غير المتفرغين ، لبيع تذاكر الحفلات في مقابل نسبة تبلغ  
٤ في المائة من حصيلة البيع ، وهى في هذا تعتمد على  
اطباء ومحامين وموظفين وعمال ممن يتيح لهم عملهم  
اتصالات جماهيرية واسعة .

عندما عدت من رحلتى هذه أعددت تقريراً شاملاً عن  
جهاز « امبرازاريو الدولة » الذى تأخذ به كل السدول  
الاشتراكية بعد انتهاء العمل بنظام الامبرازاريو المعروف  
في الدول الرأسمالية ، وبينت في ذلك التقرير حاجتنا  
الشديدة للاستفادة من نظم عمل هذه الاجهزة ، وخاصة  
في التسويق الداخلى ، لمواجهة مشكلة المقاعد الشاغرة في  
مسارحنا ، الا أن تشابك الاختصاصات بين هيئة المسرح  
وادارة التبادل الثقافى ، لم يسمح لهذا المشروع ان يأخذ  
طريقه الى التحقيق .

## فى عالم بريخت :

الى جانب الوظائف التجارية والتنظيمية لاجهزة التسويق المسرحى التى تحدثت عنها ، تقوم وظيفة دعائية تتحقق فى حرص هذه الاجهزة على تعريف الفرق الزائرة بالانجازات الثقافية والمعالم السياحية للبلد .

مع برنامج العمل والزيارات الرسمية ، كانت توضع لنا فى كل دولة برامج للزيارات السياحية تستوعب مشاهدة اهم الاثار والمناطق السياحية ، كما كان ييسر لنا متابعة اهم العروض المسرحية والاحداث الثقافية ... ولعل من اهم الزيارات الفنية التى قمنا بها فى رحلتنا هذه كانت زيارتنا لمسرح الفرقة البرلينية « برلينر انسامبل » الذى يعرف بمسرح بريخت .

لقد اتيح لى ان اشاهد العديد من الاعمال الهامة لبريخت ، مثل « الام شجاعة » ، و « كوريولانوس » ، و « ارتورو اووى » ، و « اوبرا الثلاثة قروش » ، و « الام » لجوركى .

كنت قد قرات بعض هذه النصوص ، كما كنت قد اطلعت على بعض الاسس التى يقوم عليها مسرح بريخت المسمى ، الا ان مشاهدة هذه الاعمال على المسرح اوصلتنى الى جوهر ماقرات مباشرة . وقد حرصت فى كل مسرة زرت فيها المانيا الديموقراطية بعد ذلك على ان اضمن مقعدا فى مسرح بريخت المزدهم دائما . ولولا مساعدة وزارة الثقافة بتسهيل حجز هذا المقعد ضمن الاماكن المخصصة لعملها ، لما امكننى الاستمتاع بروائع بريخت ، نتيجة الازدحام الشديد ، وذلك الجمهور المنتظم من برلين

الفريقية الذى يجتاز الحدود كل ليلة ليحضر العرض .  
ثم ليعود الى الغرب مرة اخرى فى نهاية العرض .

، واغلب المسرحيات التى حضرتها كانت من اخراج  
بريخت ، الا ان مسرحية « كوريولانوس » التى قدمها  
المسرح بعد وفاة بريخت ، كانت من اخراج مانفريد  
فكفرث ، ولذا حرصت على ترتيب لقاء خاص معه فى  
اليوم التالى لمشاهدة المسرحية .

وكنت قد علمت ان فكفرث هو الابن البار لبريخت ،  
وان بريخت كان قد التقطه بعد ان شاهد اخراجه  
لمسرحية « أسلحة السيدة كرار » فى مدينة صغيرة كان  
يعمل مدرسا بها . لم يكن فكفرث حتى ذلك الحين قد  
تلقى أية دراسة منظمة فى فنون المسرح ، ورغم هذا  
أسند اليه بريخت وظيفة مساعد مخرج فى مسرحه ، بعد  
ان اقتنع بموهبته . وأصبحت صلة فكفرث ببريخت من  
خلال العمل اليومى هى المدرسة الحقيقية التى تعلم فيها  
واكتملت عن طريقها ثقافته المسرحية . وفى حياته ،  
أتاح بريخت لفكفرث فرصة اخراج أكثر من عمل ، فأخرج  
مسرحية من فصل واحد باسم « أذرة للجيش الثامن » عن  
نض صينى تم تأليفه وعرضه اثناء المسيرة الكبرى ،  
ثم اكتملت شهرته باخراجه مسرحية « أرتورو أووى »  
التي تندد بالفاشية وبالنازية الهتلرية .

ومسرحية « كوريولانوس » استوحاها بريخت من  
مسرحية لشكسبير ، وتوفى قبل أن يقدم على اخراجها .  
وفى هذه المسرحية لم يغير بريخت كثيرا من المواصفات  
الاصلية لمسرحية شكسبير ، ولكنه عمق الصراع بين

عناصرها ، وأخضعه لاصول علمية . والصراع يسدور أساسا بين ارادة الفرد و ارادة المجتمع ، ويظهر كيف تنهزم ارادة الفرد اذا ماتعارضت مع ارادة المجتمع .

وقد أجريت يومها مع مانفريد فكفرت حوارا طويلا حول هذه المسرحية ، وحول مسرح بريخت عامة .

وسألته عن وجهة نظره في اخراج هذه المسرحية ، فقال ان تفسير المخرج للنص يفعل الكثير ، فأصل هذه المسرحية الذي كتبه شكسبير كان هتلر يعرضه على الجنود في الحرب العالمية الثانية ، قبل أن يزج بهم في جبهاته الحربية المختلفة ، لازكاء روح الحروب والعدوان لديهم ، وتزيين الحرب في عيونهم . بل أن النص الذي كتبه بريخت ، أخرجه مخرج ايطالى فى مسرح « بيكولو تياترو » فأفقده مغزاه الاساسى عندما صور القائد بطل المسرحية فى صورة زعيم فاشيستى . لقد عرضت فى هذا الاخراج شخصية كوربولانوس كقائد حربي عظيم . . وصفة العظمة هنا لا تقتصر على الحرب ، بل تنسحب ايضا على السياسى العظيم ، والزعيم العظيم ، والعالم العظيم . والمضمون الاساسى لهذه المسرحية ، يفيد أن النتيجة الحتمية لوجود رجل عظيم يقوم بأعمال بطولية كبيرة ، هى أن يرتفع هذا الرجل فوق مستوى الجموع . . وهذا أمر طبعى ، ولست ضده نأى حال من الاحوال ، بل ، نطالب دائما بحد مثال هذه الشخصية . . ولكن ، فى اللحظة التى يبدأ فيها هذا الرجل العظيم استغلال الوسط الذى يعيش فيه ، أيا كان نوع ذلك الاستغلال . . فى تلك اللحظة ، يجب على الوسط أن يرفض الاستغلال



.. وأن يقصى هذا الرجل ، مهما كلف اقصاؤه من خسائر كبيرة .

وعن مبدأ التغريب أو التبعيد فى مسرح بريخت يقول فكفرت ، التغريب هو احوالة العادى الى غير عادى بهدف خلق لحظة اكتشاف عند المتفرج ، تدفعه الى الاحساس بما يعرض عليه ، ثم تعقله والاستفادة منه .. هو وضع المتناقضات فى مقابل بعضها البعض لتنتج حالة من الوعى ثم التفهم .. ومن الأمور التى تساعد على تأكيد عنصر التغريب فى المسرحية ، نقل أحداثها فى الزمان أو المكان . فعندما نعرض قضية الفاشية الهتلرية فى مسرحية « أرتورو أروى » ، نجرى حوادثها بين أفراد إحدى العصابات الامريكية .. أى ننقل مكان الأحداث من مجاله الاصلى الى مجال آخر ، وهذا يتيح مزيد من الرؤية والتفهم عند الجمهور .

وفى مسرحية « كوربولانوس » نجرى تقلا فى الزمان والمكان .. فنناقش قضية الزعامة والقيادة فى مجتمع روما القديم حيث تجرى أحداث المسرحية ، ذلك أن المتفرج يكون على استعداد له قوف موقفا نقديا من قائد روماني ، أكثر منه فى حالة القائد المحلى المعاصر .

ويعود فكفرت ليقول ، من المقاييس الرئيسية عند بريخت ، أن المنطلق الفنى يجب أن يكون دائما من وضع اجتماعى سياسى .. فعندما نعرض هاملت مثلا ، لا تقدمه على أنه شخصية متردة ، وأن هذا التردد طبيعة فيه .. لكننا نعرض المرحلة التاريخية التى يعيش فيها بالضبط .. لماذا يتردد هاملت ؟ .. ومن داخل هذا الفهم لا يكون

موقفه موقفا شخصيا ، لكنه سيرتبط بمرحلة تاريخية معينة . تقول ان هاملت اثناء دراسته قد طور عقله ، فاستحال الى ما يمكن ان نسميه « بالبرجوازي التقدمي » وانه أصبح يقيس الامور بمقاييس عامة . هذا التركيب الجديد جعله يفشل في الوفاء بالتزاماته الاقطاعية ، وفي استغلال حقوقه .

ودار بيننا بعد ذلك حوار حول مسرحيته الاخيرة ، وكانت لي بعض الملاحظات التي اخذ فكفرت بجيب عليها ، وعرض اثناء الحديث موضوع التسادية في المسرحية ، ومستوى الممثلين وخاصة الطبقة العالية في الالتقاء التي التزمها الممثل الكبير اكهارد شال منذ بداية المسرحية وحتى نهايتها ، فقال فكفرت وهو يتلمل ، انت على حق في ملاحظتك . . لكنه لم يكن يؤدي الدور في المسرحيات الاولى بهذه الطريقة . . وقد ارسلت اليه خطابا ، اوضح له ضرورة التزام الحدود الاولى للتأدية في هذا الدور . استلقت نظري تعبير « ارسلت له خطابا » ، فقال فكفرت : ان من تقاليد مسرح بريخت ، ان توجه المخرج ملاحظاته الفنية الى الممثلين بواسطة خطابات تحفظ نسخة منها في ارشيف المسرح ، وترسل النسخة الاخرى الى الشخص المعني بهذه الملاحظات . . عقب فكفرت ، ان هذا الاسلوب يجعل الملاحظات اكثر مفعلة ، ويعظم فرصة اكسـاـمـا للتأمل ، كما ان استجابة الفنان لها لا تتضمن رد الفعل الشخصي .

لاشك ان تجربة بريخت تعتبر من اضخم الانجازات الثقافية والفنية في الدول الاشتراكية . الا ان هذا لا ينتقص من التجارب الثقافية والفنية الاخرى التي اتبع

لى أن اتعرف عليها خلال رحلتنا هذه .. تجربة « منظمة الرواد » لتثقيف الاطفال وتنظيمهم منذ مطلع حياتهم .. الانجازات الخرافية للسرك القومى السوفيتى .. الكمال التام لعروض الباليه فى مسرح البولشوى بموسكو ... تجربة مسارح الاسترادا او المنوعات فى رومانيا ، وما تتضمنه من تحقيق لجانب الترفيه بشكل لائق .. مسرح عرائس المجر ببرامجها التى صعدت بهذا الفن الى أعلى مدارجه .. معهد تطوير الوسائل المسرحية المسسمى « سينوجرافيكال لابوراتورى » فى براغ ، والورشسة المسرحية الكاملة فى براتسلافا عاصمة سلوفاكيا بتشيكوسلوفاكيا .. التطبيق الحى للنشيط لفكرة قصور الثقافة فى الاقاليم وبين التجمعات العمالية وفى الريف . كل هذا يؤكد أن أمامنا الكثير الذى نستطيع أن نفيد منه ، بدراستنا لتجارب الدول الاشتراكية فى حقن الثقافة .

### صفحة ترحيب البائية !

كان برنامج زيارتنا لكل دولة من الدول يتضمن العديد من اللقاءات الرسمية ، مع وزراء الثقافة والمسؤولين عن النشاط الثقافى ، وكانت هذه اللقاءات تتراوح بين الزيارة الرسمية للمسئول فى مكتبه ، الى لقاء حول مائدة الغذاء أو العشاء ، تحضره مجموعة من قيادات الفرقة ، الى حفل كوكتيل تدعى اليه الفرقة بأكملها .

كان القاسم المشترك فى هذه اللقاءات تبادل الانخراط والكلمات الرسمية .. وكالعادة كانت جدة الموقف فى بداية

الامر تقتضى الاستعداد المسبق والانتباه السكامل ؛  
والحرص على انتقاء الكلمات . . ومع تكرار الموقف أكثر  
من مرة فى كل دولة ، بدأت هذه العملية تشكل عبئاً  
نفسياً جديداً ، بعد أن تكررت نفس الكلمات فى كل مرة  
وكل دولة . . وكان وضع المسئول هو نفس وضعنا  
تقريباً ، فهذا الموقف يتكرر معه بالنسبة لغيرنا من الوفود  
والفرق الزائرة أكثر من مرة فى الأسبوع الواحد . . .  
وكانت مسئوليتى تتركز فى معالجة فترات الصمت  
وتجنبها . . .

وبعد فترة من الزمن تكشفت مواهب المايسترو شعبان  
أبو السعد . . كنت أبدأ الشق الرسمى من الحديث ،  
واتابع حمل مسئوليتى حتى يوشك الموقف على التجمد  
وهنا ينطلق شعبان أبو السعد ويكون قد تجاوز نخبه  
الثالث ، فى حديث عفوى مؤكداً حديثه بحركات ذراعيه  
التي لا تنتهى والتي يمارسها فى حياته اليومية امتداداً  
لعمله كقائد أوركسترا ، فترتفع الضحكات من الجانبين ،  
وتتهاوى قشرة التحفظ الرسمى . ويطرا التغيير شاملاً  
على كل من يشارك فى اللقاء . . طبيعة الموضوعات  
المطروقة . . حتى طريقة الجلوس على المقعد .

ونظراً لازدحام برامجنا ، كانت حفلات الاستقبال تجري  
فى أغلب الأحيان قبل العرض ، ومن هنا كانت تظهر  
صعوبة اشتراك الفرقة بكاملها فى هذه الاستقبالات ،  
فأغلب المراقصات والراقصين يفضلون أن ينالوا قسطاً

من الراحة قبل العرض ، فكنا نجرى مايشبه القرعة  
لاعفاء البعض فى كل مرة بما لا يخل بمظهر الاستقبال .  
ولعل اجمل الاستقبالات ، كانت فى وارسو . تحدد  
للاستقبال يوما خرا لا تجرى فيه الفرقة تدريبات أو  
عروض . . وعندما وصلنا الى القاعة التى يجرى فيها  
الاستقبال ، وجدنا أعضاء فرقة مازوفشا البولندية  
بملابسهم القومية وآلاتهم الموسيقية الشعبية . وما أن  
انقضى بعض الوقت حتى تحول الاستقبال الى حفل  
راقص ، فاشتركنا جميعا فى تأدية بعض الرقصات  
الشعبية البولندية البسيطة ، بما فى ذلك سفيرنا فى  
بولندا ومن معه من رجال السفارة ، ثم قدموا لنا فى  
نهاية الحفل لوحة من الزخارف البولندية الشعبية ،  
عليها توقيعات جميع أعضاء فرقة مازوفشا .

ومن أخرج المواقف التى قابلتنا فى هذه اللقاءات  
الرسمية ، ماتم عند زيارتنا لوزير الثقافة الالبانى فى  
تيرانا . . اقتصرت الزيارة على قيادات الفرقة ، وكان  
معنا فى هذه الزيارة الفنان كمال نعيم مصمم رقصات  
الفرقة . عندما تحركنا من الفندق ، وجدت كمال يحمل  
آلة التصوير السينمائى التى كان قد اشتراها أثناء  
الرحلة ، وبصم على تسجيل هذه الزيارة سينمائيا .  
وصلنا الى الوزارة فاستقبلنا الوزير فى مكتبه ، وأخذ  
كمال منذ البداية فى التحرك حولنا ليكون تسجيله للقاء  
كاملا . وقرب نهاية اللقاء ، أخذت أحدث الوزير الالبانى  
عن مصمم رقصاتنا الشاب الذى لم يتجاوز الرابعة  
والعشرين من عمره ، واستطاع أن يقدم للفرقة انجح

رقصاتها ، كل هذا وكمال منهمك فى مهمته السينمائية نهضنا للانصراف ، فاقترب الوزير من كمال ، ونظر اليه فى اعجاب شديد . . ثم فجأة . . صفعه على قفاه صفقة قوية كادت مع نعومة الارض الخشبية ان تلقى به مع آلة التصوير الى الارض . . احتفظ كمال باتزانته فى مسعوبة شديدة . . وتكهرب الجو . . ووقف كمال مزعجولا لا يعرف كيف يتصرف ، ونحن جميعا فى حالة ترقب لما يمكن ان يتمخض عنه هذا الموقف الغريب . . الا ان الوزير لم يظهر مايفيد انتباهه لما ينتابنا من مشاعر ، وعاجل بمد يده الى كمال نعيم يسنده ثم يحتضنه ، ويطلب الى المترجم ان ينقل اعجابه الشديد الى كمال .

انتهى اللقاء ، وانصرفنا دون ان نجد تفسيرا لاصفعة القوية التى كادت ان تفقد كمال توازنه ، وكذووع من التفريج عن النفس من حالة التوتر التى انتابتنا ، انطلقنا جميعا وفى مقدمتنا كمال فى حالة هستيرية من الضحك الصاخب . الوحيد الذى لم يكن يشاركنا هذا الضحك كان المترجم الذى براققنا . . وبعد ان انتهت تعليقاتنا الضاحكة ، بدا عليه فضول شديد ، لم يتجسسواز حد النظرات المتطلعة ، فحكيت له بالانجليزية سر ضحكاتنا ، وحيرتنا فى تفسير تلك الصفعة . . فاصفر وجهه ، واخذ يلقي علينا محاضرة طويلة فى تقاليد التعبير عن الاعجاب فى البانيا ، والتى ينوب فيها الربيت على القفصا عمن الربيت على الظهر فى الدول الاخرى ، وان سيادة الوزير تعبيرا عن اعجابه البالغ بكمال نعيم ، قد ضاعف بعض الشيء من قوة الربيت الودى !! .

## زفة .. فى بوخارست :

كان سمير جابر وزوجته ثريا فى حالة خطبة طويلة لعدة سنوات .. وعندما كنا فى القاهرة ، كان موضوع هذه الخطبة الطويلة مشار تعليقات ومداعبات لاتنتهى مع سمير وثرىا .. وكانت التساؤلات لا تتوقف حول موعد الزفاف .. وبدأت رحلتنا ومازال سمير وثرىا فى حالة الخطوبة التى عرفناها دائما .

ما أن وصلنا بوخارست ، حتى كان سمير يطرق باب حجرتى بالفندق ، يطلب بصوته الهادىء وابتسامته الرقيقة ، أن يتحدث معى حديثا خاصا .. قلت ، خيرا .. قال والابتسامة لا تفارق شفتيه .. « أنا عساووز اتجوز !! » .

قلت ضاحكا « وماله .. » ، واعتبرتها نكتة ، ومدخل من المداخل اللطيفة التى كان كثيرا ما يقدم بها لمطالبيه الحقيقية .

احسن اننى لم آخذ الامر مأخذ الجد ، فتراجعت ابتسامته بعض الشيء ، واكتسى صوته بالجدية ، وقال « أنا باتكلم جد .. أنا وثرىا عاووزين نتجوز هنا فى بوخارست .. » .

قلت وقد انتقلت الى عدوى جديته « ازاي ؟؟ .. » قال ببساطة « أبدا .. فى السفارة .. أنا سألته وعرفت أن الواحد ممكن يتجوز فى السفارة » .

قلت « وأهلك .. وأهلها ؟ .. » .  
قال « ما أحنا ح نبعث لهم تلفرافات نبلفهم .. » .

وفى الطريق الى المسرح حيث كنا ستجى تدرىباتنا ،  
وجدت أن الخبر قد شاع وانتشر بين الجميع ، وأن حالة  
من الحماس الشديد قد انتابتهم جميعا .. ودخل الكلام  
فى دور التفاصيل ، الفرع ، وفستان الفرع ، و .. و ..  
الى آخر هذه التفاصيل .

فى صباح اليوم التالى توجهنا جميعا الى السفارة ،  
حيث أقام لنا السفير حفل استقبال دعا اليه عسدة  
شخصيات من الحقل الثقافى الرومانى .. وفى مساء  
الحفل اخذ السفير يستفهم منى عن سير العمل ، ومدى  
استعدادنا لحفل الافتتاح الرسمى فى مساء ذلك اليوم .  
وخلال هذا الحديث اكتشفت أن سمير يتربص بى عسنة  
بعد ، وتعبيرات وجهه تطالبنى بطرح موضوعه ، فأشرت  
اليه أن يقبل ، وقلت للسفير « بقيت مشكلة واحدة ..  
هذا الاخ يريد أن يتزوج عندكم ! » . اول ما تبادر الى  
ذهن السفير ، انه يريد الزواج من فتاة رومانية ،  
فسارعت بسرد قصته كاملة . ارتسمت على وجه السفير  
ابتسامة عريضة ، واسرع يبحث عن زوجته ليزف اليها  
الخبر السعيد ، وبدأ البحث عن ثريا حتى وجدوها ،  
فارتفعت الزغاريد فى قلب السفارة .. والسفير سعيد  
بهذا الحدث ، اخذ ينقل القصة الى اسماع الضيوف  
الرومانيين ، ويفسر لهم سر الاصوات التى ارتفعت ملهعة  
وسط حفل الاستقبال .

وتلفت السفير يبحث عن طاقم السفارة ، ليسألهم فى  
تفاصيل اجراءات الزواج ، فقالوا انه لابد من الرجوع  
الى القاهرة للتثبت رسميا من خلو الطرفين من الموانع ..



وتحمس سمير وقال انه لا يمانع فى الانتظار لحين وصول  
الافادة من القاهرة ، بحيث يتم الزواج فى ايامنا الاخيره  
برومانيا .. وتحول حفل الاستقبال الى زفة عروسية  
حقيقية ، وتبرعت هيام بتقديم وصلة رقص شرقى .  
واستخدمت الصواني المعدنية كدفوف .. و ...  
« اتمخبرى يا حلو يا زينة .. »

طبعا لم تصل الافادة .. وحل موعد الرحيل الى  
موسكو .. فطيب السفير خاطر سمير وثرىا ، وقال انه  
بمجرد وصول الافادة سيقرب بها الى سفارتنا فى موسكو  
لتتولى اجراءات الزواج .

وطبعا لم تصل الافادة الى موسكو .. ولا الى وارسو  
.. ولا الى برلين .. ولا الى براغ .. ولا قبل أن نركب  
الباخرة من البانيا فى طريقنا الى الاسكندرية .

تذكرت هذه القصة أخيرا ، وأنا ارى ثريا فى شهر  
حملها الاخير .. وحمدت الله على أن الزواج لم يتم فى  
رومانيا ، حتى لا يصبح منظر فرقة الرقص الشعبى القادمة  
من مصر مثيرا ، وأحدى راقصات الفرقة لاتشارك بالرقص  
نتيجة للحمل الذى كان سيصبح حملا فى الشهر الخامس  
عند نهاية رحلتنا !!

# فهرس

## صفحة

|     |                       |
|-----|-----------------------|
| ٧   | مجتمع بلا حكومة       |
| ١٤  | فنادق .. فنادق        |
| ٤٩  | حياته كاملة على عجلات |
| ٩٠  | ازمة خبز ومساء        |
| ١٢٠ | علاج .. بالجملة       |
| ١٤٢ | في مواجهة الجماهير    |
| ١٧٦ | مرافقون .. ومرافقات   |
| ٢٠٦ | لقاءات .. وزيارات     |

الترقيم الدولي ISBN ٩٧٧ - ١١٨ - ٠٨٠

الترقيم الدولي ISBN ٩٧٧ - ١١٨ - ٠٨٠

## كافة اشركات مجارات دار النشر

الكويت : السيد / عبد المال بسيوني زغلول - الكويت -  
والصفاد - ص - ب رقم ٢١٨٣٣ تليفون ٧٤١١٦٤

جدة - ص - ب رقم ٤٩٢  
السيد هاشم علي نحاس  
المملكة العربية السعودية

THE ARABIC PUBLICATIONS  
DISTRIBUTION BUREAU  
7, Bishopsthorpe Road  
London S.E. 26 ENGLAND

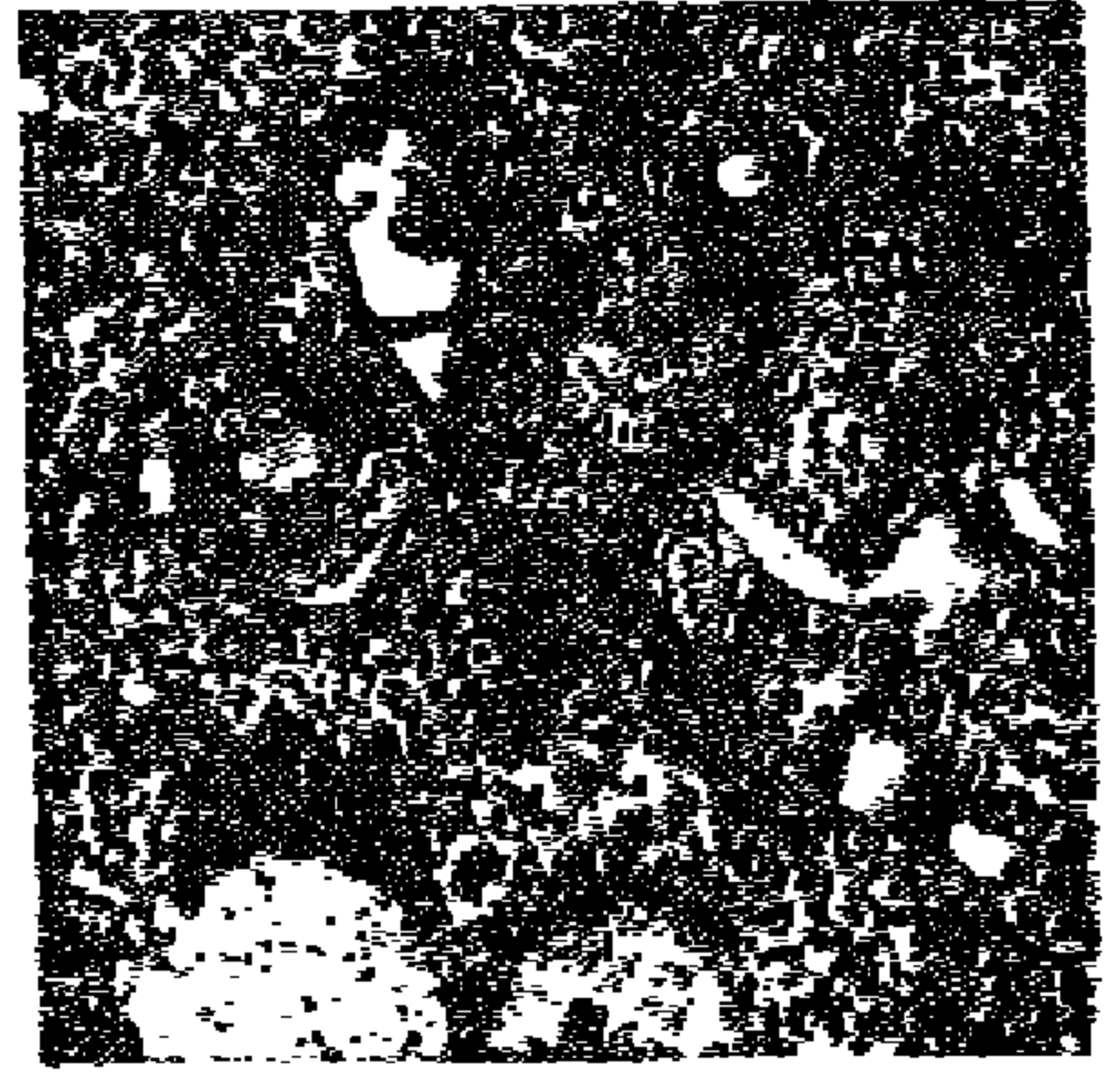
انجلترا :

Al Miguel Maccul Cury B 25 de Março 999  
Caixa Postal 7406, Sao Paulo, BRASIL

البرازيل :

### أسعار البيع للعدد الممتاز فئة ٤٠٠ مليم :

سوريا ٨٠٠ ق س ، لبنان ٨٠٠ ق س ، الاردن ٦٠٠ فلس ، الكويت ٩٠٠  
فلس ، العراق ١٤٠٠ فلس ، السعودية ٧ ريال ، السودان ٧٠٠ مليم ،  
تونس ١٠٠٠ مليم ، المغرب ١٠٠٠ فرنك ، الجزائر ١٠٠٠ سنتيم ، الخليج  
٨٠٠ فلس ، غزة والضفة ٣٠٠ ليرة ، الصومال ٨٠ بنى ، داكار ٦٠٠  
فرنك ، لاجوس ٨٠ بنى ، اسمره ٦٠٠ سنت ، اليمن الشمالية ٥ ريال ،  
اديس ابابا ٦٠٠ سنت ، باريس ١٠ فرنكات ، لندن ١٠٠ بنى ، ايطاليا  
١٤٠٠ ليرة ، سويسرا ٤ فرنكات ، اثينا ١٠٠ دراخمة ، فيينا ٤ - شلن ،  
فرانكفورت ٤ مارك ، كوبنهاجن ١٥ كرونة ، استوكهولم ١٥ كرونة ، كندا  
٣٠٠ سنت ، البرازيل ٤٠٠ كروزيرو ، نيويورك ٣٥٠ سنت ، تونس انجلوس  
٤٠٠ سنت ، استراليا ٤٠٠ سنت ، هولندا ٥ فلورين ، عدن ٨٠ بنى .



## هذا الكتاب

« رافسون بلا حكومة » يحكى قصة تجربة ارتحال فريدة ، قام بها اعضاء الفرقة القومية للفنون الشعبية الى عشر دول اسيوية واوريبية على مدى ستة اشهر .

يحكى عن القرية المركبة التى فرضت على مجتمع كامل من الشباب والشيوخ ، تسحة للتنقل الدائم بين ٦٠ مدينة مختلفة .. عواصم كبرى ، ومدن صغيرة ، وقرى لا تكاد تظهر على الخرائط .

قصة مجتمع قطع سلطته بكل ما يحكم المجتمع من سلطات تنظيمية وتشريع ورقابة ومحاسبة ، واصبح عليه أن يتكر لنفسه قانونه وسلطانه الخاصة ..

مؤلف الكتاب راجى عنات سجل هذه التجربة التى عاشوها عندما كان مديرا للفرقة ، ومسئولا عن تسيير امور ذلك المجتمع .. ومن خلال ذلك يورد عشرات الحكايات المؤثرة والطرائف المضحكة ، فى نفس الوقت الذى يطرح فيه ملامح الحياة فى الدول التى زارها الفرقة .. الارض والبشر .

مؤلفه